

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

الموسوعة الفقهية جِزْءُ الثَّامِنِ

المجلد الثامن

إعداد

جعفر شرف الدين

تقديم

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

الموسوعة كتبا القرآن

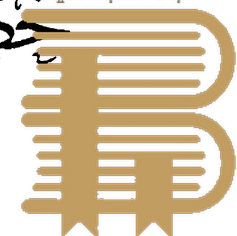
خصائص السور

شبكة كتب الشيعة

المجلد الثامن

إعداد

جعفر شرف الدين



shiabooks.net

رابطہ بديل < mktba.net

تقديم

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

مراجعة

د. محمد توفيق أبو علي

الأستاذ أحمد حاطوم

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

شارع جان دارك - بناية الوهاد

ص.ب ٨٣٧٥ - بيروت - لبنان

تلفون ٣٥٠٧٢١/٢ (٠١)

تلفون + فاكس : ٦٠٢٠٢٩ - ٣٥٣٠٠٠ (٩٦١١)

e-mail: aliprints@netgate.com.lb

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

الإخراج الفني: زاهية عاصي

سورة غافر



أهداف سورة «غافر» (*)

﴿ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْبَرِّ
الْمَصِيرِ﴾.

وتسمى «حم الأولى» لأنها السورة
الأولى في الحواميم.

روح السورة

الروح الساري في سورة «غافر» هو
الصراع الدائر بين الحق والباطل،
والإيمان والكفر، والدعوة والتكذيب،
وأخيراً قضية العلو في الأرض والتجبر
بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ
المتجبرين. وفي ثنايا أهداف السورة
الأصلية نجد أنها تلم بموقف المؤمنين
المهتدين الطائعين، ونضر الله إياهم،
واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله

سورة «غافر» سورة مكية، نزلت في
الفترة الأخيرة من حياة المسلمين في
مكة، بعد الإسراء وقبيل الهجرة.
وآياتها ٨٥ آية نزلت بعد سورة
«الزمر».

أربعة أسماء: تسمى هذه السورة
سورة «غافر»، لقوله تعالى في أولها:
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾
[الآية ٣].

وتسمى سورة «المؤمن» لاشتغالها
على حديث مؤمن آل فرعون «واسمه
خربيل» في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾
[الآية ٢٨].

وسورة «الطول»، لقوله تعالى:

(*) انتهى هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومفادها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب،
القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم.

وجو السورة كله، من ثم، كأنه جو معركة، وهي المعركة بين الإيمان والطغيان، بين الهدى والضلال، بين المتكبرين المتجبرين في الأرض وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتنكيل. وتنتسم، خلال هذا الجوّ، نسمات الرحمة والرضوان حين يجيء ذكر المؤمنين.

ويتمثل روح السورة في عرض مصارع الغابرين، كما يتمثل في عرض مشاهد القيامة، وهذه وتلك تتناثر في سياق السورة وتكرر بشكل ظاهر، وتعرض في صورها العنيفة المرهوبة المخيفة. ومنذ بداية السورة إلى نهايتها نجد آيات تُلْمَسُ القلب، وتهزُّ الوجدان، وتعصف بكيان المكذّبين، وقد ترقّى آيات السورة فتتحول إلى لمسات وإيقاعات تمس القلب برفق، وهي تعرض صفات الله تعالى، غافر الذنب وقابل التوب، ثم تصف حَمَلَةَ العرش، وهم يدعون ربّهم ليتكرم على عباده المؤمنين؛ ثم تُعَرِّضُ الآيات الكونية والآيات الكامنة في النفس البشرية.

موضوعات السورة

يمكننا أن نقسم سورة غافر بحسب موضوعاتها إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: صفات الله

تبدأ الآيات، من ٤ إلى ٢٠، بعرض افتتاحية السورة، وبيان أن الكتاب منزل من عند الله سبحانه.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ للمؤمنين
التائبين، وهو: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
للعصاة المذنبين.

ثم تقرر أن الوجود كلّهُ مُسَلِّمٌ مستسلم لله جلّ وعلا، وأنه لا يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فيشذّون عن سائر الوجود بهذا الجدل، ومن ثمّ فهم لا يستحقّون أن يأبه لهم رسول الله (ص)، مهما تقلّبوا في الخير والمتاع، فإنّما هم صائرون إلى ما صارت إليه أحزاب المكذّبين قبلهم وقد أخذهم الله أخذاً، بعقاب يستحق العجب والإعجاب، ومع الأخذ في الدنيا، فإن عذاب الآخرة ينتظرهم هناك. ذلك بينما حملة العرش ومن حوله يعلنون إيمانهم برّبهم، ويتوجهون

يطاع في شفاعته؛ لقد أصبح الملك
والأمر والقضاء لله الواحد القهار.

الفصل الثاني:

رجل مؤمن يجاهد بالكلمة

يستغرق الفصل الثاني الآيات [٢١ - ٥٥].

ويبدأ بلفت المشركين إلى ما أصاب
المكذّبين قبلهم؛ ثم يعرض، من قصة
موسى (ع) مع فرعون وهامان وقارون،
جانباً يمثل موقف الطغاة من دعوة
الحق، ويعرض فيها حلقة جديدة لم
تعرض في قصة موسى من قبل، ولا
تعرض إلا في هذه السورة، وهي حلقة
ظهور رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم
إيمانه، يدافع عن موسى (ع)، ويصدع
بكلمة الحق والإيمان في تلطف وحذر
في أول الأمر، ثم في صراحة ووضوح
في النهاية، ويعرض في جده مع
فرعون حجج الحق وبراهينه القوية
الناصعة، ويحذرهم يوم القيامة، ويمثل
لهم بعض مشاهدته في أسلوب مؤثر،
ويذكرهم بموقفهم وموقف الأجيال
قبلهم من يوسف (ع) ورسالته؛
ويستطرد السياق بالقصة حتى يصل
طرفها بالآخرة فإذا هم هناك، وإذا هم

إليه بالعبادة، ويستغفرون للذين آمنوا
من أهل الأرض، ويدعون لهم
بالمغفرة والنعيم والفلاح. وفي الوقت
ذاته تعرض مشهد الكافرين وهم
ينادون:

﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقِّكُمْ
أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ
فَتَكْفُرُونَ﴾ (١٥).

وهم في موقف المذلة والانكسار
يقرون بذنبهم، ويعترفون بربهم فلا
ينفعهم الاعتراف والإقرار، ومن هذا
الموقف بين يدي الله في الآخرة، يعود
السياق ليعرض أمام الناس مظاهر أنعم
الله عليهم، لياخذ بأيديهم إلى طريق
الإيمان بالله.

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ﴾ (١٦) رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ
يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٧).

ويعرض السياق مشهد ذلك اليوم في
صورة حية مؤثرة: فقد برز الجميع أمام
الله جلّ وعلا، العالم بالظواهر
والبواطن؛ وفي المشهد تبلغ الروح
الحلوقم، وتذهب صولة الظالمين
والطغاة، فلا يجدون حميماً ولا شافعاً

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الشُّرُكُ
قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ .

ويذكر هذا الفصل الناس بمجيء الساعة، ثم يفتح الباب أمامهم إلى دعاء الله سبحانه والاستجابة لأمره؛ ويبين لهم أن الذين يستكبرون عن عبادته تعالى سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين. ويعرض هذا القسم في هذا الموقف بعض آيات الله الكونية التي يمرن عليها غافلين، يعرض عليهم الليل وقد جعله الله سكناً، والنهار مبصراً، والأرض قراراً والسماء بناء، ويذكرهم بأنفسهم وقد صورهم، ويوجههم إلى دعوة الله مخلصين له الدين. وفي هذا القسم عينه، يأمر الله تعالى رسوله (ص) أن يبرأ من عبادة الذين يدعون من دون الله سبحانه، وأن يعلن إسلامه لرب العالمين؛ ثم يؤكد السياق أن الله الواحد هو الذي أنشأهم من تراب ثم من نطفة، وهو الذي يُخيي ويميت. ثم يلفت الحق تعالى رسوله (ص) إلى أمر الذين يجادلون في الله، ويُنذره عذاب يوم القيامة في مشهد عنيف، تعلق فيه الأغلال في أعناقهم، ويُسحبون في الحميم، ويُحرقون في النار جزاء كفرهم

يتحاجون في النار، وإذا حوار بين الضعفاء والذين استكبروا، وحوار لهم جميعاً مع خزانة جهنم يطلبون فيه الخلاص، ولات حين خلاص؛ وفي ظل هذا المشهد يوضح الحق سبحانه أن العقابة للمرسلين في الدنيا ويوم القيامة، فقد نصر الله موسى رغم جبروت فرعون؛ ثم يدعو الرسول الأمين إلى الصبر والثقة بوعده الله الحق، والتوجه إلى الله بالنسبيح والحمد والاستغفار.

الفصل الثالث:

الترغيب والترهيب

يستغرق الفصل الثالث من الآية [٥٦ - ٧٧] ويبدأ بتقرير أن الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة ولا برهان إنما يدفعهم إلى هذا كِبَر في نفوسهم عن الحق، وهم أصغر وأضال من هذا الكِبَر؛ ويوجه القلوب حينئذ إلى هذا الوجود الكبير الذي خلقه الله جلّت قدرته؛ وهذا الوجود أكبر من الناس جميعاً، لعل المتكبرين يتصاغرون أمام عظمة خلق الله، وتفتتح بصيرتهم فلا يكونون عمياً:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

وشركهم بالله؛ وفي ضوء هذا المشهد يوجه الله رسوله إلى الصبر والثقة بأن وعد الله حق، سواء ألبقاء حتى يشهد ما يعدهم، أم توفاه قبل أن يراه، فستحقق الوعد هناك.

الفصل الرابع:

نهاية الظالمين

يشتمل الفصل الرابع على الآيات الأخيرة من السورة [٧٨ - ٨٥]، ويذكر أن الله أرسل رسلاً وأنبياء كثيرين لهداية الناس، منهم من ذُكر في القرآن، ومنهم من لم يذكر:

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾

[الآية ٧٨]، وأن يقدم معجزة لقومه: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية ٧٨].

على أن في الكون آيات قائمة وبين أيديهم آيات قريبة، ولكنهم يغفلون عن تدبرها... هذه الأنعام المسخرة لهم من سحرها؟ وهذه الفلك التي تحملهم أليست آية يرونها؟ ومصارع الغابرين، ألا تثير في قلوبهم العظة والتقوى؟! وتُختم السورة بإيقاع قوي على مصرع من مصارع المكذبين وهم يرون بأس الله فيؤمنون، حيث لا ينفعهم الإيمان: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَيْسَ فَاكِ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ﴾.

ترابط الآيات في سورة «غافر» (*)

المشركين أخذوا في السورة السابقة بطريق الدليل على فساد اعتقادهم في شفعايتهم، وإن جاء فيه شيء من الترغيب والترهيب، وأخذوا في هذه السورة بطريق الترغيب والترهيب، وإن جاء فيه شيء من الطريق الأول.

التهديد بالترهيب والترغيب الآيات [١ - ١٢]

قال الله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝ تَزِيلُ
الَّذِينَ مِنَ اللَّهِ الْقَرِيزِ الْقَلِيلِ ۝﴾
فذكر، سبحانه، من صفاته أنه عزيز
عليم يغفر الذنب ويقبل التوب، ويأخذ
بالعقاب الشديد، وإليه المصير. وذكر
أنه لا يجادل في ذلك إلا الذين كفروا
به، ونهى النبي (ص) أن يفتخر في ذلك

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «غافر» بعد سورة
«الزمر»، وقد نزلت سورة «الزمر» بعد
الإسراء وقُبِيل الهجرة، فيكون نزول
سورة «غافر» في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم
لقوله تعالى في أولها: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ
وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ (الآية ٣)
وتبلغ آياتها خمساً وثمانين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة كالغرض من
السورة السابقة، وهو الحث على
إخلاص العبادة لله. ولهذا ذكرت
بعدها، والفرق بينهما في ذلك أن

(*) انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجميزة -
المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

بما اغتروا به من تقلّبهم في البلاد، فقد سبقهم إلى هذا الغرور من كان أشدّ منهم من قوم نوح والأحزاب من بعدهم، فكذبوا رسلهم وهُمّوا بهم لياخذوهم فأخذهم الله بعقابه وأهلكهم. ثم شرع السياق في الترغيب بعد التهيب، وذلك بالتذكير أن الملائكة يستغفرون لمن آمن به جلّ وعلا، ويطلبون منه أن يدخلهم ما وعدهم به من جناته. ثم عاد السياق إلى تهيب الكافرين بعذاب الآخرة بعد تهيبهم بعذاب الدنيا، إلى قوله تعالى في بيان السبب: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلَٰن يَشْرِكُ بِهِ قَوْمُؤُا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۝﴾.

الأمر بإخلاص العبادة لله الآيات [١٣ - ٥٤]

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ مَائِينَ. وَنَزَّلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝﴾ فذكر الدليل على تفرّده بالالوهية، وأمر بإخلاص العبادة له، ثم وصف نفسه، جلّ وعلا، بأنه رفيع الدرجات يختار لرسالته من يشاء لينذر يوم التلاقي. ومضى في تهيبهم بهذا اليوم إلى أن

ذَكَرَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلظَّالِمِينَ فِيهِ حَمِيمٌ وَلَا شَفِيعٌ مَّنَا يَعْدُونَهُ مِنْ دُونِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْضِي فِيهِ بِالْحَقِّ، وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ. ثم أخذ السياق في تهيبهم بما حصل لمن كفر قبلهم، وكانوا أشدّ منهم قوّةً وأثأراً في الأرض فلم تُغْنِ عنهم قوّتهم شيئاً ولا ألّتهم؛ وذَكَرَ من أخبار هؤلاء الكفار خبر فرعون وهامان وقارون مع موسى. وتمتاز قصتهم هنا بتفصيل ما كان فيها من مؤمن آل فرعون، إلى أن ذَكَرَ ما حاق بهم من سوء العذاب في دنياهم وأخراهم. وختم ذلك بما كان من نصر موسى وقومه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۝﴾ هُنَا وَيَذَكِّرُنِي لِأُولَى الْأَنْبِيَاءِ ۝

ختم السورة بالتهيب والترغيب الآيات [٥٥ - ٨٥]

ثم قال تعالى: ﴿فَأَسْبِرْ لِحُكْمِ اللَّهِ وَحَرِّقْ حَقًّا وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَسَيَجْزِيكِ رَبُّكَ بِالْعَمَلِ وَالْإِبْكَارِ ۝﴾ فأمر النبي (ص) بالصبر على هؤلاء المشركين المغترين بدنياهم، ووَعَدَهُ

بالنصر عليهم، كما نصر موسى وقومه على فرعون وهامان وقارون؛ وذكر سبحانه أن الذي يحملهم على الجidal في آياته بغير دليل تكبرهم أن يكونوا مرؤوسين، وما هم ببالغي ما يريدون من ذلك، فلا بُدَّ مِنْ تَحَقُّقِ وَعْدِ اللَّهِ عليهم، ومهما بلغوا فإنهم لا يُعْجِزُونَ الذي خلق السماوات والأرض؛ وخلق ذلك أكبر من خلق الناس. ثم ذكر سبحانه، أنه لا يستوي أمر المؤمنين وأولئك المتكبرين، وأن الساعة التي يفصل فيها بين الفريقين آتية لا ريب فيها؛ وأمر المؤمنين أن يستمروا على الإخلاص في عبادته ليستجيب لهم، وَيَقْبِلَهُمْ مِمَّا أَعَدَّهُ لِمَنْ يَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ. ثم ذكر ممَّا يوجب عبادته عليهم أنه، جلَّ وعلا، هو الذي جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرًا، إلى غير هذا مما ذكره من الآيات الدالة على قدرته وعظمته وتفضله وإنعامه. ثم بيَّن السياق العجَبَ، بعد هذا، من أولئك المتكبرين الذين يجادلون في آيات الله. ومضى في تهديدهم على

ذلك إلى قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا أَرْضَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلَّسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿١٥١﴾.

ثم أمر تعالى النبي (ص) بالصبر ووعده بالنصر عليهم، وذكر أنه سيره في الدنيا بعض الذي يَعِدُهُمْ، ثُمَّ يُرْجِعُهُمْ إِلَيْهِ فَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ أَشَدَّ انْتِقَامٍ، ولكلِّ من ذلك أجل يأتي فيه، وشأنه في ذلك شأن الرسل قبله، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، فإذا جاء أمره حلَّ وعده عليهم. وفي سياق ترغيبهم وترهيبهم ذكر تعالى أنه هو الذي جعل لهم الأنعام لركوبهم وأكلهم، إلى غير هذا مما ذكره من نعمة عليهم، ثم أمرهم أن يسيروا في الأرض لينظروا عاقبة الذين كفروا من قبلهم، وقد اغتروا بقوتهم فاستهزأوا برسولهم وفرحوا بما عندهم من العلم، فلما أخذهم الله بعذابه قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين: ﴿فَلَمَّا يَكُنْ يَنْقَعُهُمْ يُنْصِتُ لَهُمْ لَمَّا رَأَوُا رَسُولَ اللَّهِ أَتَاهُ أَلْقَى قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادَتِهِ وَخَيْرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾.

أسرار ترتيب سورة «غافر» (*)

فانظر إلى ثمانية الحواميم، وهي «فصلت»، كيف شابهت ثمانية ذوات (الر)، أي «هود» في تغيير الأسلوب في وصف الكتاب. في «هود»: ﴿كَتَبْتُ أُعِيكَتْ مَايَنْتُمْ ثُمَّ قُصِلْتُ ۝﴾ [الآية ١]، وفي فصلت: ﴿كَتَبْتُ قُصِلْتُ مَايَنْتُمْ ۝﴾ [الآية ٣]. وفي سائر ذوات (الر) ﴿يَلَكْ مَايَنْتْ أَلِكْتَبِ ۝﴾ (٣)، وفي سائر الحواميم: ﴿تَنْزِيلُ أَلِكْتَبِ ۝﴾ أو ﴿وَأَلِكْتَبِ ۝﴾ (٤).

وروي عن جابر بن زيد وابن عباس في ترتيب نزول السور: أن الحواميم

أقول: وجه إيلاء الحواميم السبع (١) سورة «الزمر»: تأخي المطالع في الافتتاح بتنزيل الكتاب. وفي مصحف أبي بن كعب: أول الزمر (حم) وتلك مناسبة جلية.

ثم إن الحواميم ترتبت لاشتراكها في الافتتاح بـ (حم)، وبذكر الكتاب بعد (حم)، وأنها مكينة، بل ورد في الحديث أنها نزلت جملة.

وفيها شبهة من ترتيب ذوات (الر) الست (٢).

(*) انتهى هذا البحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) الحواميم السبع هي: غافر، وفصلت والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

(٢) ذوات (الر) الست هي يونس، وهود، ويوسف، والرعد، (وأولها: المر) وإبراهيم، والحجر.

(٣) ولكن في إبراهيم ﴿كَتَبْتُ أَرْزَلْتُهُ لَيْلَكْ﴾ [الآية ١].

(٤) ولكن في فصلت: ﴿تَنْزِيلُ يَنْ أَرْزَلْتِي الرَّحِيمِ ۝﴾، وفي الشورى ﴿كَذَلِكَ يُرْسِنُ إِلَيْكَ وَيَلُكْ أَلَيْكَ يَنْ يَلَيْكَ اللَّهُ﴾ [الآية ٣].

نزلت عَقَبَ «الزمر»، وأنها نزلت متتاليات كترتيبها في المصحف: «المؤمن»، ثم «السجدة»، ثم «الشورى»، ثم «الزخرف»، ثم «الدخان»، ثم «الجاثية»، ثم «الأحقاف». ولم يتخللها نزول غيرها. وتلك مناسبة جلية واضحة في وضعها هذا.

ثم ظهر لي لطيفة أخرى، وهي: أنه في كل ربع من أرباع القرآن توالى سبع سور مفتتحة بالحروف المقطعة. فهذه السبع مصدرة بـ (حم) وسبع في الربع الذي قبله ذوات (الر) الست متوالية، و(المص) الأعراف، فإنها متصلة بـ «يونس» على ما تقدمت الإشارة إليه. وافتتح أول القرآن بسورتين من

ذلك، وأول النصف الثاني بسورتين^(١).

وقال الكرمانى في «المعانيب»^(٢): ترتيب الحواميم السبع لما بينها من التشاكل الذي خصت به، وهو: أن كل سورة منها استفتحت بالكتاب أو وصفه، مع تفارت المقادير في الطول والقصر، وتشاكل الكلام في النظام.

قلت وانظر إلى مناسبة ترتيبها، فإن مطلع غافر مناسب لمطلع الزمر، ومطلع فصلت التي هي ثانية الحواميم مناسب لمطلع هود، التي هي ثانية ذوات (الر) ومطلع الزخرف مؤاخ لمطلع الدخان، وكذا مطلع الجاثية لمطلع الأحقاف^(٣).

(١) كان حق الكلام (سبع سور) فنصف القرآن بالآيات في سورة الشعراء (الانقاف: ٢٤٣/١). وعليه يكون نصف القرآن مفتتحة بالشعراء، وأولها (طسم)، والنمل، (طس)، والقصص (طسم)، والعنكبوت (الم)، والروم (الم)، ولقمان (الم)، والسجدة (الم). وإذا اعتبرنا النصف المعروف لنا فالسورتان هما (مريم، وطه).

(٢) هو كتاب «باب التفسير وعجائب التأويل» لتاج الفراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى (خط). ولم نثر عليه مخطوطاً ولا مطبوعاً، انظر (معجم الأدباء ١٩/١٢٥). وقد ذكره الكرمانى في (أسرار التكرار في القرآن ص ١٨).

(٣) مطلع الزمر: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ أَفْوَ الْفَرِّيزِ لِلْفَكْرِ﴾^(١) ومطلع غافر: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ أَفْوَ الْفَهْرِ الْيَلِيهِ﴾^(٢). ومطلع هود: ﴿يَكُنْ أَنْكَتَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ هُجَّتْ﴾ [هود/١]. ومطلع فصلت: ﴿كُنْتُ فَعَلْتُ بَيْنَهُمْ فُرَاتًا مَرِيًّا﴾ [فصلت/٣]. وهكذا جميع المطالع التي ذكرها المؤلف.

مكنونات سورة «غافر» (*)

١ - ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ﴾ [الآية ٢٨]

أخرج ابن أبي حاتم عن السُّدِّي: أنه
ابن عم فرعون. وتقدّم الخلاف في
اسمه في الآية ٢٠ من سورة القصص.

٢ - ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ٥١.

قال زُيْد بنُ أَسْلَم: هم الشُّبَّيُون،
والملائكة، والمؤمنون.

وقال السُّدِّي: الملائكة فقط.
أخرجهما ابنُ أبي حاتم.

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «مفجعات الأقران في منبهات القرآن» للسُّبُوطي، تحقيق إِيَاد خَالِد الطَّبَّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

لغة التنزيل في سورة «غافر» (*)

المماثلة في الأبنية، فَيَحْسُنُ بذلك النظم.

ثم قال: ﴿ذِي الطَّلَوِّ﴾ فتم بذلك ما ذهبنا إليه من حسن هذه الديباجة العامة.

٢ - وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ مَكَرَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الآية ٨].

أردت أن أشير إلى أن الفصح «صَلَحَ» مثل كتب، الذي ورد في الآية، قد عُدِلَ عنه في اللغة المعاصرة خطأ إلى «فَعَلَ» مثل «عَظَمَ».

٣ - وقال تعالى: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية ٢١].
المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَارًا﴾

قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾.

أقول: ربما استطعنا أن نضع إشارات نقف عندها، فنَقْطَع هذه الآية على النحو الآتي:

غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير.

أقول: يتبين لنا من هذه التجزئة جمال هذا النظم البديع، الذي اتصفت به لغة القرآن، وعلى هذا يتفق إحصان النظم مع إحكام المعاني والأغراض.

ألا ترى أنه حين جاء قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ جاء بعده ﴿التَّوْبِ﴾ وليس «التوبة»، ليتوفر هذا النحو من

(*) انظر هذا المبحث من كتاب «بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

الحصون والقصور..

أقول: وهذا يؤيد قول المعاصرين في الكلام على مصنفات أحدهم من الكتب وغيرها: آثاره.

٤ - وقال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٧٧).

وهو من قولهم: «سَجَرَ الثُّور» إذا ملأه بالوقود.

أقول: وما زال هذا الفعل معروفاً في العامية الدارجة في العراق، وهو بالسين فيقولون سَجَرَ الثُّنُور، مرةً، وبالشين، سَجَرَ الثُّور أخرى.

وهم يتوسعون فيه فتقول الخبازة: خبزت «شجاراً» واحداً أو «شجارين» أي: ما يعدل إيقاد الثُّور بالوقود خبزاً في كل مرة.

البعاني اللغوية في سورة «غافر» (*)

قال تعالى: ﴿حَمَّ ۝ تَزِيلُ الْكَثِبِ ۝ مِنْ أَهْلِ الْقُرَيْشِ الْيَمِينِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ فهذا على البذل. وأما ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ فقد يكون معرفة لأنك تقول: «هذا ضاربٌ زيدٌ مُقْبِلًا» إذا لم ترد به التنوين. ثم قال سبحانه ﴿ذِي الطَّلَوِّ﴾ [الآية ٣] فيكون على البذل وعلى الصفة، ويجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على خبر المعرفة إلا في ﴿ذِي الطَّلَوِّ﴾ فإنه لا يكون فيه النصب على خبر المعرفة لأنه معرفة. و «التَّوْبُ» هو جماعة التَّوْبَةِ ويقال «عَؤْمَةٌ» و«عَؤْمٌ» في «عَؤْمٍ السَّيْفِيَّةِ». قال الشاعر: [من البسيط وهو الشاهد الخامس والستون بعد المتين].

عَؤْمُ السَّيْفِيَّةِ فَلَمَّا حَالَ ذُوْنُهُمْ
فَبَدَّ الْقُرْبَانَ فَالْفَشْكَانَ فَالْكَرَمَ
قال تعالى: ﴿وَقَعَتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ﴾ [الآية ٥] بالجمع على «الكُلِّ» لأن الكُلَّ مذكر معناه معنى الجماعة.

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝﴾ أي: لأنهم أو بأنهم وليس «أَنَّهُمْ» في موضع مفعول. ليس مثل قولك «أَحَقَّتْ أَنَّهُمْ».

وقال جلّ وعلا: ﴿وَسَيَقُتِلُ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ﴾ [الآية ٧] فانتنابا كانتناب: «لَكَ مِثْلُهُ عَبْدًا» بجعل «كُلُّ أُمَّةٍ» لـ «كُلُّ أُمَّةٍ» وهو مفعول به، والفاعل التاء، وجعل

(*) انقضي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

(الرَّحْمَةِ) و(الْعِلْم) تفسيراً قد شغل
عنهما الفعل، كما شغل «المِثْلُ»
بالبهاء، فلذلك نُصِبَ تشبيهاً بالمفعول
بعيد الفاعل.

وقال تعالى: ﴿يُنَادُونَكَ لَمَقْتُ اللَّهِ
أَكْبَرُ﴾ [الآية ١٠]. فهذه اللام هي لام
الابتداء: كأنه: ﴿يُنَادُونَكَ﴾ فيقال
لهم، لأنَّ النداء قول. ومثله في
الإعراب يقال: «لَزَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ
عَمْرٍو».

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ [الآية
١٦] بإضافة المعنى، فلذلك لا ينون
«اليوم» كما: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ
يُنْتَوُونَ﴾ [الذاريات] و ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا
يُطْفِئُونَ﴾ [المرسلات]. معناه: هذا
يوم فتنتهم. ولكن لما ابتداء الاسم
وبقي عليه، صار الجزأ أولى. وكانت
الإضافة في المعنى إلى الفتنة، وهذا
إنما يكون إذا كان «اليوم» في معنى
«إِذْ»، وإلا فهو قبيح.

ألا ترى أنك تقول «لَقَيْتُكَ زَمَنَ زَيْدٍ»
أميراً أي: إِذْ زَيْدٌ أمير. ولو قلت:
«لَقَاكَ زَمَنَ زَيْدٍ أمير»، لَمْ يَحْسَنَ.

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو
الْعَرِّشِ﴾ [الآية ١٥] على الابتداء.

والنصب جائز لو كان في الكلام على
المدح.

وقال سبحانه: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾
[الآية ١٦]. فهذا على ضمير «يَقُولُ».

وقال تعالى: ﴿إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَظِيمٌ﴾ [الآية ١٨]. فانتصاب
﴿كَظِيمٌ﴾ على الحال، كأنَّ المعنى:
«القلوبُ لدى الحَنَاجِرِ في هذه
الحال».

وقال تعالى: ﴿عَلَّ كَلِّ قَلْبٍ
مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [١٥]. فمن نَوْنُ جعل
(المتكبر الجبار) من صفته، ومن لم
ينون أضاف (القلب) إلى (المتكبر).

وقال تعالى: ﴿يَهَيِّئُنَّ آيَاتِي لِي﴾ [الآية
٣٦]. بعضهم يضم النون كأنه أَتْبَعَهَا
ضمة النون التي في (هَامَان) كما قالوا:
«مِئْتَيْنِ» فكسروا الميم للكسرة التي في
التاء، وبينها حرف ساكن فلم يُحْلَ.
وكذلك لم تُحْلِ الباء في قوله تعالى:
﴿آيَاتِي لِي﴾.

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنَ سَوْءُ
الْعَذَابِ﴾ [١٥] ﴿النَّارُ﴾ [الآية ٤٦]. فإن
شئت جعلت ﴿النَّارُ﴾ بدلا من سَوْءُ
الْعَذَابِ [١٥] ورفعتها على ﴿وَحَاقَ﴾،
وإن شئت جعلتها تفسيراً ورفعتها على

الابتداء كأنك تقول: «هي النار» وإن شئت جززت على أن تجعل ﴿النَّارِ﴾ بدلا من ﴿الْعَذَابِ﴾ كأن المراد: «سوء النار».

وقال تعالى: ﴿عَذْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٥١﴾ وفيه ضمير يقال لهم أَدْخِلُوا يَا آلَ فِرْعَوْنَ: ﴿عَذْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ٥١﴾ فإنما هو مصدر كما تقول: «آتيه ظلاماً» تجعله ظرفاً وهو مصدر جعل ظرفاً، ولو قلت «مَوْعِدُكَ غَدِيرَةٌ» أو «مَوْعِدُكَ ظِلَامٌ» فرفعته كما تقول: «مَوْعِدُكَ يَوْمَ الجمعة»، لم يَحْسُنَ لَأَنَّ هذه المصادر وما أشبهها من نحو «سُخْرٍ» لا تجعل إلا ظرفاً، والظرف كله ليس بمتمكن.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ٥٢﴾ [٢٤٨] بجعل ﴿كُلٌّ﴾ اسماً مبتدأ، كما تقول: «إِنَّا كُلُّنا فيها».

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ٥٣﴾ و (تَقُومُ)^(١) كل جائر، وكذلك كل جماعة مذكر أو مؤنث من

الإنس، فالتذكير والتأنيث في فعله جائز.

وقال تعالى: ﴿وَسَيَحْمَدُكَ رَبُّكَ بِالْعِشْقِ وَالْإِكْرَامِ ٥٤﴾ أي «فسي الإيكار». وقد تقول «بالدار زَيْدٌ» تريد «زَيْدٌ في الدار».

وقال تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ لَكَ ٥٥﴾ [الآية ٦٠] ف قوله سبحانه: ﴿أَنْعَمْتَ﴾ إنما هو «أَفْعَلُ» [وما] هذه الألف سوى ألف الوصل. ألا تَرَى أَنَّكَ تقول: «بَعَثْتُ» «تَبَيَّعْتُ» ثم تقول «أَبَيْعْتُ» فتجيء فيها ألف لـ «أَفْعَلُ» فهي نظير الياء والياء في «يَفْعَلُ» و «تَفْعَلُ» تقطع كل شيء كان على «أَفْعَلُ»، في وصل كان أو قطع.

وقال تعالى: ﴿كُنَّا لَكُمْ بَعَاءً ٥٦﴾ [٢٤٧] «فالتَّبَعُ» يكون واحداً وجماعةً، ويُجمع فيقال «آتباع».

وقال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُوا مِنْهَا ٥٧﴾ [الآية ٧٩] فكان السياق أضمر «شَيْئاً».

وقال سبحانه: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٥٨﴾ وقال جل وعلا:

(١) في الطبري ٧٥/٢٤ نسبت القراءة بالناء على التأنيث الى بعض أهل مكة، وبعض قراء البصرة؛ وفي البحر ٧/ ٤٧٠ إلى ابن هرمز وإسماعيل هوالمقري، عن أبي عمرو.

﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء).
 فيجوز أن يكون آل فرعون أُدْخِلُوا مع
 المنافقين في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ، وهو أَشَدَّ
 العذاب.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْرَبُوا السَّاعَةَ﴾ (البقرة)
 ﴿لَا تُقْرَبُوا السَّاعَةَ﴾ (البقرة)
 [المائدة]. فقوله جَلَّ شَانُهُ: ﴿لَا تُقْرَبُوا
 السَّاعَةَ﴾ من عَالَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ.



لكل سؤال جواب في سورة «غافر» (*)

قلنا: الحكمة إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء (ع) بالصلاح والإيمان في غير موضع من كتابه.

فإن قيل: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَنشَأْتَ لَنَا لَحْيَيْنَ وَأَحْيَيْتَنَا أَتُنتَبِهُنَّ﴾ [الأنبياء ١١] كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتاً إمامة؟

قلنا: هذا كما تقول: سبحانه مَنْ صَغُرَ جِسْمُ الْبَعُوضَةِ وَكَبُرَ جِسْمُ الْفِيلِ، وكما تقول للحفّار: ضَيْقُ فَمِ الرِّكْبَةِ وَوَسْعُ أَسْفَلِهَا، وليس فيهما نقل من كبر إلى صغر ومن صغر إلى كبر، ولا من سعة إلى ضيق ولا من ضيق إلى سعة؛ وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات. والسبب في صحته أن الصَّغَرَ

إن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿مَا يَجْعَلُ فِي عَذَابِكُمْ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء ١١].

مع أن الذين آمنوا يجادلون أيضاً فيها، أمستوخة هي أم محكمة؟ أنها مجاز أم كلها حقيقة؟ أمخلوقة هي أم قديمة؟ وغير ذلك.

قلنا: المراد الجدال فيها بالتكذيب، ودفعها بالباطل والطعن بقصد إدحاض الحق وإطفاء نور الله تعالى، ويدل عليه قوله تعالى عقيب: ﴿وَجَعَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الأنبياء ٥].

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى في وصف حَمَلَةِ الْعَرْشِ: ﴿وَرُؤُوسُهُنَّ يَدُورُ﴾ [الأنبياء ٧] ولا يخفى على أحد أن حملة العرش يؤمنون بالله تعالى؟

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المعجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

والكَبَرِ جائزان معاً على ذات المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة؛ وإذا اختار الصانع أحد الجائزين، وهو متمكن منهما على السواء، فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه عنه كقله منه.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [الآية ١٦] بيان وتقرير لبروزهم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ [الآية ١٦] والله تعالى لا يخفى عليه شيء، برزوا أولم يبرزوا؟

قلنا: معناه لا يخفى على الله منهم شيء في اعتقادهم أيضاً، فإنهم كانوا في الدنيا يترحمون إذا تستروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت].

فإن قيل: لِمَ قال المؤمن في حق موسى (ع) كما ورد في التنزيل: ﴿وَلَيْنَ بِكَ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [الآية ٢٨] مع أنه صادق في زعم القائل لهذا القول، وفي نفس الأمر أيضاً، ويلزم من ذلك أن يصيبهم جميع ما وعدهم لا بعضه فقط؟

قلنا: فيه وجوه: أحدها أن لفظة

بعض صلة. الثاني: أنها بمعنى «كل» كما في قول الشاعر:

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا الْأَخْدَاتُ ذَبَرَهَا
دُونَ الشُّيُوخِ تَرَى فِي بَعْضِهَا خَلَا
ومنه قول لبيد:

أَوْ لَمْ تَكُنْ تُذْهِبُ نُورًا بِأَنْفِي
وَصَالٌ عَقْدِ خَبَائِلِ جَدَّاهَا
تَرَكَ أَمَكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا

أو يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ جَمَائِهَا
قلنا: ولقائل أن يقول: إن لفظة

بعض في البيتين على حقيقتها، وكنى لبيد ببعض النفوس عن نفسه، كأنه قال: أتركها إلى أن أموت، وكذا فسره ابن الأنباري؛ على أن أبا عبيدة قال: إن لفظة «بعض» في الآية بمعنى كل، واستدل بيت لبيد؛ وأنكر الزمخشري على أبي عبيدة هذا التفسير؛ على أن غير أبي عبيدة قال في قوله تعالى حكاية عن عيسى (ع) لأمته: ﴿وَلَا يَنْفَكُ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف/٦٣] أن لفظة «بعض» فيه بمعنى كل.

الثالث: أنها على أصلها. ثم في ذلك وجهان: أحدهما أنه وعدهم النجاة إن آمنوا، والهلاك إن كفروا، فذكر لفظة بعض لأنهم على إحدى الحالتين لا

محالة. الثاني أنه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، وكان هلاكهم في الدنيا بعضاً، فمراده: يصيبكم في الدنيا بعض الذي يعدكم. الرابع: أنه ذكر البعض بطريق التنزل والتلطف وإمحاض النصيحة من غير مبالغة ولا تأكيد، ليسمعوا منه ولا يثبموا، فيردوا عليه وينسبوه إلى ميل إلى موسى (ع) ومحابة؛ فكأنه قال: أقل ما يصيبكم البعض فيه كفاية؛ قال الشاعر:

قَدْ يُذْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ

وقد يكون من المستعجل الزلزل
كأنه يقول أقل ما يكون في الثاني إدراك بعض المطلوب، وأقل ما يكون في الاستعجال الزلزل، فقد بان فضل الثاني على العجلة بما لا يقدر الخصم على دفعه وردّه. والوجه الرابع هو اختيار الزمخشري رحمة الله عليه.

فإن قيل: التولي والإدبار واحد، فما الحكمة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ [الآية ٢٣]؟

قلنا: هو تأكيد، كقوله تعالى: ﴿فَعَزَّ عَلَيْهِمُ السَّعْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل/٢٦] ونظائره كثيرة. الثاني: أنه استئثاراً لحميتهم، واستجلاباً لأنفسهم،

لما في لفظ «مدبرين» من التعريض بذكر الدبر، فيصير نظير قوله تعالى: ﴿وَيُولَوْنَ الْاُدْبُرَ﴾ [النمر].

فإن قيل: ما الحكمة في التكرار في قوله تعالى: ﴿لَمَّا أَتَيْنَا أَتَيْنَا بِالسَّمَاءِ﴾ [الأنعام/١٦٠]؟

قلنا: إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه وتعظيماً لمكانه، فلما أريد تفخيماً ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمت ثم أوضحت.

فإن قيل: مثل السيئة سيئة، فما المقصود في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا سِئَلَهَا﴾ [الآية ٤٠]؟

قلنا: معناه أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لا يزيد على المقدار المستحق، وأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير حساب كما قال تعالى في آخر الآية.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْنَاءَ﴾ [الأنعام/١٦٠] ينافي ذلك.

قلنا: ذلك لمنع النقصان لا لمنع الزيادة، كما قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتًى زَيْدًا﴾ [يونس/٢٦].

فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿وَقَالَ

الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴿الآية ٤٩﴾
ولم يقل: وقال الذين في النار لخزنتها
مع أنه أوجز؟

قلنا: لأن في ذكر جهنم تهويلاً
وتفظيلاً. وقيل إن جهنم هي أبعد النار
قعرأ، وخزنتها أعلى الملائكة الموكلين
بالنار مرتبة، فإثماً قصدهم أهل النار
بطلب الدعاء منهم لذلك.

فإن قيل: لِمَ قال المشركون كما ورد
في التنزيل: ﴿بَلْ لَرَّ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ
شَيْئًا﴾ [الآية ٧٤] مع قولهم كما ورد في
التنزيل أيضاً: ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ
كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾ [النحل/٨٦]؟

قلنا: معناه أن الأصنام التي كنا

نعبدوها لم تكن شيئاً لأنها لا تنفع ولا
تضر. الثاني أنهم قالوا كذباً وجحوداً،
كقولهم كما ورد في التنزيل: ﴿وَأَقْرَبُنَا
مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام].

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَعَلَى
الْفُلْكِ تَحْمِلُونُ﴾ [٨٥] ولم يقل: وفي
الفلك تحملون، كما قال سبحانه:
﴿قُلْنَا أَمِمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
اثنَيْنِ﴾ [هود/٤٠]؟

قلنا: معنى الوعاء ومعنى الاستعلاء
كلاهما صحيح في الفلك، لأنه وعاء
لمن يكون فيه وحمولة لمن يستعليه؛
فلما صح المعنيان استقامت العبارتان
معاً.

المعاني المجازية في سورة «غافر» (*)

وفي قوله سبحانه: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يُؤَيِّدُ بِيَوْمِ الثَّلَاثِ﴾ استعارتان. إحداهما قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ والمعنى: أن منازل العز، ومراتب الفضل التي يخص بها عباده الصالحين، وأوليائه المخلصين رفيعة الأقدار، مشرفة المنار.

فالدرجات المذكورة هي التي يرفع عباده إليها، لا التي يرتفع هو بها، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ والروح ههنا كناية عن الوحي كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَزَيَّنَّا لِكَرِيمٍ رُوحًا

في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [الآية ٧]. استعارة: لأن حقيقة السعة إنما توصف بها الأوعية والظروف التي هي أجسام، ولها أقدار ومساحات، والله سبحانه يتعالى عن ذلك.

والمراد، والله أعلم، أن رحمتك وعلمك وسعاً كل شيء، فنقل الفعل إلى الموصوف على جهة المبالغة كقولهم: طَبِثَ بهذا الأمر نفساً، وضِقت به ذرعاً. أي طابت نفسي، وضاق ذرعي. وجعل العلم موضع المعلوم؛ كما جاء قوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] أي بشيء من معلومه.

(*) انقضي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

يَنْ أَمْرًا ﴿الشورى/ ٥٢﴾ وَإِنَّمَا سُمِّيَ
روحاً لَأَنَّ النَّاسَ يَحْيَوْنَ بِهِ مِنْ مَوْتِ
الضَّلَالَةِ، وَيُثَرِّوْنَ مِنْ مَدَافِنِ الْغَفْلَةِ.
وذلك أَحْسَنُ تَشْبِيهِ، وَأَوْضَحُ تَمْثِيلِ.

وفي قوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ
الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿٥١﴾
استعارة. والمراد بخائنة الأعين، والله
أَعْلَمُ، الرُّبِّبَ فِي كَسْرِ الْجِفُونِ، وَمِرَامِزِ
الْعِيُونِ.

وسمى سبحانه ذلك خيانة، لأنه
أَمَارَةٌ لِلرُّبِّيَّةِ، وَمُجَانِبٌ لِلْعَقَّةِ.

وقد يجوز أن تكون خائنة الأعين
لهنا صفةً لبعض الأعين بالمبالغة في
الخيانة، على المعنى الذي أشرنا إليه.
كما يقال علامة، ونسابة.

وأشددوا قول الشاعر في مثل ذلك:
خَدُّنْتَ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
بِلِقْدَرِ خَائِنَةٍ مُغْلٍ الْإِصْبَعِ

أي لم تكن موصوفاً بالمبالغة في
الخيانة. ومعنى مغلٍ الإصبع: سارق
مختلس.

وأضاف الأغلال إلى الإصبع، كما
أضاف الآخر^(١) الخيانة إلى اليد في
قوله:

أَوَلَيْسَتْ الْمِرَاقُ وَرَافِذِيهِ
فَزَارِيَا أَحَدُ يَدِ الْقَمِيصِ
أي خفيف اليد في السرقة والأخذ
الخفيف السريع. وعنى يرافذه: دجلة
والفرات.

وإنما ذكرت اليد والإصبع في هذين
الموضعين، لأنَّ فعل السارق
والمختلس في الأكثر إنما يكون
باستعمال يده، واستخدام أصابعه.

(١) هو الشاعر الفرزدق. والبيت من أبيات في ديوانه، وقد أشار إليه ابن فتيبة في مقدمته لكتابه «الشعر والشعراء»
ص ٣٤، وهو يتحدث عن التكلف وضرورات الغافية. والفرزدق يخاطب الخليفة يزيد بن عبد الملك شاكياً
عمر بن هبيرة.

وفي «أساس البلاغة» للزمخشري، روي هذا البيت هكذا:

بعثت على العراق ورافديه فزارينا أحد يد القميص

سورة فُجِّلَتْ



أهداف سورة «فصلت» (*)

«فصلت»، هو عرض أهداف الدعوة الجديدة، وأركانها وحقائقها الأساسية، وهذه الحقائق هي:

الإيمان بالله وحده، وبالحياء الآخرة، وبالوحي والرسالة، ويضاف إلى ذلك طريقة الدعوة إلى الله وَخُلِقَ الداعية.

وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق، واستدلال عليها، وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق، وتحذير من التكذيب بها، وتذكير بمصارع المكذبين في الأجيال السابقة، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة، وبيان أن المكذبين من الجن والإنس هم وَخَذَهُمُ الَّذِينَ لَا يَسْلَمُونَ بهذه الحقائق، ولا يستسلمون لله وحده،

سورة «فصلت» سورة مكية نزلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة وآياتها ٥٤ آية نزلت بعد سورة «غافر».

أسمائها: تسمى سورة «فصلت» لقوله تعالى في أوائلها:

﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وتسمى سورة «حم السجدة» لاشتغالها على السجدة، وسورة «المصايح» لقوله تعالى:

﴿وَرَبِّنَا أَسْمَاءُ الدُّنْيَا بِمَصْنَبٍ وَجَفَّتْ دَلِيلُ تَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٢).

روح السورة

الروح الساري بين آيات سورة

(*) انقضي هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

بينما السماء والأرض والشمس والقمر
والملائكة... كلهم يسجدون لله،
ويخضعون لأمره، ويسلمون
ويسلمون.

موضوعا السورة

في سورة «فصلت» موضوعان اثنان:

الموضوع الأول

يستغرق نصف السورة الأول الآيات
[١ - ٣٦]، ويبدأ بالآيات التي تتحدث
عن تنزيل الكتاب وطبيعته، وموقف
المشركين منه، وتليها قصة خلق السماء
والأرض، فقصة عاد وثمود،
فمشهدهم في الآخرة تشهد عليهم
الأسماع والأبصار والجلود. ومن هنا
يرتد السياق إلى الحديث عنهم في
الدنيا وكيف ضلّوا هذا الضلال، فيذكر
أن الله سبحانه قيّض لهم قرّناء سوء من
الجن والإنس، يزيّنون لهم ما بين
أيديهم وما خلفهم، ومن آثار هذا
قولهم، كما ورد في التنزيل: ﴿لَا
تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَأَتَّكِرُ
قَوْلِي﴾ ﴿٣٦﴾.

ثم موقفهم يوم القيامة حانقين على
هؤلاء الذين خدعهم من قرناء الجن

والإنس. وفي الجهة الأخرى نجد
الذين قالوا: ربّنا الله، ثم استقاموا.
وهؤلاء تنزل عليهم الملائكة، لا قرناء
السوء، يطمئنونهم ويبرّونهم ويعلنون
ولايتهم لهم في الدنيا والآخرة؛ ويلي
هذا ما جاء عن الدعوة والداعية،
وبذلك ينتهي الموضوع الأول.

الموضوع الثاني

تتحدّث الآيات [٣٧ - ٥٤] عن
آيات الله من الليل والنهار، والشمس
والقمر، والملائكة العابدة، والأرض
الخاشعة، والحياة التي تهتزّ فيها وتربو
بعد الموات. ويلي هذا الحديث عن
الذين يلحدون في آيات الله وفي كتابه.
وهنا يجيء ذلك الحديث عن هذا
الكتاب، ويشار إلى كتاب موسى
واختلاف قومه فيه، وأنه لولا سبّؤ
حكمه بامهالهم لعُجل بقضائه بينهم.

وهنا يردّ حديث عن الساعة
واختصاص علم الله بها، وعلمه بما
تُكبّئ الأكمّام من ثمرات، وما تُكبّئ
الأرحام من أنسال، ويعرض مشهد
الكافرين وهم يسألون عن الشركاء.
يلي هذا الحديث عن النفس البشرية
عارية من أستارها، ومع حرص

الإنسان على نفسه هكذا، فإنه لا يحتاط لها، فيكذب ويكفر، غير محتاط لما يَغُفُّب هذا التكذيب من دمار وعذاب.

وَتُخْتَمُ السُّورَةُ بِوَعْدٍ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، أَنْ يَكْشِفَ لِلنَّاسِ عَنْ آيَاتِهِ، فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ. وَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ وَغَدَهُ، فَكْشَفَ لَهُمْ عَنْ آيَاتِهِ فِي الْآفَاقِ خِلَالَ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ قُرْآنًا، الَّتِي تَلَّتْ هَذَا الْوَعْدَ، فَعَرَفُوا كَثِيرًا عَنْ مَادَّةِ هَذَا الْكَوْنِ، وَعَرَفُوا أَنَّ أَسَاسَ بِنَاءِ هَذَا الْكَوْنِ هُوَ الذَّرَّةُ، وَأَدْرَكُوا أَنَّ الذَّرَّةَ تَتَحَوَّلُ إِلَى الْإِشْعَاعِ، كَمَا فَهَمُوا أَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ مِنَ الْإِشْعَاعِ.

وعرفوا الكثير عن كروية الأرض، وحركتها حول نفسها، وحول الشمس؛ وعرفوا الكثير عن المحيطات والأنهار، والمخبوء في جوف الأرض من الأرزاق.

وفي آفاق النفس اهتدى الإنسان إلى معرفة الكثير عن خصائص الجسم البشري وأسراره، ووظائفه وأمراضه، وغذائه وتمثيله، وأسرار عمله وحركته، ثم عن تطوُّر المعرفة حول ذكاء الإنسان، ونفسية الأفراد والجماعات، وقياس السلوك، ولا يزال الإنسان في الطريق إلى اكتشاف نفسه، واكتشاف الكون من حوله، حَتَّى يَجُزَّ وَغَدُ اللَّهِ بِأَنَّ كَلِمَاتِهِ حَقٌّ، وَآيَاتِهِ صَدَقَ، وَكِتَابُهُ مُتَزَلٌّ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ... قَالَ تَعَالَى:

﴿سَتُريَهُمْ يَئِينَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٢﴾﴾.

ترابط الآيات في سورة «فصلت» (*)

السابقة، وهذا هو وجه ذكرها بعدها. وقد جمع فيها بين الأخذ بالترغيب والترهيب، والأخذ بالدليل أيضاً.

بيان الغرض من نزول القرآن الآيات [١ - ٣٢]

قال الله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝﴾ فذكر، سبحانه، أن القرآن تنزيل منه، وأنه كتاب فصلت آياته ليكون بشيراً ونذيراً للناس، فأعرض أكثرهم عنه وقالوا استهزاء بوعيده، كما ورد في التنزيل: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ۝﴾ وقد أمر النبي (ص) أن يجيبهم عن هذا بأنه بشر مثلهم، فليس له شيء من أمر عقابهم، وما

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «فصلت» بعد سورة «غافر»، ونزلت سورة «غافر» بعد الإسراء، وقبل الهجرة، فيكون نزول سورة فصلت في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها: ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُنَا فُرْقَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾ وتبلغ آياتها أربعاً وخمسين آية.

الغرض منها وترتيبها

ترمي من هذه السورة إلى بيان الغرض من نزول القرآن، وهو التبشير بالشواب والإنذار بالعقاب، وهي بهذا تكاد تتفق في الغرض مع السورة

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعدي، مكتبة الآداب بالجميزة - المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

شرف الغرض الذي تدعو اليه الآيات [٣٣ - ٥٤]

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ فذكر شرف الغرض في الدعوة إلى الله، وأمر رسوله (ص) أن يقابل في دعوته إساءتهم بالحسنة، وأن يستعيد بالله جلّ وعلا إذا نزع من الشيطان نزعاً من الغضب؛ ثم ذكر سبحانه أن من آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ونهاهم جلّ شأنه أن يسجدوا للشمس والقمر، وأمرهم بالسجود له تعالى، فإن استكبروا فلا ينقص ذلك شيئاً من سلطانه؛ وتسيح الملائكة له سبحانه لا ينقطع إقراراً وإذعائاً. ثم ذكر السياق أن من آيات الله إحياء الأرض بالمطر، ليبين لهم أنّ الذي يحيي الأرض قادر على إحياء الموتى، وانتقل السياق من ذلك إلى تهديدهم على إلحادهم في آياته بعد إحيائهم.

ثم عاد هذا السياق إلى تهوين أمر إساءتهم للرسول (ص) ليؤكد ما أمره من مقابلتها بالحسنة، فذكر أنّه لا يقال له إلا ما قد قيل للرسول من قبله، فلا يصح أن يضيق صدره بما قالوه في أول

عليه إلا أن يبلغهم ما يؤخى إليه من دعوتهم إلى وحدانية الله، وإنذارهم بالويل والهلاك إن لم يؤمنوا به، وتبشير المؤمنين بأن لهم أجراً غير ممنون. ثم أخذ السياق يبين لهم قبح كفرهم به، فذكر أنهم يكفرون بالذي خلق الأرض في يومين. ومضى هذا السياق في ترتيب أيام خلق الأرض والسموات، ثم أنذرهم إن أعرضوا عن الإيمان بالله تعالى، بعد ذلك، بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. وأخذ في تفصيل ما حصل لهم من ذلك في دنياهم، ثم ذكر ما يحصل لهم بعد حشرهم من شهادة سمعهم وأبصارهم وجلودهم عليهم، إلى غير هذا مما ذكره من أمر آخرتهم، ثم عاد إلى ذكر إعراضهم عن إنذار القرآن لهم، فذكر أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَأَنَّكُمْ تَتْلُونَ﴾. ثم هذدهم جلّ جلاله على ذلك بما أعده لهم من العذاب الشديد، وذكر ما أعده للمؤمنين من حسن لقاء الملائكة لهم، إلى قولهم في لقائهم لهم ﴿تَزَلَّ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

السورة من أن في قلوبهم أكثفة مما يدعوهم إليه، إلى غير هذا مما حكى عنهم، وعليه أن يشتغل بالتبليغ ويفوض أمره إلى الله سبحانه؛ فهو ذو مغفرة وذو عقاب أليم. ثم ذكر السياق أنه سبحانه لو جعله قرآناً أعجمياً، ولم يفضل آياته بالعربية كما فضله، لقالوا: لولا فضل آياته، لأنهم متعنتون لا يرضيهم شيء. وذكر أنه هُدى وشفاء للمؤمنين، وأن غيرهم في آذانهم وقْر وهو عليهم عَمى، فلا عيب فيه وإنما العيب فيهم. ثم ذكر تعالى أنه أتى موسى التوراة قبله فاختلف فيها كما اختلف هؤلاء المشركون في القرآن بين مصدق ومكذب، وأنه لولا سَبْقُ حكمه بإمهالهم لعجل بقضائه بينهم، فذكر أن من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها. وذكر أن موعد ذلك مما اختص هو جل جلاله بعلمه، فإذا أتى يومه ناداهم أين شركائي؟ فيتبرأون من إثبات الشركاء له. ثم بين أن إنكارهم لهم في الآخرة بعد إقرارهم بهم في

الدنيا هو شأن الإنسان لا يثبت على حال، فإن أقبلت عليه الدنيا لا ينتهي إلى درجة إلا ويطلب أزيد منها، وإن أدبرت عنه بالغ في اليأس والقنوط، وإن عاودته النعمة، اغتر بها، وظن أنها حق له لا يزول عنه؛ وأنه لا ساعة قائمة؛ ولئن كان هناك ساعة ورجع إلى ربه ليحسننْ إليه. ثم يمضي في إعراضه وينأى بجانبه، فإذا منه الشر بعد ذلك عاد إلى الإكثار من دعائه.

ثم ختم بذكر ما يوجب عليهم أن يحتاطوا في أمرهم، فأخبرهم بأنه على تقدير أن يكون القرآن من عنده، يكون كفرهم به من أعظم موجبات العقاب. ثم ذكر أنه سيرهم ما أوعدهم به في الآفاق وفي أنفسهم. ويراد بالآفاق، والله أعلم، فتح البلاد المحيطة بهم، وبأنفسهم فتح مكة، وبهذا يتبين لهم أنه الحق: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۖ﴾ ﴿آلَآءُ اللَّهِ ۖ إِنَّمَا فِي مَرْيَمَٰ زَيْنَ يَاقَانَ رَبَّهُمْ ۖ﴾ ﴿آلَآءُ اللَّهِ ۖ إِنَّمَا يَكُلُ الْفَالُ﴾.

مكنونات سورة «فطت» (*)

إبليس، وابن آدم، الذي قتل أخاه.
أخرجه ابن أبي حاتم^(١).

٣ - ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى
أَلْفٍ﴾ [الآية ٣٣].

قَالَ الْحَسَنُ: هو النبي (ص) أخرجه
ابن أبي حاتم^(٢).

١ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا
الْقُرْآنِ﴾ [الآية ٢٦].

قيل: إن قائلها أبو جهل. ذكره ابن
عسكرو.

٢ - ﴿رَمَىٰ آدَمَ الَّذِينَ أَصْلَلْنَا مِنْ الْجِنَّ
وَالْإِنْسِ﴾ [الآية ٢٩].

قال علي بن أبي طالب: هما

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «مفجعات الأقران في منبهات القرآن» للبطي، تحقيق إباد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) والطبري ٢٤ / ٧٢.

(٢) والطبري ٢٤ / ٧٥.

لغة التنزيل في سورة «فصلت» (*)

١ - قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ سَمَانٌ مُّثَلَّ ذُلَّ لَهَا وَالْأَرْضُ أُنْتَبِهَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ أَنُنَبِّئُ عِبَادَهُمْ﴾.

أقول: لما أنزلت السماء والأرض منزلة آدميتين، وذلك ظاهر من الآية في إسناد القول لهما، وُصِفَتَا بصفة العقلاء فقيل: ﴿عَلَّامِينَ﴾، وهذه الصفة جمع مذكر للعاقل وهي منصوبة على الحال، وصاحبها مثنى، وهذا موطن هذه المسألة اللطيفة، ولا أستطيع أن أقول إلا أن هذا من أسلوب القرآن الذي اقتضت حكمته أن يأتي على هذه الصورة خدمة لهذا النظم البديع.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَعِثُّوْا فَمَا مِنْ الْمُعْتَصِينَ﴾ [الآية ٢٤].

والمعنى: وإن يسألوا العُثْبَى، وهي الرجوع بهم إلى ما يحثون، جزءاً مما هم فيه لم يُعْثَبُوا، أي، لم يُعْطُوا العُثْبَى، ولم يُجَابُوا إليها.

٣ - وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا عَلَى الْأَرْضِ أَغْرَضَ وَقَتًا بِحَاثِيَةٍ﴾ [الآية ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَتًا بِحَاثِيَةٍ﴾، أي: ثنى عطفه، وازور وتولى بركنيه.

أقول: وفي قوله تعالى ﴿وَقَتًا بِحَاثِيَةٍ﴾، تصوير لحاله، وهو يتنكر ويزور فيتعد بجثيه إشارة إلى رفضه.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السافرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

المعاني اللغوية في سورة «فصلت» (*)

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ [الآية ٣] فالكتاب خبر المبتدأ، أخبر به أن التنزيل كتاب ثم قال سبحانه: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية ٣] بشغل الفعل بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل، نصب «القرآن».

وقوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [الآية ٤] حين شغل عنه. وإن شئت جعلته نصباً على المدح، كأنه حينما أقبل سبحانه على مدحه فقال: «ذُكِّرْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا بَشِيرًا وَنَذِيرًا» أَوْ «ذُكِّرْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» وكان فيما مضى من ذكره دليل على ما

أضمر، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ جَبَابٌ﴾ [الآية ٥] معناه، والله أعلم، «وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ جَبَابٌ»، ولكن دخلت «مِنْ» للتوكيد^(١).

وَأَمَّا نَضَبُ ﴿سَوَاءٌ لِّلشَّٰكِلِينَ﴾^(٢) فبجعله مصدراً كأنه قال «استواء»^(٣) وقد قرئ بالجزم^(٤) وجعل اسماً للمستويات أي: في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ تَامَةٍ.

وأما قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية ٩] ثم قال: ﴿أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ﴾ [الآية ١٠] فإنما يعني أن هذا مع الأول،

(١) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

(٢) نقله في زاد المسير ٧ / ٢٤١.

(٣) النصب قراءة عاصم وحزمة كما في معاني القرآن ٣ / ١١٢ وفي الطبري ٩٨ / ٢٤ إلى عامة قراء الأمصار، إلا أبا جعفر، والحسن البصري، وأبا جعفر الفارسي، وفي البحر ٧ / ٤٨٦.

(٤) في معاني القرآن ٣ / ١٢ نسبت إلى الحسن، وفي الطبري ٩٨ / ٢٤ كذلك، وزاد في الجامع ١٥ / ٣٤٣ يعقوب الحضرمي، وفي البحر ٧ / ٤٨٦ زاد زيد بن علي، وابن أبي اسحاق، وعمر بن عبيد وعيسى.

أربعة أيام، كما تقول «تَزُوْجْتُ أُنْسٍ
أمرأة، واليوم اثنتَين» وإحادهما التي
تزوجتها أُنْس^(١).

وقال تعالى: ﴿وَرَبَّنَا أَلَمَّ الْأَدْنَى
بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا﴾ [الآية ١٢] كأنه سبحانه
قد قال «وَحَفِظْنَاَهَا حِفْظًا»، لأنه حين
قال سبحانه:

﴿وَرَبَّنَا أَلَمَّ الْأَدْنَى بِمَصْبِيحٍ﴾ قد
أخبر أنه نظر في أمرها، وتعاهدَهَا،
فهذا يدل على الحِفْظ؛ كأن السياق:
«وَحَفِظْنَاَهَا حِفْظًا».

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الْأَزْزَى
أَنْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الآية ٢١] فجاء اللفظ
بهم، مثل اللفظ في الإنس، لما خبر
عنهم بالنطق والفعل، كما قال تعالى:
﴿يَكَايَهُمَا أَنْتَمُلُ أَدْخُلُوا مَنَاكَكُمْ﴾ [النمل/

١٨] لَمَّا عَقِلْنِ وتكَلَّمْنِ صزن بمنزلة
الإنس في لفظهم، قال الشاعر [من
الرجز وهو الشاهد الخامس والثلاثون
بعد المثين]:

فَصَبَحْتُ وَالطُّيْرُ لَمْ تَكَلِّمْ
جَابِيَةً طُمْتُ بِسَيْلٍ مُفْعَمٍ^(٢)

وقال تعالى، حكاية على لسان الذين
كفروا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لَنَا الْقُرْآنَ وَالْقَوَا
يُودِ﴾ [الآية ٢٦] أي: لا تطيعوه. كما
تقول «سَمِعْتُ لَكَ» وهو، والله أعلم،
على وجه «لَا تَسْمَعُوا الْقُرْآنَ». وقال
تعالى ﴿وَالْقَوَا يُودِ﴾^(٣) من «لَعَوْتُ»
«بلغا» مثل «مَحَوْتُ» «يَمْحَا»^(٤) وقرأ
بعضهم (وَالْعَوَا فيه)^(٥) من «لَعَوْتُ»
«تَلْعُو» مثل «مَحَوْتُ» «تَمْحُو» وبعض
العرب تقول: «لَفِي» «يَلْفِي» وهي
قبيلة قليلة^(٦) ولكن «لَفِي» بكذا وكذا

(١) نقله في زاد المسير ٢٤٤/٧.

(٢) سبق للأخفش إيراد هذا الرأي، والكلام عليه فيما سبق مع ذكر هذا الشاهد.

(٣) هي قراءة نسبت في الجامع ٣٥٦/١٥ إلى الجماعة، وفي البحر ٤٩٤/٧ إلى جمهور القراء.

(٤) هي لهجة عقيل كما في اللهجات ٤٥٥، وقيل هي لهجة دوس، وهي بطن من شنوءة الأزده كالسابق ٤٥٦.

(٥) في المنتخب ٢٤٦/٢ نسبت إلى أبي بكر بن حبيب السهمي، وفي الشواذ ١٣٣ إلى عبد الله بن بكير السامي،
وابن أبي اسحاق وعيسى، وفي الجامع ٣٥٦/١٥ إلى عيسى بن عمر، والجمدري، وابن أبي اسحاق، وابن
حيوة، وبكر بن حبيب السهمي، وفي البحر ٤٩٤/٧ إلى بكر بن حبيب السهمي، أو عبد الله بن بكر السهمي،
وقتادة، وأبي حيوة، والزعفراني، وابن أبي اسحاق، وعيسى، بخلاف عنهما.

(٦) لعلها لهجة أهل العالية قياساً على قولهم «لهيت» في لهوت اللهجات ٤٥٥.

أي: أغري به، فهو يقوله ويضغته.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ أَلْفَوْا آتَاكُمْ﴾ [الآية ٢٨] بالرفع على الابتداء كأنه تفسير للجزاء.

وقال سبحانه: ﴿أَلَا تَخَافُوا﴾ [الآية ٣٠] أي بأن لا تخافوا.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا﴾ [الآية ٣٢] على تقدير أن السياق قد شغل ﴿وَلَكُمْ﴾ بـ ﴿مَا تَشْتَوِي أُنْفُسُكُمْ﴾ [الآية ٣١] حتى صارت بمنزلة الفاعل، وهو معرفة، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا﴾ ينتصب على ﴿نَزَّلْنَا نَزْلًا﴾^(١) نحو قوله سبحانه: ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ [الإسراء/٨٧] و[الكهف/٨٢] و[النصر/٤٦] و [الدخان/٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [الآية ٢٤] يقال: لا يستوي عبد الله ولا زيد إذا أردت: لا يستوي عبد الله وزيد لأنهما جميعاً لا يستويان. وإن شئت قلت إن الثانية زائدة تريد: لا يستوي عبد الله وزيد.

(١) نقله في إعراب القرآن ١٠٢٢/٣.

(٢) هو عيسى بن عمر الثقفي، وقد مرت ترجمته.

فزيدت «لا» توكيداً كما قال سبحانه: ﴿لَمَّا يَلَمْزْ أَهُلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد/٢٩] أي لأن يعلم. وكما قال تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الآية ٤١] فزعم بعض المفسرين أن خبره ﴿أُولَئِكَ يَبْذَرُونَ مِنْ سُكَايَ بَيْبَرٍ﴾^(٢)؛ وقد يجوز أن يكون على الأخبار التي في القرآن، يستغنى بها كما استغنت أشياء عن الخبر، إذا طال الكلام وعرف المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ آلِجَالُ﴾ [الرعد/٣١] وما أشبهه. وحدثني شيخ من أهل العلم قال: سمعت عيسى بن عمر^(٣) يسأل عمرو ابن عبيد^(٤): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أين خبره؟ فقال عمرو: «معناه في التفسير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ كفروا به «وإنهم ليكتبن عزيرو»^(٥) فقال عيسى: «جاءت يا أبا عثمان».

(٣) هو عمرو بن عبيد، أبو عثمان البصري المتوفى سنة ١٤٤، وهو أحد العبّاد الزهاد، ترجم له في طبقات القراء.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبًا
لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ مَا أَجْعَمِيَّ وَعَرَفِيَّ﴾
[الأنعام ١٤٤] أي هلاً فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
﴿مَا أَجْعَمِيَّ﴾^(١) يعني القرآن و﴿وَعَرَفِيَّ﴾
يعني الرسول (ص)، وقد قرئت من
غير استفهام، وكل جائز في معنى
واحد.

وقال تعالى: ﴿وَعَلُّنَا مَا لَكُمْ مِنْ
نَجْمٍ﴾^(٢) أي: فاستيقنوا، لأن «ما»
ههنا حرف، وليس باسم، والفعل لا
يعمل في مثل هذا، فلذلك جعل الفعل
مُلْقًى^(٢).

(١) في معاني القرآن ١٩/٣ والكشاف ٢٠٢/٤ إلى الحسن وفي التيسير ١٩٣ إلى هشام وزاد عليهما في الجامع ١/٣٦٩ إبا العالية ونصر بن عاصم والمغيرة وابن عامر. ولعل ما جاء من الكتابة همزة واحدة في الأصل مقام على ما جاء في المحنثب ٢٤٨/٢ منسوباً إلى عمرو بن ميمون من القراءة بالاستفهام وفتح العين نسبة إلى المعجم.

(٢) نقله في إعراب القرآن ١٠٢٨/٣.

لكل سؤال جواب في سورة «فصلت» (*)

السموات والأرض وما بينهما خلقت في ثمانية أيام، وقال تعالى في سورة الفرقان ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان/ ٥٩] فكيف التوفيق بينهما؟

قلنا: معنى قوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية ١٠] في تمة أربعة أيام، لأن اليومين اللذين خَلَقَ سبحانه فيهما الأرض من جملة الأربعة، أو معناه: كل ذلك في أربعة أيام يعني خلق الأرض، وما ذكر بعدها، فصار المجموع ستة؛ وهذا لا اختلاف فيه بين المفسرين.

فإن قيل: السموات وما فيها أعظم من الأرض وما فيها، بأضعاف

إن قيل ما الحكمة في زيادة «من» في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ بَيْنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [الآية ٥] مع أن المعنى حاصل بالقول «وبيننا وبينك حجاب»؟

قلنا: لو قيل كذلك، لكان المعنى أن الحجاب حاصل وسط الجهتين، وأما بزيادة «من» فمعناه أن الحجاب ابتدأه منا ومنك، فالمسافة المتوسطة بيننا وبينك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية ٩]،

إلى قوله تعالى: ﴿فَقَسَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية ١٢] يدل على أن

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

مضاعفة، فما الحكمة في أن الله سبحانه خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام، والسماوات وما فيها في يومين؟

قلنا لأن السماوات وما فيها من عالم الغيب، ومن عالم الملكوت، ومن عالم الأمر، والأرض وما فيها من عالم الشهادة والملك، وخلق الأول أسرع من الثاني. ووجه آخر، وهو أنه فعل ذلك ليعلم أن الخلق على سبيل التدريج والتمهيل في الأرض، وما فيها لم يكن للعجز عن خلقها دفعة واحدة، بل كان لمصالح لا تحصل إلا بذلك، ولهذه الحكمة خلق العالم الأكبر في ستة أيام، والعالم الأصغر وهو الإنسان في ستة أشهر.

فإن قيل: لم قال تعالى في وصف أهل النار: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (الآية ٢٤) مع أنهم إن لم يصبروا على عذاب النار، وجزعوا فالتار مَثْوًى لهم أيضاً؟

قلنا: فيه إضمار تقديره: فإن يصبروا أولاً يصبروا، فالتار مَثْوًى لهم، على كل حال؛ ولا ينفعهم الصبر في الآخرة

كما ينفع الصبر في الدنيا؛ ولهذا قيل الصبر مفتاح الفرج، وقيل من صبر ظفر. الثاني: أن هذا جواب لقول المشركين، في حث بعضهم لبعض على إدامة عبادة الأصنام: ﴿لَنْ أَتَوْا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ (ص/٦) فقال الله تعالى: فإن يصبروا على عبادة الأصنام في الدنيا، فالتار مَثْوًى لهم في المثوى.

فإن قيل: لم قال تعالى في وصف الكفار: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٧) أي بأسوأ أعمالهم، مع أنهم يجزون بسئ أعمالهم أيضاً؟

قلنا: قد سبق نظير هذا السؤال في آخر سورة التوبة، والجواب الأول هناك يصلح جواباً هنا.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ (الآية ٣٧) بعد قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ﴾ (الآية ٣٧) وهو مستفاد من الأول بالطريق الأولي؟

قلنا: فائدته ثبوت الحكم بأقوى الدليلين، وهو النص، والله أعلم.

المعاني المجازية في سورة «فصّلت» (*)

يقول القائل منهم لمن يُشْنَأُ كلامه،
وَيُسْتَنْقَلُ خطابه: ما أسمع قولك، ولا
أعي لفظك. وإن كان صحيح حاسّة
السمع. إلا أنه حَمَلَ الكلام على
الاستئصال والمقتب.

وعلى هذا قول الشاعر^(١):

وكلام سُبَيْي قَدْ وَقَرْتُ
أَذْنِي عَنْهُ، وما بي من ضَمَنٍ
وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ
السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأُنْتِي طَوْعًا
أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢)
استعارة. فليس هناك، على الحقيقة،
قول ولا جواب، وإنما ذلك عبارة عن

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي
أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي مَانَانٍا وَفَرْ﴾^(٣)
[الآية ٥] استعارة: فالأكنة جمع كِنَان،
وهو الستر والغطاء، مثل: عِنَان،
وأَغْنَة. وِبِنَان، وأُسْتَة.

وليس هناك على الحقيقة شيء مما
أشاروا إليه. وإنما أخرجوا هذا
الكلام، مُخْرِجَ الدلالة على استئصالهم
ما يسمعون من قوارع القرآن، وبواقع
البيان. فكانهم، من قوة الزهادة فيه،
وشدة الكراهية له، قد وَقَرَّتْ أَسْمَاعُهُمْ
عن فهمه، وَأَكْنَثْ قُلُوبُهُمْ دون علمه.

وذلك معروف في عادات الناس، أن

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) لم أهتم إلى اسم هذا الشاعر، وقد ورد هذا البيت في «أساس البلاغة» للزمخشري مادة «وقر» ولم يذكر قائله. وروايته في الأساس هكذا:

كَم كَلَام سُبَيْي قَدْ وَقَرْتُ أَذْنِي عَنْهُ، وما بي من ضَمَنٍ

سرعة تكوين السماوات والأرض. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل] ولو لم يكن المراد ما ذكرنا لكان في هذا الكلام أمر للمعدوم، وخطاب لغير الموجود. وذلك يستحيل أن يكون من فعل الحكيم سبحانه.

ومعنى قوله تعالى: ﴿قَالَا أَتَيْنَا طَالَمِينَ﴾ ﴿١١﴾ أنهما جرتا على المراد، ووقفنا عند الحدود والأقدار، من غير معاناة طويلة، ولا مشقة شديدة، فكانت في ذلك جارية مَجْرَى الطائع المميز، إذا انقاد إلى ما أُمِرَ به، ووقف عند الذي وقف عنده.

وقال بعضهم: معنى قوله سبحانه: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: كُونا على ما أريد منكم من لين وشدة، وسهل وحزونة، وصبغ وذلول، ومُبْرَمٍ وسَجِيلٍ^(١).

والكُرْهُ والشَّدَّةُ بمعنَى واحد في اللغة العربية. يقول القائل منهم لغيره: أنا أَكْرَهُ فراقك. أي يَضْعُبُ عليّ أن أفارقك.

وقال سبحانه: ﴿كَيْبَ عَلَيْكُمُ

أَلْقَالُ وَهُوَ كُرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة/٢١٦] أي شديد عليكم. ومعنى الطوع ههنا: التَّسَهُّلُ والانتقياد من غير إبطاء ولا اعتياص.

وإنما قال سبحانه: ﴿قَالَا أَتَيْنَا طَالَمِينَ﴾ ﴿١١﴾ بجعل السماوات والأرض كلها كالأحاددة، والأرض جميعاً كذلك، فَحَسُنَ أن يُعْبَرُ عنهما بعبارة الاثنين دون عبارة الجميع.

وأما قوله سبحانه: ﴿قَالَا أَتَيْنَا طَالَمِينَ﴾ ﴿١١﴾ فكان زَجْجَه الكلام أن يكون طائعتين، أو طائعات رداً على معنى التأنيث. فالمراد به، والله أعلم، عند بعضهم: قالتا أتينا بمن فينا من الخَلْق طائعتين. فكانت كلمة «طائعتين» وَصْفاً للخلق المميزين، لا وصفاً للسماوات والأرض.

وقال بعضهم: لَمَّا تَضَمَّنَ الكلام ذَكَرَ السماوات والأرض في الخطاب لهما، والكتاية عنهما بما يَخَاطَبُ به أهل التمييز، وَيُكْتَنَى به عن السامعين الناطقين، أَجْرِيَّتَا في رد الفعل إليهما مُجَرِّى العاقل اللبيب، والسامع المجيب. وذلك مثل قوله تعالى:

(١) التَّبْرَمُ: الخبط أو الجبل الذي قُبِلَ قتلين، والتَّحْبِلُ: الجبل الذي قُتِلَ فُلاً واحداً.

﴿رَأَيْتُمْ﴾ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُمْ لِي سَيِّدِي ﴿١﴾﴾ (يوسف). ولو أجري اللفظ على حقيقته، وحُمل على محجته لقل ساجدات. ولكن المراد بذلك: أنه، لما كان ما أشرنا إليه، حَسُنَ أن يقال ساجدين، وطائعين.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنبياء ١٧]
استعارة. والمراد بالعمى ههنا ظلام البصيرة، والمناه في الغواية. فإن ذلك أخف على الإنسان، وأشد ملاءمة للطباع، من تحمّل مشاق النظر، والتلجيج في غمار الفكر.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ أَنَّهُ الظَّنُّ الَّذِي لَتُفْسِدَنَّهُ أُولَئِكَ﴾ استعارة: لأن الظن الذي ظنوه على الحقيقة لم يزدِهِم بمعنى: يَهْلِكُهُم، وإنما أَهْلَكَهُمُ اللهُ سبحانه جزاء على ما ظنّوه به من الظنون السيئة، وَتَسَبُّوهُ إليه من الأفعال القبيحة. فلما كان ذلك الظن سبباً في هلاكهم، جاز أن يُنسَبَ إليه الهلاك الواقع بهم.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ مَّائِدَةٍ أَنَّكَ
رَأَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ

أَهَرَّتْ وَرَيْتُ ﴿[الآية ٣٩] استعارة، وقد مضى الكلام على نظيرها في سورة الحج.﴾ إلا أن ههنا زيادة هي صفة الأرض بالخشوع، كما وُصفت هناك بالهمود. واللفظان جميعاً يرجعان إلى معنى واحد، وهو ما يظهر على الأرض من آثار الجذب، وأعلام المخل، فتكون كالإنسان الخاشع الذي قد سكنت أطرافه، وتطأاً استشرافه.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّمْ لَكُنْتُ عَزِيزٌ﴾ ❶ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ❷ استعارة. وقد قيل فيها أقوال: منها أن يكون المراد بذلك أن هذا الكتاب العزيز، لا يشبهه شيء من الكلام المتقدم له، ولا يشبهه شيء من الكلام الوارد بعده. فهذا معنى: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ❸ لأنه لو أشبهه شيء من الكلام المتقدم، أو الكلام المتأخر، لأبطل معجزته وقصم حجته. فكان الباطل، قد أتاه من إحدى الجهتين المذكورتين، إما من جهة أمامه، وإما من جهة ورائه. وهذا معنى عجيب.

وقال بعضهم: معنى ذلك أنه لا تَعْلَقُ به الشُّبُهَةُ من طَرِيقِ المِشَاكَلَةِ، ولا الحَقِيقَةِ من جِهَةِ المِناقِضَةِ، فهو

الحق الخالص الذي لا يشوبه شائب، ولا يلحقه طالب.

وقال بعضهم: معنى ذلك أن الشيطان والإنسان لا يقدِران على أن يتقصا منه حقاً، أو أن يزيدا فيه باطلاً.

وقال بعضهم: معنى ذلك، أنه لا باطل فيه، من الإخبار عما كان وما يكون. فكأن المراد بقوله سبحانه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي من جهة ما أخبر عنه من الأمور الواقعة. وَيَقُولُ تعالى: ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي من جهة ما أخبر عنه من الأمور المتوقعة.

وفي قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ استعارة. والمراد بها، والله أعلم، صفتهم بالتباعد عن طريق الرشد، والإعراض عن دعاء الحق. كأنهم من شدة الذهاب بأسماعهم، والانصراف بقلوبهم يُنَادَوْنَ من مكان بعيد. فالنداء

غير مُسْمِع لهم، ولا واصل إليهم. ولو سَمِعُوهُ لَأَصْلُ عَنْهُمْ فَهُمْ لَلْصَدِّ^(١) الْمُتَفَرِّجَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا أَتَمَنَّا عَلَى الْأَنْفِ أَنْفَرَضَ وَنَحْنُ بِجَانِبِهِ. وَلَئِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَدُّ دُعَاءَ عَرِيضٍ﴾ استعارة. والمراد بها صفة الدعاء بالسَّعة والكثرة، وليس يراد العرض الذي هو ضدُّ الطول. وذلك أن صفة الشيء بالعرض تفيد فيه معنى الطول؛ لأنه لو لم يكن مع العرض طولٌ لكان العرض هو الطول. ألا ترى أنهم يصفون الرُّمَحَ بالطول، ولا يصفونه بالعرض إذ كان طولُهُ أضعاف عرضه، ويصفون الإزار بأنه عريض إذ كان عرضه مقارباً لطوله.

وقد استقصينا شرح ذلك في كتابنا الكبير واقترضنا منه ههنا على البلغة الكافية، والنكتة الشافية.

(١) غير واضحة بالأصل، ولعلها للبعد.

سورة الشورى



أهداف سورة «الشورى» (*)

وتأتي سائر الموضوعات فيها، تبعاً لتلك الحقيقة الرئيسة فيها.

هذا، مع أن السورة تتوسّع في الحديث عن حقيقة الوجدانية؛ وتعرض لها من جوانب متعدّدة؛ كما أنها تتحدث عن حقيقة القيامة والإيمان بها؛ ويأتي ذكر الآخرة ومُشاهدتها في مواضع متعددة منها؛ وكذلك تتناول عَرَضَ صفات المؤمنين، وأخلاقهم التي يمتازون بها؛ كما تُلمّ بقضية الرزق، بسُبله وقَبْضِهِ، وصفة الإنسان في السُّرءاء والضُّرءاء. ولكنَّ حقيقة الوحي والرسالة وما يتصل بها، تظل مع ذلك هي الحقيقة البارزة في محيط السورة، والتي تطبعها وتُظللُّها، وكأنَّ سائر الموضوعات الأخرى، مسوقة

سورة «الشورى» سورة مكّية، نزلت بعد «الإسراء»، وقبيل الهجرة.

وآياتها ٥٣ آية نزلت بعد سورة «فصلت».

ولها اسمان: «عسق» لافتتاحها بها، وسورة «الشورى» لقوله سبحانه:

﴿وَأَنزَلْنَا سُورَةَ الشُّرَىٰ ۖ﴾ [الآية ٣٨].

روح السورة

هذه السورة، تعالج قضية العقيدة كسائر السور المكية، ولكنها تركّز بصفة خاصة على حقيقة الوحي والرسالة؛ حتى ليُصَحَّ أن يقال إن هذه الحقيقة، هي المحور الرئيس، الذي ترتبط به السورة كلّها.

(*) انتهني هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

لتقوية تلك الحقيقة الأولى، وتوكيدها.

ويسير سياق السورة في غرض تلك الحقيقة، وما يصاحبها من موضوعات أخرى، بطريقة تدعو إلى مزيد من التدبر والملاحظة، فهي تعرض من جوانب متعددة، يفترق بعضها عن بعض، ببضع آيات، تتحدث عن وحدانية الخالق، أو وحدانية الرازق، أو وحدانية المتصرف في القلوب، أو وحدانية المتصرف في المصير، في حين أن الحديث عن حقيقة الوحي والرسالة يتجه إلى تقرير وحدانية الموحى، سبحانه، ووحدة الوحي، ووحدة العقيدة، ووحدة المنهج والطريق؛ وأخيراً وحدة القيادة البشرية في ظل العقيدة.

ومن ثم يرتسم في النفس خط الوجدانية بارزاً واضحاً بشتى معانيه وشتى إichاءاته من وراء موضوعات السورة جميعها^(٥).

موضوع السورة

يمكن أن نقسم سورة الشورى إلى فصلين رئيسيين. يتناول الفصل الأول

وحدة الأهداف الرئيسية للرسالات السماوية، ويتناول الفصل الثاني بعض صفات المؤمنين ودلائل الإيمان.

الفصل الأول:

وحدة أهداف الرسالات

يتناول النصف الأول من السورة الآيات [١ - ٢٤]، وبدأ بالتحدث عن الوحي، ثم يعالج قصة الوحي منذ النبوات الأولى، ليقرر وحدة الذين ووحدة المنهج، ووحدة الطريق، وليعلن القيادة الجديدة للبشرية ممثلة في رسالة محمد (ص)، وفي العصبة المؤمنة بهذه الرسالة.

وتشير السورة إلى هذه الوحدة في مطلعها:

﴿كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦)، لنقرر أن الله سبحانه هو الموحى بالرسالات جميعها للرسول جميعهم، وأن الرسالة الأخيرة، هي امتداد لأمر مقرر مطرد من قديم.

وتأتي الإشارة الثانية بعد قليل:

(٥) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب ٧/٢٤.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية ٧]، لتقرر مركز القيادة الجديد، فقد اختار الله جلّ جلاله بلاد العرب، لتكون مقر الرسالة الأخيرة، التي جاءت للبشرية جمعاء، والتي تتضح عالميتها منذ أيامها الأولى.

كانت الأرض المعمورة، عند مولد الرسالة الأخيرة، تكاد تنقسمها إمبراطوريات أربع هي:

الرومانية، والفارسية، والهندية، والصينية.

وفي هذا الوقت، جاء الإسلام لينقذ البشرية كلّها، ممّا انتهت إليه من انحلال وفساد واضطهاد، وجاهلية عمياء في كل مكان من المعمورة.

جاء ليهيمن على حياة البشرية، ويقودها في الطريق الى الله، على هدى ونور.

ولم يكن هنالك بدّ من أن يبدأ الإسلام رحلته من أرض حزة، لا سلطان فيها لإمبراطورية من تلك الإمبراطوريات، وكانت الجزيرة العربية وأُمّ القرى وما حولها بالذات، أصلح مكان على وجه الأرض، لنشأة الإسلام

يومئذ، وأصلح نقطة، يبدأ منها رحلته العالمية.

لم تكن في بلاد العرب حكومات منظمة، ولا ديانة ثابتة واضحة المعالم، وكانت خلخلة النظام السياسي للجزيرة، إلى جانب خلخلة النظام الديني، أفضل ظرف يقوم فيه دين جديد، متحرر من كل سلطان عليه في نشأته.

وهكذا جاء القرآن الكريم بلسان عربي مبين، لينذر أُمّ القرى ومن حولها؛ فلمّا خرجت الجزيرة من الجاهلية إلى الإسلام، حملت الراية وشرّقت بها وغرّبت، وقُدّمت الرسالة للبشرية جميعها، وكان الذين حملوها أصلح خلق الله لحملها، وقد خرجوا بها من أصلح مكان في الأرض لميلادها؛ وهكذا تبدو سلسلة طويلة من الموافقات المختارة لهذه الرسالة:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾

[الأنعام/١٢٤].

وفي آية مشهورة من سورة الشورى، نطالعنا وحدة الرسالات جميعها، ووحدة الرسل، ووحدة الدين، ووحدة الهدف للجميع، وهو توحيد الله سبحانه، وتدعيم القيم والأخلاق،

ومحاربة الرذائل والانحراف. قال تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْنَا اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۝ ﴾.

وتقرر الآيات بعد ذلك أن التفرق قد وقع مخالفاً لهذه التوصية، ولم يقع عن جهل من أتباع أولئك الرسل الكرام، ولكن عن علم. وقع بغياً وحسداً:

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ ۝ ﴾ [الآية ١٤].

وتصف أتباع الأديان، وخملة الكتب السماوية بأنهم في حيرة وشك، لاضطراب أحوال الديانات، وخروجها عن الهدف الذي جاءت له:

﴿ وَلَئِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝ ﴾.

وعند هذا الحد يتبين أن البشرية قد آلت إلى فوضى وإرتياب، ولم تعد لها قيادة راشدة تقوم على نهج ثابت قويم. ثم يعلن القرآن الكريم انتداب الرسالة الأخيرة وحاملها (ص)، لهذه القيادة:

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاتَّقِ اللَّهَ كَمَا أُوتِيتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَفْوَاهَ قَوْمٍ وَقُلْ ءَامَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا غَافِلِينَ ۝ ﴾ [الآية ١٠٥].

الفصل الثاني:

صفات الجماعة المسلمة

يشتمل النصف الثاني من السورة، على الآيات [٢٥ - ٥٣]. ويتحدث عن صفات الجماعة المسلمة، التي انتدبها الله تعالى لحمل هذه الرسالة؛ ويبدأ هذا الفصل باستعراض آيات الله في بسط الرزق وقبضه، وفي تنزيل الغيث برحمته، وفي خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من دابة، وفي الفلك الجوّاري في البحر كالأعلام، ويستطرد السياق من هذه الآيات إلى صفة المؤمنين التي تميز جماعتهم، ومع أن سورة الشورى سورة مكّية، نزلت قبل قيام الدولة الإسلامية في المدينة، إلا أنها تذكر أن الشورى من صفات المؤمنين، في قوله تعالى:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ۝ ﴾ [الآية ٣٨].

مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق،

الظالمين الضالين، وما ينتظرهم من ذل وخسران في يوم القيامة:

﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَيْنَا مَرَّةٌ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
وَيَرْثُهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٌ مِنَ الْأَذَلِّ
يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ.

وفي ظل هذا المشهد، نجد القرآن الكريم، يدعو الناس إلى إنقاذ أنفسهم من مثل هذا الموقف، قبل فوات الأوان:

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ [الآية ٤٧].

ويمضي سياق السورة حتى ختامها، يدور حول محور الوحي والرسالة، وأثرهما في صفات المؤمنين، مع بعض الاستطراد إلى وصف الكافرين، وبيان صفات الله الخالق الرهيب، القابض الباسط، قال تعالى:

﴿فَلَهُ ثَلَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿١٠﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

ويعود السياق في نهاية السورة، إلى الحديث عن طبيعة الوحي وطريقته. وهناك ارتباط ظاهر بين الحديث عن

في حياة المسلمين، من مجزء أن يكون نظاماً سياسياً للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها، يقوم على أمرها كجماعة، ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة، بوصفها ممثلة للجماعة.

والتأمل في صفات المؤمنين، يوحى بأن الإسلام دين القيم، دين يهتم بالجوهر لا بالعرض، ويتكوين النفس البشرية لا بالقيم الزائلة.

فما قيم الجماعة المؤمنة؟

إنها الإيمان، والتوكل، واجتناب كبائر الإثم والفواحش، والمغفرة عند الغضب، والاستجابة لله، وإقامة الصلاة، والشورى الشاملة، والإنفاق مما رَزَقَ الله، والانتصار من البغي، والعفو والإصلاح والصبر.

وبهذه القيم تحول العرب من أشتات مختلفين إلى أمة متماسكة، متراحمة مؤمنة بالله مستقيمة على هداية وتعاليمه، فوطأ الله لهم أكناف الأرض، وصاروا خير أمة أخرجت للناس.

وبعد تقرير صفة المؤمنين، وما ينتظرهم من عَوْنٍ وإنعام؛ تعرض الآيات في الصفحة المقابلة، صورة

وبركات الرسالة؛ أي أن القسم الثاني،
وهو السلوك، مترتب عن القسم
الأول، وهو العقيدة والوحي.

الوحي في القسم الأول من السورة،
والحديث عن صفات المؤمنين،
ودلائل الإيمان في القسم الثاني منها؛
فإن الهداية والإيمان من آثار الوحي،



ترابط الآيات في سورة «الشورى» (*)

الدنيا والآخرة، وتبشير من يؤمن به بحسن الثواب فيهما. وبهذا تنفّق، هي والسورة السابقة، في ما جاء فيهما من التهيب والترغيب، مع ما فيها من أخذهم بشيء من طريق الدليل، وهذا هو وجه المناسبة بين السورتين.

اتفاق الرّسل على شرع الإسلام الآيات [١ - ٥٣]

قال الله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝ كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ فمفهد لذلك بأن الذي يوحى إلى الرسول (ص) وإلى الرسل قبله، إله واحد، هو العزيز الحكيم؛ وذَكَرَ ما ذَكَرَ من سعة ملكه سبحانه، وعُلُوّه وعظُمته جلّ جلاله،

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «الشورى» بعد سورة «فصلت»، ونزلت سورة «فصلت» بعد الإسراء، وقبل الهجرة، فيكون نزول سورة «الشورى» في هذا التاريخ أيضاً.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾ وتبلغ آياتها ثلاثاً وخمسين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة: بيان اتفاق الرّسل على شرع الإسلام من أولهم إلى آخرهم، وإنذار مَنْ يخالفه بعذاب

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «النظم الفنى في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعدي، مكتبة الآداب بالجاميز - المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ تَكَادُ تَتَفَطَّرُ مِنْ خَشْيَتِهِ،
وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبِّحُونَ بِحَمْدِهِ؛ وَهَذَا مَنْ
يَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ بِأَنَّهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ،
وَسَيَحْاسِبُهُمْ عَلَى شِئْزِهِمْ؛ ثُمَّ ذَكَرَ
سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ
بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ، وَمَنْ حَوْلَهُمْ بِعَذَابِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ فِيهِ،
فَيَكُونُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ؛ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، لَجَعَلَهُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَكِنْ مَشِيتُهُ، سُبْحَانَهُ،
اِقْتَضَتْ أَنْ يُدْخَلَ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ،
وَأَنْ يَحْرَمَ مَنْ يَشَاءُ مِنْهَا؛ وَمَنْ يَحْرَمُهُ
مِنْهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَهُ فِيهَا، مَا يَتَّخِذُهُ
مَنْ وَلِيَ أَوْ نَصِيرٍ؛ ثُمَّ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ أَنْ
يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يُمْكِنُهُمْ
نَصْرُهُمْ: لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَحْدَهُ؛
وَذَكَرَ أَنَّ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ،
فَحُكْمُهُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ
لْأَحَدِ مِنْ خَلْقِهِ الْحُكْمُ فِيهِ، بَلْ يَجِبُ
تَفْوِضُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ فَاطِرُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِمَّا
اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى وَجُوبِ تَفْوِضِ الْأَمْرِ
إِلَيْهِ.

ثم انتقل السياق من ذلك التمهيد إلى
المقصود، وهو أنه سبحانه شرع لهم،
من الدين، ما وصى به نوحاً وإبراهيمَ

وموسى وعيسى (ع)؛ وذلك ما اتفقت
عليه شرائعهم، من الإيمان بالله واليوم
الآخر، ونحوهما مما لا اختلاف فيه
بينهم. وذكر السياق توبيخ المشركين
أَنْ يَسْتَعْبِدُوا مَا يَدْعُوهُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا
الدين، الذي اتفق الرسل عليه، ثُمَّ ذَكَرَ
أَنْ أَتْبَاعَ أُولَئِكَ الرُّسُلِ لَمْ يَتَفَرَّقُوا فِي
ذَلِكَ الدِّينِ إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ؛ وَلَوْ لَا حُكْمَ اللَّهِ بِتَأْخِيرِ
الْفَصْلِ بَيْنَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَفُصِّلَ
بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا؛ ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
النَّبِيَّ (ص) أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى
هَذَا الدِّينِ، فَلَا يَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمُ الْمُتَفَرِّقَةَ،
وَلَا يُؤْمِنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ دُونَ بَعْضٍ.
وَلِيَعْدَلَ بَيْنَهُمْ فِي الْحُكْمِ لِأَنَّ إِلَهَهُ
وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مَسْئُولٌ عَنْ
عَمَلِهِ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي سَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ،
ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ يَحَاجُّونَ فِي دِينِ اللَّهِ
مِنْ بَعْدِ اتِّفَاقِ أُولَئِكَ الرُّسُلِ عَلَيْهِ،
حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْهُ
جَلَّ جَلَالُهُ، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ؛ وَأَنَّهُ،
سُبْحَانَهُ، أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِهَذَا الدِّينِ
الْحَقِّ، وَأَنْزَلَ الْمِيزَانَ، وَهُوَ الْعَقْلُ
الَّذِي يُمَيِّزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَلَا عَذْرَ
لَهُمْ فِي تَبَاطُثِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَلَعَلَّ
السَّاعَةَ تَفَاجَّهُهُمْ وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ،
فَيَنْدَمُونَ حِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُ النَّدَمَ؛ ثُمَّ ذَكَرَ

أن الذين لا يؤمنون بها يستعجلون بها على سبيل الاستهزاء، وأن الذين يؤمنون بها مشفقون أن تفاجئهم، وأنه لا يؤخرها إلا لأنه لطيف بعباده، يرزق من يشاء وهو القوي العزيز. فمن كان يريد حَزَتْ الآخرة يُزِدْ له في حُرْته، ومن كان يريد حرث الدنيا يُؤْتِهِ منها ويمهله ولا يعجله، وما له في الآخرة من نصيب.

ثم انتقل السياق إلى توبيخهم، على ما شرعوا لأنفسهم من الشرك وإنكار البعث، ونحو ذلك، مما زينه لهم شركاؤهم من الشياطين؛ وهذَّدهم سبحانه بأنه لو لا حُكْمُهُ بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لعُجِّلَ بالقضاء بينهم؛ وأنذرهم بأن لهم عذاباً أليماً على ما شرعوه من ذلك لأنفسهم، وبشر المؤمنين بروضات الجنات التي أعدها جَلَّتْ قدرته لهم، وانتقل السياق من هذا إلى توبيخهم، على أن ينسبوا إلى النبي (ص) افتراء هذا الدين عليه، وذكر سبحانه أنه لو يشاء ختم على قلبه، وتولَّى هو محو الباطل وإحقاق الحق بآياته؛ ولكنه أراد أن يعذرهم بإرساله إليهم، رحمة بهم، ليتوب عن شركه من يتوب فيقبل توبته، ويستجيب

دعاء المؤمنين ويزيدهم من فضله؛ ومن يستمر على كفره بعد ذلك، فلهم عذاب شديد في دنياهم وآخرتهم؛ ثم ذكر أنه في رحمته بهم يرزقهم بقدر، لأنه، لو بسط لهم الرزق، لَبَغَوْا في الأرض؛ وبَيَّن أنهم إذا احتاجوا إلى الرزق فإنه لا يمنعهم منه، فينزل الغيث عليهم من بعد يأْسهم منه، وينشر عليهم رحمته. وقد ذكر بعد هذا آياته ونِعَمَهُ عليهم، وذكر ما يصيبهم في دنياهم، أو في ما ينعم به عليهم، ليبيِّن أن ذلك قد يكون بما كَسَبَتْ أيديهم؛ ثم ذكر سبحانه أن ما يُعْطُوْنَه من الرزق في الدنيا لا قيمة له، وأن ما عنده خير وأبقى للمؤمنين الذين يتوكلون عليه، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، ويُعْطَوْنَ عند غضبهم، إلى غير هذا مما ذكره سبحانه من صفاتهم؛ ثم انتقل السياق من هذا إلى وعيد من بضَلَّ عن ذلك الدين القديم، فذكر سبحانه أنهم حين يرون العذاب، يتمنَّون أن يُرْجَوْا ليؤمنوا به، إلى غير هذا مما ذكره من أحوالهم.

ثم ختم السورة بأمرهم أن يستجيبوا لرَّبِّهم فيما شرع لهم من ذلك الدين، من قبل أن يأتي يوم لا مردُّ له منه، ولا

يَكُونُ لَهُمْ مَلْجَأٌ مِنْ عَذَابِهِ . فَإِنْ
أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ عَلَى
النَّبِيِّ (ص) شَيْءٌ مِنْ إِعْرَاضِهِمْ ، لِأَنَّهُ
قَامَ بِمَا كُتِّفَ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِهِمْ ؛ ثُمَّ ذَكَرَ
السِّيَاقَ أَنَّ السَّبَبَ فِي إِعْرَاضِهِمْ مَا هُمْ
فِيهِ مِنْ غُرُورٍ وَجَهْلٍ . فَإِذَا أَصَابَتْهُمْ
رَحْمَةٌ فَرَحُوا بِهَا وَأَبْطَرَتْهُمْ ، وَإِذَا
أَصَابَتْهُمْ سَيِّئَةٌ بَلَغَ الْكُفْرَ مَبْلَغَهُ مِنْهُمْ ؛
ثُمَّ خَطَّأَهُمْ فِي غُرُورِهِمْ بِمَا يَمْلِكُونَ فِي
دُنْيَاهُمْ ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَلِكُ اللَّهِ جَلَّ
جَلَالُهُ ، وَكُلُّ مَا فِي أَيْدِينَا هَبَةٌ مِنْهُ
وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ﴾

وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرُ ﴿٥٥﴾ أَوْ يُرْجِعُهُمْ
ذِكْرَانَا وَإِنْ شَاءَ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً .
ثُمَّ انْتَقَلَ السِّيَاقَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى إِثْبَاتِ مَا
أُنْكَرُوهُ مِنَ الْوَحْيِ ، بِأَنَّهُ مَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ
يَكْلَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيَاءً أَوْ مِنْ وَرَاءِ
حِجَابٍ ، أَوْ بوساطة مَلَكٍ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى
أَوْحَى إِلَى الرَّسُولِ (ص) رُوحاً مِنْ
أَمْرِهِ ، وَمَا كَانَ الرَّسُولُ (ص) يَدْرِي
قَبْلَهُ مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَأَنَّهُ يَهْدِي
مِنْ ذَلِكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿صِرَاطُ اللَّهِ
الَّذِي لَمْ يَلَمَّْا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأُمُورُ﴾ .

مكنونات سورة «الشورى» (*)

٣ - ﴿أَوْ زُوجُهُمْ ذُكِّرَانَا وَلَئِنْ شَاءَ﴾ [الآية ٥٠].

قال: كمحمد (ص)

٤ - ﴿وَجَعَلَ مِنْ يَشَاءَ عَقِيبًا﴾ [الآية ٥٠].

قال: كيحيى وعيسى (ع).

١ - ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ لِنَشَاءَ﴾ [الآية ٤٩].

قال البَقَوِي^(١): كلوط (ع).

٢ - ﴿وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية ٤٩].

قال: كإبراهيم (ع) لم يؤلّد له أنثى.

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «مفجحات الأقران في منبهات القرآن» للسُّبُوطِي، تحقيق إِيَاد خَالِد الطُّنَاج، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) في «معالم التنزيل» ٢٨٣/٧. بهامش «ابن كثير».

لغة التنزيل في سورة «الشورى» (*)

١ - قال تعالى: ﴿أَرْ يُؤْفِكُهُنَّ يَمًا كَسْبًا﴾ [الآية ٣٤].

أي: يهلكهن.

أقول: آثرت أن أقف على هذا الفعل الذي لا نعرف منه في اللغة المعاصرة إلا الوصف وهو «الموبقات»، والموبقات في استعمال المعاصرين الأعمال الشائنة كالزنى ونحوه.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾.

والنكير: الإنكار، أي: ما لكم من مخلص من العذاب.

والغالب في المصدر على «فعليل» أن يدل على صوت نحو الصرير والصرير والهديل، وغير ذلك كثير.

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «هدى لغة التنزيل»، لإبراهيم السائراني، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

المعاني اللغوية في سورة «الشورى» (*)

خفيفة، فذا من «بَشُرْتُ»^(١) وهو في الشعر. قال الشاعر [من البسيط وهو الشاهد السادس والستون بعد المئتين]:

وَقَدْ أَرْوَحُ إِلَى الْحَانُوتِ أَبْشُرُهُ

بالرَّخِلِ فوقَ دُرَى الْغَيْرَانَةِ الْأَجْدِ

قال أبو الحسن^(٢) «أنشدني يونس^(٣) هذا البيت هكذا. لذلك فـ (الذي يَبْشُرُ) اسماً للفعل كأنه «التَّبَشِيرُ»، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الجن: ٩٤] أي اصدع بالأمر. ولا يكون أن تضمير فيها الباء، وتحذفها لأنك لا

قال تعالى: ﴿أَنۡ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [آية ١٣].

على التفسير كأنه سبحانه قال «هو أن أقيموا الدين» على البدل.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [آية ١٥] أي: أمرت كي أعدل.

وقال سبحانه: ﴿إِلَّا أَلَمُودَةً فِي الثُّرَيِّقِ﴾ [آية ٢٣] استثناء خارج. يريد، والله أعلم، إلا أن أذكر مودة قرآني.

وأما «يَبْشُرُ» [آية ٢٣] من «بَشُرْتُهُ» و «أَبْشُرْتُهُ»، وقال بعضهم «أَبْشُرُهُ»

(٥) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورود، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

(١) في التيسير ١٩٥ إلى غير نافع، وعاصم، وابن عامر، وفي البحر ١٥٠/٧ إلى عبد الله بن يعمر، وابن أبي إسحاق، والجحدري، والأعشى، وطلحة، في رواية، والكسائي وحمة؛ أما قراءة التضمين «يَبْشُرُ» وعليها رسم المصحف، فهي في التيسير إلى نافع، وعاصم، وابن عامر، وفي البحر إلى الجمهور.

(٢) هو الأخفش المؤلف.

(٣) هو يونس بن حبيب، وقد مرت ترجمته.

نقول: «كَلِمَ الَّذِي مَرَزَتْ» وأنت تريد «به».

وقوله تعالى:

﴿وَسَتَجِدُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية ٢٦] أي: استجاب فجعلوا الفاعلين.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

أما اللام التي في ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلام الابتداء، وأما ذلك فمعناه، والله أعلم، إن ذلك منه لمن عزم الأمور. وقد تقول: «مَرَزْتُ بدارِ الذراعِ بِدَرْهِمٍ» أي: «الذراع منها بِدَرْهِمٍ»، و«مررت بِبُرٍّ قَفِيزٍ بِدَرْهِمٍ» أي: «قَفِيزٌ منه» وأما ابتداء «إِنَّ» في هذا الموضوع

فكمثل ﴿قُلْ إِنَّ أَلَمَتِ الَّذِي يَمُرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَوِّصُكُمْ﴾ [الجمعة/٨].

وقال تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الآية ٤٥] بجعل (الطَرْفِ) العين كأنه سبحانه قال «ونظرهم من عين ضعيفة»، والله أعلم. وقال يونس: إِنَّ «مِنْ طَرْفٍ» مثل: «بِطَرْفٍ» كما تقول العرب: «ضربتُه في السِّيفِ» و«بِالسِّيفِ»^(١).

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَعْبِرُ الْأُمُورَ﴾ لأن الله تبارك وتعالى، يتولَّى الأشياء دون خلقه يوم القيامة، وهو سبحانه في الدنيا قد جعل بعض الأمور إليهم، من الفقهاء والسلطان وأشباه ذلك^(٢).

(١) نقله في الجامع ٤٦/١٦.

(٢) نقله في إعراب القرآن ١٠٤٩/٣.

لكل سؤال جواب في سورة «الشورى» (*)

* إنما قال تعالى: ﴿دَاجِئَةً﴾ ليكون أبلغ في ضعف سنادها، وزعماء عمادها، فكأنها هي المبطللة لنفسها من غير مبطل أبطلها، لظهور أعلام الكذب فيها، وقيام شواهد التهافت عليها.

وإنما قال سبحانه: ﴿مُجَنَّمَةً﴾ ولم يقل: «شبهتهم» لاعتقادهم أن ما أدلوا به حجة، ولتسميتهم لها بذلك في حال النزاع والمنافلة.

وقال جل من قائل: ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَمْ فِي حَرْفِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤَتْهُ مِنْهَا وَمَا لَمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

- لم عبر سبحانه بالحَرْث عن نفع الدنيا ونفع الآخرة؟

قال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

- ما الحكمة من قوله تعالى ﴿يُوحَىٰ﴾ والوجه الظاهر أن يقال: «أوحى»؟

* إنما قال ذلك ليدل على أن إحياء مثل القرآن الكريم من عادته سبحانه.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي أَهْوٍ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُمْ جَنَّاتٌ دَاجِئَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية ١٦].

- الوجه المعهود أن يقال «حجبتهم» مدحوضة، أي ضعيفة وزالقة وزالة وغير متماسكة، وأن يقال: «شبهتهم» داحضة، فلم قال تعالى: ﴿مُجَنَّمَةً﴾ دَاجِئَةً؟

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «أصواء على مشابهاة القرآن»، للشيخ خليل ياسين، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٠م.

- ما هي كلمة الفصل التي منعت من القضاء بينهم؟

* كلمة الفصل هي القضاء السابق، بتأجيل العقوبة لهذه الأمة، الى الآخرة، وهي الكلمة الواردة في [يونس/ ١٩] و [هود/ ١١٠]، و [طه/ ١٢٩]: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.

وقال: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ نَجْرًا إِلَّا أَلْمُودَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الآية ٢٣].

- من هم هؤلاء وما هي مودتهم، وما معنى ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾؟

* أما قوله تعالى ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ فمعناه أنهم جعلوا مكاناً للمودة ومقرراً لها، كقولك: لي في آل فلان مودة، ولي فيهم هوى وحب. وأما أهل القرى، فهم عليّ وأبناؤه الميامين عليهم السلام، وفي ذلك تواترت الأحاديث عن الرسول (ص) نذكر بعضاً منها تيمناً، عن الكشاف، والصواعق المحرقة وغيرها.

روي أنه لما نزلت، قيل يا رسول الله: من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، قال هم علي وفاطمة وأبناهما.

وورد عنه (ص) أنه قال: ألا ومن

* لأن حرث الآخرة والدنيا كدح الكادح لشواب الآجلة، وحطام العاجلة، وذلك لأن الحارث المزدرع إنما يتوقع عاقبة حرثه فيجني ثمرة غراسه، ويفوز بعوائد ازدياده، كما قال الشريف الرضي.

ولم قال سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ لَيُسَاقِمْ بِهِ﴾ [الآية ٢٠] ولم يقل، منه؟

* إنما صح تأنيث الضمير لأن لفظة «حرث» في معرض الحذف، ويصح حلول ما بعدها محلها، فيكون الضمير عائداً على الجزء الثاني وهو «الدنيا» فكانه سبحانه قال «من كان يريد الدنيا نؤته منها» ويدل عليه قول ابن مالك في منظومته:

وربما أكسب ثانٍ أولاً

تأنيثه إن كان حذف موهلاً

وكما في قوله تعالى: ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف] أي إن الله قريب.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُتِنَ بِهِمْ وَلَوْلَا الظَّلْمِيُّ لَهْمُ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

مات على حب آل محمد فتح له الى الجنة بابان؛ ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة. يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

يَا آلَ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ
فَرَضَ مِنْ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ

كَفَاكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْكُمْ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ
وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية ٢٥].

- ما موقع كلمة ﴿عَنْ﴾ هنا؟

* كلمة ﴿عَنْ﴾ هنا بمعنى «من» أي من عباده، تقول أخذ فلان العلم عن فلان أي منه.

وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَكِينَ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ كَاتِبِينَ﴾ [الآية ٢٩].

وقال جل وعلا: ﴿أَوْ بُرِيْقَهُنَّ يَمَّا
كَبُرُوا وَتَعَفَّى عَنْ كِبَرِهِمْ ۖ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِجَابٍ﴾ [٥٥].

- ما وجه نصب ﴿وَيَعْلَمُ﴾ مع أن ما قبلها مجزوم؟

* إنما كان النصب للعطف على تعليل محذوف، فكانه سبحانه قال

لينتقم منهم، وليعلم الذين يجادلون في آياتنا.

وقال سبحانه: ﴿وَعَزَّوْا سِنِينَ سِنِينَ
تُغْلِبُهُمْ﴾ [الآية ٤٠].

- لِمَ سُمِّيَ الجزاء سنة وهو ليس بسنة؟

- ذلك من باب الازدواج، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ فَأَعْدُوا
عَلَيْهِ يَمْثِلُ مَا أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة/ ١٩٤]. وقوله سبحانه: ﴿وَلَنْ عَاقِبَتُهُ
فَعَاقِبَتُهُ يَمْثِلُ مَا عُرِفَتُهُ بِهِ﴾ [النحل/ ١٢٦].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ
إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الآية ٥١].

- ما المراد بالحجاب في هذه الآية الكريمة؟

* المراد بالحجاب البعد والخفاء وعدم الظهور، والعَرَبُ تستعمل لفظ الحجاب في ما ذكرناه، فيقول أحدهم لغيره إذا استبعد فهمه واستبطأ فطنته، بيني وبينك حجاب، وتقول للأمر الذي تستبعده وتستصعب طريقه، بيني وبينه حجاب وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك؛ وعليه يكون معنى الآية: أنه تعالى لم يكلم البشر إلا وحيًا بأن

يخطر في قلوبهم، أو من وراء حجاب بأن ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريد أو يكرهه، فيكون من حيث نصبه للدلالة على ذلك، والإرشاد إليه مخاطباً ومكلماً للعباد بما يدل عليه؛ وجعله تعالى من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعاً، كما يسمع الخاطر، فالحجاب كناية عن الخفاء.

وقال: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلِكْتُبُ وَلَا أَلَيْمُنُ﴾ [الآية ٥٢].

- ما المراد بالكتاب والإيمان في هذه الآية الكريمة؟

* المراد بالكتاب القرآن، وبالإيمان التصديق بالله سبحانه وبرسوله معاً،

فالنبي (ص) مخاطب بالإيمان أي بالتصديق بالله وبرسالة نفسه، كما أن أمته مخاطبة بتصديقه، ولا شك في أنه، قبل البعث، لم يكن يعلم أنه رسول الله، وما علم ذلك إلا بالوحي، ويستقيم نفي الإيمان بالمعنى المركب من التصديق بالله وبرسالة نفسه، وليس المراد بالإيمان التصديق بالله فقط.

- ولم قال تعالى: ﴿مَا أَلِكْتُبُ وَلَا أَلَيْمُنُ﴾ (٥٢) والوجه الظاهر أن يقال «وما الإيمان؟»

* تقدير الآية: ما كنت قبل البعث تدري ما الكتاب، ولا ما الإيمان.

المعاني المجازية في سورة «الشورى» (*)

بنايها، ووهاء عِمَادِها، فكانها هي المبجلة لنفسها، من غير مُبْطِلٍ أَبْطَلْها، لظهور أعلام الكذب فيها، وقيام شواهد التهافت عليها. وأطلق تعالى اسم الحجة عليها، وهي شُبْهة، لاعتقاد المُذْلي بها أنها حجة، وتسميته لها بذلك في حال النزاع والمناقلة.

وأيضاً، فَإِنَّ المتكلم بها، لما أوردها مورد الحجة، وأسلكها طريقها، وأقامها مقامها، جاز أن يطلق عليها اسمها.

وفي قوله سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْوِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا فَلْيَافِقْهُ وَمَنْ يَفْقَهُ أَفْهَمُ وَمَنْ يَفْهَمْ أَفْهَمُ﴾ استعارة والمراد بحرث الآخرة والدنيا، كدخ

في قوله تعالى: ﴿أَفَمَوْا الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوا﴾ [الآية ١٣] استعارة. والمراد بإقامة الدين إعلان شعاره، وإعلاء مناره، والدوام على اعتقاده، والثبات على العمل بواجباته.

وقد مضى الكلام على نظائر هذه الاستعارة في ما تقدم.

وفي قوله سبحانه: ﴿مَجْنُومٌ دَابِحَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية ١٦] استعارة. و«الدخض»: الزلُّق. فكانه تعالى قال: حَجَّتْهُمْ ضعيفة غير ثابتة، وزائلة غير متماسكة، كالواطئ الذي تَضَعُفُ قدمه، فيزلُّق عن مستوى الأرض، ولا يستمر على الوطء. وداحضة ههنا بمعنى مدحوضة. وإذا نسب الفعل إليها في الدُّخُوضِ كان أبلغ في ضَعْف

(*) انقضي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشرif الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

الكادح لشواب الآجلة، وخطام العاجلة، فهذا من التشبيه العجيب، والتمثيل المصيب. لأن الحارث المزدرع، إنما يتوقع عاقبة خزيه، فيجني ثمرة غراسه، ويفوز بعوائد ازدراعه.

وقيل معنى: ﴿زِدْ لَمْ فِي حَرْوٍ﴾ أي تعطيه بالحسنة عشرًا، إلى ما شئنا من الزيادة على ذلك. وَمَنْ عمل للدنيا دون الآخرة، أعطيناه نصيباً من الدنيا دون الآخرة.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَيَنْشُرْ رَحْمَةً﴾ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٨﴾ استعارة. وليس المراد أن هناك رحمة كانت مطوية فَنَشَرْتُ، وَخَفِيَّةٌ فَأُظْهِرْتُ.

وإنما معنى الرحمة، ههنا، الغيث المنزل لإحياء الأرض، وإخراج الثبث. ونشره عبارة عن إظهار النفع به، وتعريف الخلق عواقب المصالح بموقعه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَوَرَّاهُمْ يُعْرَضُونَ﴾

عَلَيْهَا خَشِيعَةً مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ ﴿١٩﴾ [الآية ٤٥] استعارة. وقد أشرنا إليها فيما تقدم، لمعنى جز إلى ذكرها. والمراد بذلك، أن نظرهم نظراً الخائف الدليل، والمرتاب الظنين. فهو لَا يَنْظُرُ إِلَّا مُسْتَرْقِياً، وَلَا يُغْضِي إِلَّا مُشْفِقاً. وهذا معنى قولهم: فلان لا يملأ عينيه من فلان. إذا وصفوه بعظم الهيبة له، وشدة المخافة منه. فكأنهم لا ينظرون بمشعات عيونهم، وإنما ينظرون بشفافاتها^(١) مِنْ دَلِيلِهِمْ وَمَخَافَتِهِمْ.

وقد يجوز أن يكون الطرف، ههنا، بمعنى العين نفسها. فكأنه تعالى وصفهم بالنظر من عين ضعيفة، على المعنى الذي أشرنا إليه، أو يكون الطرف مصدر قولك: طَرَفْتُ، أَطَرَفْتُ، طَرَفاً. إِذَا لَحَظْتُ. فيكون المعنى أَن لَحَظَهُمْ خَفِيٌّ، لأنَّ نَظْرَهُمْ اسْتِرَاقٌ، كما قلنا أولاً، من عظيم الخيفة وتوقع العقوبة.

(١) لعلها جمع شفاقة، وهي بقية الشيء.

سورة الزخرف



أهداف سورة «الزخرف» (*)

الخرافات والوثنيات والقيم الجاهلة الزائفة، التي كانت قائمة في النفوس إذ ذاك، ولا يزال جانب منها قائماً في النفوس في كل زمان ومكان.

وقال الفيروزآبادي: معظم مقصود سورة «الشورى» هو: «بيان إثبات القرآن في اللوح المحفوظ، وإثبات الحجّة والبرهان على وجود الصانع، والردّ على عبّاد الأصنام الذين قالوا: الملائكة بنات الله سبحانه، والمّة على الخليل إبراهيم (ع) بإبقاء كلمة التوحيد في عقبه، وبيان قسمة الأرزاق، والإخبار عن حسرة الكفار وندامتهم يوم القيامة، ومناظرة فرعون وموسى، ومجادلة عبدالله بن الزبير للمؤمنين بحديث عيسى (ع)، وإدعاؤه أن

سورة الزخرف سورة مكّية نزلت بعد سورة «الشورى». وقد نزلت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين في مكّة بعد الإسراء وقبيل الهجرة، وقد سُغيت بسورة «الزخرف»، لقوله تعالى فيها:

﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُنْ لَمَّا مَتَّعَ
لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ
الْمُتَّفِقِينَ﴾.

أفكار السورة

تعرض هذه السورة جانباً ممّا كانت الدعوة الإسلامية تلاقه من مصاعب وعقبات، ومن جدال واعتراضات، وتعرض معها كيف كان القرآن الكريم يعالجها في النفوس، وكيف يقرّر في ثنايا علاجها حقائقه وقيمه في مواجهة

(*) انتهى هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

الله وإخلاص التوجه إليه، فكانوا يجعلون له شركاء يخصونهم ببعض ما خلق من الأنعام.

وفي هذه السورة تصحيح لهذه الانحرافات الاعتقادية، وردّ النفوس إلى الفطرة، وإلى الحقائق الأولى؛ فالأنعام من خلق الله، وهي طرف من آية الحياة، مرتبط بخلق السماوات والأرض جميعاً، وقد خلقها الله وسخرها للبشر ليدكروا نعمة ربهم عليهم ويشكروها، لا ليجعلوا له شركاء، ويشرعوا لأنفسهم في الأنعام ما لم يأمر به الله، بينما هم يعترفون بأن الله، جل جلاله، هو الخالق المبدع، ثم هم ينحرفون عن هذه الحقيقة، ويتبعون الخرافات والأساطير:

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْقَلِيمُ﴾.

وكانت الوثنية الجاهلية تقول: إن الملائكة بنات الله. ومع أنهم يكرهون مولد البنات لأنفسهم، فإنهم كانوا يختارون لله البنات ويعبدونهن من

الملائكة أحق بالعبادة من عيسى، ثم بيان شرف الموحدين في القيامة، وعجز الكفار في جهنم، وإثبات ألوهية الحق سبحانه في السماء والأرض، وأمر الرسول (ص) بالإعراض عن مكافأة الكفار^(١) في قوله تعالى:

﴿فَأَصْمَحْ عَنْهُمْ وَفَلَّ سَلْمٌ فَتَوَّ يَتَلَمَّوْنَ﴾.

فصول السورة

إذا تأملنا سورة الزخرف، وجدنا أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

١ - شبهات الكافرين

يشمل الفصل الأول الآيات [١ - ٢٥]. ويبدأ بالتنويه بشأن القرآن والوحي، وبيان أن من سنة الله، جل جلاله، إرسال الرسل لهداية الناس وإرشادهم، ولكن البشرية قابلت الرسل بالاستهزاء والسخرية، فأهلك الله المكذبين.

والعجيب أن كفار مكة كانوا يعترفون بوجود الله، ثم لا يرتبون على هذا الاعتراف نتائجه الطبيعية، من توحيد

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٢١، مع تعديل يسير.

أهدى وأجدى، ومن ثم لا تكون عاقبتهم إلا التدمير والتفكيك، انتقاماً منهم وعقاباً لهم:

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا مُبَاءً عَلَيْنَا أُنْتِمْ وَإِنَّا عَلَيْنَا أَمْتُهُمْ مُتَّفِقُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ أُولُو عِقْتِكُمْ بِأَعْدَائِكُمْ وَمَا يَجِدْتُمْ عَلَيْهِ مُبَاهَةً قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٥٧﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٨﴾﴾

٢ - مناقشة ومحاجة

تستعمل الآيات [٢٦ - ٥٦] على القسم الثاني من السورة، وهو استمرار لمناقشة قريش في دعاويها. فقد كانت قريش تقول: إنها من ذرية إبراهيم (ع) - وهذا حق - وإنها على ملّة إبراهيم (ع) - وهذا ادّعاء باطل - فقد أعلن إبراهيم (ع) كلمة التوحيد قوية واضحة، لا لبس فيها ولا غموض، ومن أجلها هجر أباه وقومه، بعد أن تعرض للقتل والتحريق، وعلى التوحيد قامت شريعة إبراهيم (ع)، ثم أوصى بها ذريته وعقبه، فلم يكن للشرك فيها أي خيط رفيع.

وفي هذا القسم من السورة يرذّم

دونه، ويقولون إننا نعبدن بمشيئة الله ولو شاء ما عبدناهن. وكانت مجرد أسطورة ناشئة عن انحراف في العقيدة.

وفي هذه السورة يناقشهم القرآن بمنطقهم هم، ويحاجهم كذلك بمنطق الفطرة الراضح حول هذه الأسطورة التي لا تستند الى شيء على الإطلاق:

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿٥٩﴾ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ مِنْ يَدَيْهِ بَنَاتٍ وَاصْتَفَيْنَا بِالْبَيْنِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا يُنْفِرُ احْذَرْنَاهُمْ بِمَا حَزَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٦١﴾ أَوْ مِنْ يَسْتَوْفُوا فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ فِي الْفِتْنَةِ غَيْرٌ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَجَعَلُوا التَّلَافُكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَوَّكُنْ سَهَدْتُمْ وَتَسْلُكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

ثم يكشف القرآن الكريم عن سندهم الوحيد في اعتقاد هذه الأسطورة، وهو المحاكاة والتقليد، وهي صورة زريّة، تشبه صورة القطيع يمضي حيث هو، منساقاً بدون تفكير.

ثم يبين القرآن، أن طبيعة المعرضين عن الهدى واحدة، وحجتهم مكرورة بدون تدبر لما يلقى إليهم، ولو كان

الى هذه الحقيقة التاريخية، ليعرضوا عليها دعواهم التي يدعون. ثم يحكي اعتراضهم على رسالة النبي (ص) وقولهم كما ورد في التنزيل ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾، ويناقش قولتهم هذه، وما تنطوي عليه من خطأ في تقدير القيم الأصلية التي أقام الله عليها الحياة، والقيم الزائفة التي تتراءى لهم، وتصدهم عن الحق والهدى. وعقب تقرير الحقيقة في هذه القضية، يُطلعهم على عاقبة المعرضين عن ذكر الله، بعد أن يطلعهم على علة هذا العمى، وهو من وسوسة الشيطان.

ويلتفت السياق في نهاية هذا الدرس الى الرسول (ص) فيذكر تسليية الله تعالى له ومواساته إتياء عن إعراضهم وعماهم، بأن الرسول (ص) ليس بهادي العُصبي أو مُسَيِّع الضَّم، وسيلقون جزاءهم، سواء أشهد انتقام الله منهم، أم أخره الله عنهم، ويوجهه تعالى الى الاستمسك بما أوحى إليه فإنّه الحق الذي جاء به الرسل أجمعون؛ فكلّهم جاءوا بكلمة التوحيد؛ ثم يعرض، من قصة موسى (ع)، حَلْفَة تمثّل واقع العرب

هذا مع رسولهم، وكأنما هي نسخة مكررة تحوي الاعتراضات ذاتها التي يُبدونها، وتحكي اعتزاز فرعون وملته بالقيم ذاتها، التي يعتز بها المشركون: المال، الملك، الجاه، السلطان، مظاهر البذخ. وقد بيّن القرآن الكريم، فيما سبق، أنها لا تُزِن عند الله جناح بعوضة، ولو شاء الله لأعطى هذه الأموال للكافر في الدنيا لهوانها على الله من جهة، ولأنّ هذا الكافر لا حظّ له في نعيم الآخرة، من جهة أخرى؛ ولكنّ الله سبحانه لم يفعل ذلك خشية أن يفتن الناس، وهو العليم بضعفهم، ولولا خوف الفتنة لجعل للكافر بيوتاً سَقَفُها من فضة، وسلالمها من ذهب، بيوتاً ذات أبواب كثيرة، وقصوراً فيها سُرُرٌ للاتكاء، وفيها زخرف للزينة... رمزاً لهوان هذه الفضة والذهب، والزخرف والمتاع، بحيث تبدّل هكذا رخيصة لمن يكفر بالرحمن.

وهذا المتاع الزائل لا يتجاوز حدود الدنيا، ولكن الله يدخّر نعيم الآخرة للمتقين.

٣ - من اساطير المشركين

تشمّل الآيات [٥٧ - ٨٩] على

الدرس الأخير من سورة الزخرف، وفيها يستطرد السياق الى حكاية أساطير المشركين حول عبادة الملائكة، ويحكي حادثاً من حوادث الجدل الذي كانوا يزاولونه، وهم يدافعون عن عقائدهم الروامية، لا بقصد الوصول الى الحق، ولكن مراء ومحالاً.

فلما قيل: إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم، وكان القصد هو أصنامهم التي جعلوها تماثيل للملائكة، ثم عبدوها بذاتها؟ وقيل لهم إن كل عابد وما يعبد من دون الله في النار... لما قيل لهم هذا، ضُرب بعضهم المثل بعيسى بن مريم (ع)، وقد عبده المنحرفون من قومه، أهو في النار؟ وكان هذا مجرد جدل، ومجرد مراء.

ثم قالوا: إذا كان أهل الكتاب يعبدون عيسى (ع)، وهو بشر، فنحن أهدى منهم إذ نعبد الملائكة وهم بنات الله، وكان هذا باطلاً يقوم على باطل.

وبهذه المناسبة، يذكر السياق طرفاً من قصة عيسى بن مريم (ع)، يكشف حقيقته وحقيقة دعوته، واختلاف قومه من قبله ومن بعده.

ثم يهذ المنحرفين عن سواء العقيدة

جميعاً بمجيء الساعة بغتة. وهنا يعرض مشهداً مطولاً من مشاهد القيامة، يتضمن صفحة من النعيم للمتقين، وصفحة من العذاب الأليم للمجرمين، ثم يبين إحاطة الله سبحانه بجميع ما يصدر عنهم، وتسجيل ذلك عليهم.

﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ إِنَّهُمْ لَدَيْنَ اللَّهِ بِكُتُوبٍ﴾ (٨٧).

ثم تَلَفَّ القرآن الكريم في تنزيه الله تعالى عما يصفون، فأمر النبي (ص) أن يذكر لهم أنه لو كان للرحمن ولد، لكان النبي (ص) أول العابدين له، ولكن الله جلّ جلاله منزّه عن اتخاذ الولد، فهو سبحانه له الملكية المطلقة، للسماء والأرض، والدنيا والآخرة.

ثم يواجههم القرآن الكريم بمنطق فطرتهم، فهم يؤمنون بالله، فكيف يصرفون عن الحق الذي تشهد به فطرتهم، ويحيدون عن مقتضاه:

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَّى بُؤُكُونَ﴾ (٨٨).

وفي ختام السورة يتبدى اتجاه الرسول (ص) لربه، يشكو إليه كفرهم، وعدم إيمانهم:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْنَكَ وَكُلَّاهُ قَوْمٌ لَا يَذْكُرُونَ﴾ . ﴿٨٨﴾

ويجيب عليه سبحانه في رعاية،
فيدعوه الى الصفح والإعراض،

فسيلقون جزاءهم المحتوم:

﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ . ﴿٨٩﴾



ترابط الآيات في سورة «الزخرف» (*)

السابقة اتفاق الرسل على شريعة التوحيد، ولكن بعض أتباعهم أدخل عقيدة الولد في شرائعهم، فذكرت هذه السورة بعدها لتنزيه الله سبحانه عنها، وتبرئة هذه الشرائع منها؛ هذا إلى ما فيها من أخذهم بالترهيب والترغيب وغيرهما مما تُشبه به السورة السابقة أيضاً.

التمهيد لتنزيه الله سبحانه عن الأولاد الآيات [١ - ١٤]

قال الله تعالى: ﴿حَمِّمُوا ۚ وَلِكُنْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ فتمهد لذلك بالتنويه بشأن ما يتلى عليهم فيه، وذكر سبحانه

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «الزخرف» بعد سورة «الشورى»، ونزلت سورة «الشورى» بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة «الزخرف»، في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى منها: ﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِنْ كُنْ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْخَيْرَ ۚ اللَّهُ نَزَّلَ الْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وثمانين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تنزيه الله تعالى عن الأولاد، وقد ذكر في السورة

(*) اتفني هذا المبحث من كتاب «النظم الفنى في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجميزة - المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

أنه لا يصح أن يعرض عن إنذارهم لإسرافهم في شركهم، وأنه كم أرسل من نبي في الأولين، وأنهم كانوا أشد منهم بطشاً، فلما استهزأوا بالرسول أهلكهم وجعلهم مثلاً لمن بعدهم؛ ثم انتقل السياق من ذلك إلى إثبات ما ذكره من إسرافهم وعنادهم، فذكر سبحانه أنهم لو سئلوا: مَنْ خلق السماوات والأرض لقالوا: خلقهن العزيز العليم؛ وذكر بعد هذا بعض ما أنعم به عليهم، ليعرفوا فضله، وينزهوه عما لا يليق به، ويعتقدوا أنهم لا بد من رجوعهم إليه ﴿وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا رَبُّنَا كُنُفٌ يُوْنُ﴾.

إبطال بنوة الملائكة

الآيات [١٥ - ٥٦]

ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَمْ مِنْ عِبَادِهِ جُزْأً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ فذكر، جلّ وعلا، أنهم، بدل شكره سبحانه، وتنزيهه عما لا يليق به، قالوا عن الملائكة إنهم بناته، مع أنهم لا يَرْضُونَ البنات لأنفسهم، وإذا بَشُرَ أحدهم بما يضره الله مثلاً من البنات ظلّ وجهه مسوداً من الحزن والغم؛ ثم ذكر أنهم لا دليل لهم على عبادتها إلا

قولهم: لو شاء الرحمن ما عبدناهم، وقولهم: إنا وجدنا آباءنا يعبدونهم ونحن مقتدون بهم؛ وردّ عليهم بأن مَنْ قبلهم مِنَ المشركين ذُكِرَ مثل هذا لرسولهم، فلم يقدّم شيئاً وانتقم الله منهم فأهلكهم؛ ثم أمر النبي (ص) أن يذكر لهم براءة إبراهيم (ع) ممّا يشركون، وهو الأب الأعلى لهم، والإمام الذي يجب أن يكون قدوتهم، وكان قومه يعبدون الكواكب وسكّانها من الملائكة، فتبرأ من عبادتهم، وشرع دين التوحيد لذريته، ليرجعوا إليه جيلاً بعد جيل؛ ثم ذكر تعالى أنه متع العرب من ذريته حين انصرفوا عن شرعه، إلى تلك العبادة الباطلة، فأهلهم وأمدّ لهم، إلى أن أرسل إليهم رسلاً منهم، وأنزل عليه القرآن ليدعوهم إلى عبادته، فاستخفّوا به لأنه لم يكن من ذوي الرياسة فيهم، وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل عظيم من مكة أو الطائف؛ وردّ عليهم سبحانه بأن ذلك فضله ورحمته يقسمهما كما يريد، وهو الذي قسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، واقتضت حكمته أن يكون فيهم الأغنياء والفقراء لتنظم بهذا أمور

بموسى (ع) لأنه لا يبلغ ما بلغه من
المجد والسلطان في الحياة الدنيا، وأنه
استخف قومه فأطاعوه فأغرقهم
أجمعين: ﴿فَجَمَلْنَاهُمْ سَفَكًا وَمَثَلًا
لِّلْآخَرِينَ﴾ (٥٦) ﴿٥٧﴾.

إبطال بنوة عيسى الآيات [٥٧ - ٨٩]

ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا صُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِيدُونَ﴾ (٥٨) ﴿٥٩﴾
فذكر أنهم اعتمدوا على النصرانية في
عبادتهم الملائكة، فقالوا إن النصراني
عبدوا عيسى (ع) واتخذوه ولدًا لله،
والملائكة خير منه بزعمهم الباطل؛
ورّد عليهم سبحانه بأن عيسى ما هو إلا
عبدٌ مثلهم، وأنه لو يشاء سبحانه
لجعلهم خلفاً في الأرض منهم، ولم
يُسكنهم السماوات التي جعلتهم
يبالغون في أمرهم؛ ثم ذكر أن
عيسى (ع) إنما وُلد من غير أب،
ليكون علامة على الساعة، ونهاهم عن
الشك فيها، وأمرهم أن يتبعوه ولا
يسمعوا للشيطان فيما يزين لهم من
عبادة غيره؛ ثم ذكر أن عيسى (ع) جاء
بما جاء به غيره من الرسل، فأمر
بتقوى الله وعبادته، ولكن أتباعه

حياتهم، ورحمته خير من تلك الأموال
التي يجعلونها مقياس الفضل بينهم.
ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على
الكفر، لجعل لمن يكفر به بيتاً سُفِّفها
من فضة، إلى غير هذا من زخرف
الدنيا وزينتها: ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُنَّ لَدَيْكَ
لَمَّا مَتَّعٌ لِّلْكَوْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٦٠) ﴿٦١﴾ ثم ذكر تعالى أن ذلك من
إغواء الشيطان الذي اتخذوه قريباً لهم،
وأنهم سيندمون على استماعهم له،
حين يرجعون إلى ربهم، ويتمنون أن
لو كان بينهم وبينه بُعد المشرقين؛ ثم
ذكر سبحانه للنبي (ص) استحكام
الجهل فيهم، وأنهم لا ترجى هدايتهم،
وأنه إن ذهب به قبلهم فإنه سيتقم منهم
في آخرتهم، وإن أراه ما يوعدون من
العذاب في دنياهم فهو مقتدر عليهم.
ثم أمره أن يستمسك بما أوحى إليه من
الإسلام والتوحيد؛ وذكر أنه هو الدين
الذي أرسل به الرسل قبله؛ ثم خص
موسى (ع) بالذكر من بينهم، لبقاء
ظهور التوحيد في شريعته، أعظم من
ظهوره في سواها؛ فذكر ما كان من
إرساله إلى فرعون وقومه، وذكر ما كان
من اغترار فرعون بملكه، واستهزائه

اختلفوا بعده الى احزاب في شريعته، وزعموا أنه ابن له، ثم هذدهم على هذا بعذاب يوم القيامة، وبين أنها توشك أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون، ويومئذ يعادي الأخلاء بعضهم بعضاً إلا المتقين؛ ثم ذكر ما يحصل للمتقين في ذلك اليوم، وذكر ما يحصل للمجرمين فيه، الى أن ذكر في بيان استحقاقهم لما يحصل لهم: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ أَرْسَلْنَا لَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾.

ثم ختمت السورة بالتلطف في إبطال اتخاذ الأولاد له تعالى، فأمر الله نبيه أن يذكر أنه لو كان الله سبحانه ولد، كما يزعمون باطلاً، لكان أول العابدين

﴿سُبْحَنَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَالْأَرْضُ رَبِّيَ الْقَرِيءُ عَمَّا يَعْبُثُونَ﴾. وأمره أن يتركهم في لهوهم ولعبهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون؛ ثم ذكر سبحانه أنه هو الذي ثبتت ألوهيته في السماء والأرض، وله ملك السماوات والأرض وما بينهما، ولا يملك الذين يدعون، من الملائكة ونحوهم، الشفاعة لأحد، إلا من شهد بالحق، فلا يصح أن يكونوا مع هذا العجز أولاداً له؛ ثم استبعد منهم أن يذهبوا إلى عبادتهم، مع علمهم بأنه جل جلاله، هو الذي خلقهم؛ ثم ذكر أن مثل هؤلاء قوم لا يؤمنون: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

مكنونات سورة «الزخرف» (*)

١ - ﴿وَلَا تَزَلِ الْحَافَةُ عَلَيْكَ لَوْلَا إِذْ تَبْتَغِي عَنْ آلِ الْكَافِرِينَ الْعَظِيمِ﴾ (١).

قال الضحاك، عن ابن عباس: يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي من مكة، ومسعود بن عمرو بن عبيد الله الثقفي من الطائف، أخرجه ابن أبي حاتم.

وأخرج عن قتادة: وعروة بن مسعود^(١).

ومن طريق العوفي، عن ابن عباس:

حبيب بن عمر بن عثمان^(٢) الثقفي.

وأخرج عن مجاهد: عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف^(٣).

٢ - ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ وَصَرُّ﴾ [الآية ٥١].

قال مجاهد: الإسكندرية. أخرجه ابن أبي حاتم.

٣ - ﴿وَلَمَّا صُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الآية ٥٧].

الضارب له عبدالله بن الزبير^(٣).

(١) انتهى هذا المبحث من كتاب «مفجمات الأقران في منتهات القرآن» للسبوطي، تحقيق إيداد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(٢) انظر «تفسير الطبري» ١/٢٥٠.

(٣) «تفسير الطبري» ١: «عمير»، وكذا في «سيرة ابن هشام» ١/٤١٩.

(٤) روله ابن إسحاق في «السيرة» ٣٥٩ - ٣٦٠.

لغة التنزيل في سورة «الزخرف» (*)

والزخرف: الزينة والذهب.

أقول: وقد خُصَّص الزخرف في لغتنا، فصارت دلالته على الأشكال المنسقة، المتقابلة، والمتقاطعة، في حفر الخشب وقطعه، وكذلك في المعادن.

٣ - وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ [الآية ٣٦].

وَقُرئ: ومن يعشُ بضم الشين وفتحها، والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل: عَشِيَ. وإذا نَظَرَ نَظَرَ الْعَشِيَّ ولا آفة به قيل: عَشَا، ونظيره: عَرَج، لِمَنْ به الآفة، وعَرَجَ لِمَنْ مَشَى مشية العرجان من غير عَرَج. ٤ - وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَفَكًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [٥١].

١ - قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [١٣].

وقوله تعالى: مقربين، أي: مطيقين، يقال: أقرن الشيء إذا أطاقه، قال ابن هرة:

وأقرنت ما حملتني ولقمتا

بطاق احتمال الصدُ با دعدُ والهجرُ

أقول: ومع استعمالنا للفعل «قَرَنَ» و«قَارَنَ» فإننا لا نعرف «أَقْرَنَ» ولا نعرف هذا الاستعمال في العربية المعاصرة.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَلِيُؤْيِيَهُمْ أَنْزِيلًا وَسُرْرًا عَلِيًّا يَتَكُونُونَ﴾ [١٤] وَزُخْرَفًا وَلَنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ٣ -

والزخرف: زينة من كل شيء،

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ .

وقوله تعالى: ﴿يَصِدُّونَ﴾، أي
ترتفع لهم جلبة وضجيج، أي من
الصديد وهو الجلبة، وقرئ: يصدون
من الصدود والتفسير واضح.

٦ - وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ .

وقوله تعالى: ﴿تُحْبَرُونَ﴾، أي:
تُكْرَمُونَ وتُسَرَّوْنَ.

وَقُرِئَ ﴿سَلَفًا﴾: جمع سالف كخدم
جمع خادم، و﴿سُلْفًا﴾، بضمين، جمع
سليف، أي: فريق قد سلف، و﴿سِلْفًا﴾
جمع سِلْفَة أي ثُلَّة قد سلفت.

والمعنى: فجعلناهم قُدُوةً لِلْآخِرِينَ
من الكفار، يقتدون بهم في استحقاق
مثل عقابهم، ونزولهم به لإتيانهم بمثل
أفعالهم.

٥ - وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا شَرِبَ أَهْرُ
مَرِيَّةَ مَثَلًا لِّإِنَّا قَوْمُكَ مِنهُ

(*) المعاني اللغوية في سورة «الزخرف»

تَعْبُدُونَ ﴿١٣﴾؛ تقول العرب «أنا براء منك» (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ تقول العرب «مَفَاتِيح» و«مَفَاتِيح» و«مَعَاطٍ» في «المعطاء» و«أَثَافٍ» من «الأثْفِيفَةِ». وواحد «المعارج» «الجفراج» ولو شئت قلت في جمعه «المعاريج».

وقرأ بعضهم قوله تعالى: ﴿وَلَنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الآية ٣٥ خفيفة منصوبة اللام (٢) وقرأ آخرون

قال تعالى: ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ﴾ ﴿١٥﴾ أي: «لأن كنتم».

وقال تعالى: ﴿لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ (الآية ١٣) فتذكيره متعلق بـ «مَا تَزَكُّونَ» ﴿١٤﴾ و«ما» هو مذكر، كما تقول: «عندي من النساء ما يوافقك ويسرك» وقد تذكّر «الأنعام» وتؤنث. وقد قال تعالى في موضع: ﴿بِمَا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل/٦٦]، وقال جل شأنه في موضع آخر ﴿بُطُونُهَا﴾ [المؤمنون/٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا

(١) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

(٢) في مجاز القرآن ٢٣/٢، أنها لغة أهل العالية؛ وفي المفهات ٤٧٥ أنها لغة حجازية.

(٣) هي في السبعة ٥٨٦، إلى القراء، عدا عاصماً، وحمزة، وابن عامر، في رواية؛ وفي التيسير ١٩٦ أبدل هشاماً، بابن عامر؛ وفي البحر ١٥/٨ إلى الجمهور.

﴿لَمَّا﴾ بتثقل اللام ونصبها، وتضعيف الميم^(١) وزعم أنها في التفسير الأول «إلا» وأنها من كلام العرب.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الآية ٣٦] وهو ليس من «أعشى» و«عشو»، إنما هو في معنى قول الشاعر [من الطويل وهو الشاهد السابع والستون بعد الميتين]:

إلى مالِكِ أعشو إلى مثلِ مالِكِ
كانُ «أعشو»: أضعفُ، لأنه حين
قال «أعشو إلى مثل مالِك» كان

«العشو»: الضعف وحين قال: «أعشو إلى مثل مالِك» أخبر أنه يأتيه غير بصير، ولا قوي. كما قال [من الطويل وهو الشاهد الثامن والستون بعد الميتين]:

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجِجًا^(٢).
أي: متى ما تفتقر، فتقصد إلى ضوء ناره، يُغْنِكَ.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ [الآية ٥٣] بجمع «أساور» و«أسورة» وقرأ بعضهم (أسورة)^(٣)

(١) هي في السبعة ٥٨٦ إلى عاصم، وحزمة وابن عامر في رواية، وأبدل في التيسير ١٩٦ هشاماً وابن عامر؛ وأعمل في البحر ١٥/٨ هشاماً وابن عامر، وذكر زيادة الحسن وطلحة والأعشى وعيسى، وعلى هذه القراءة، رُسِمَ المصحف الشريف.

(٢) البيت مطلق من صدر للحطية عجزه هو:

تَجِدُ حُتْبًا خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ
وعجز بيت لعبد الله بن الحر صدره هو:

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ

الكتاب وتحصيل عين الذهب ٤٤٥/١ و٤٤٦؛ ومجالس ثعلب ٤٦٧، والإنصاف ٣٠٩/٢؛ وشرح المفصل ٧/٥٣، و٢٠/١٠، و٦٦/٢، و٤٧٨/٤، و٤٥/٧، و٥٣؛ والخزانة ١٦٠/٣، والدرر ١٦٦/٢، والمقاصد النحوية ٤٣٩/٤؛ ومجالس العلماء ٢٢٠؛ وأمالى ابن السجري ٢٧٨/٢؛ وديوان الحطية ١٦٦.

(٣) هي قراءة نسبت في معاني القرآن ٣٥/٣ إلى يحيى بن وثاب، وفي الطبري ٨٢/٢٥، إلى عامة فراء المدينة، والبصرة، والكوفة؛ وفي حجة ابن خالويه ٢٩٥ إلى القراء، إلا عاصمًا، في رواية حفص، وفي الكشف ٢/٢٥٩، والتيسير ١٩٧، إلى غير حفص؛ وزاد عليه في الجامع ١٠٠/١٦ ابن مسعود، وأبيّأ؛ وفي البحر ٨/٢٣ إلى الجمهور.

أما قراء أشورة، ففي معاني القرآن ٣٥/٣ إلى أهل المدينة، والحسن؛ واقتصر في الطبري ٨٢/٢٥ على الحسن؛ وفي السبعة ٥٨٧ إلى عاصم، وفي حجة ابن خالويه ٢٩٥ إلى عاصم، في رواية حفص؛ وفي الكشف

بجعلہ جمعاً للأسورة فكأنه أراد:
 «أساوير»، والله أعلم، بِجَعْلِ الهاء عوضاً من الياء التي في
 «زُنَادِيق».

٢/٢٥٩، والتبشير ١٩٧، والجامع ١٦/١٠٠، الى حفص؛ وفي البحر ٨/٢٣، الى الحسن، وفنادة، وأبي
 رجاء، والأعرج، ومجاهد، وابن حيوة، وحفص.
 (١) نقله في الصحاح ٢/٦٩٠.

لكل سؤال جواب في سورة «الزخرف» (*)

والنبي (ص) ما لقيهم حتى يسألهم؟

قلنا: فيه إضمار تقديره: واسأل أتباع من، أو أمة من أرسلنا من قبلك. الثاني: أنه مجاز عن النظر في أديانهم، والبحث عن ملئهم، هل فيها ذلك. الثالث: أن النبي (ص) حشر له الأنبياء عليهم السلام ليلة المعراج، فلقبهم، وأمهم في مسجد بيت المقدس، فلما فرغ من الصلاة نزلت عليه هذه الآية، والأنبياء حاضرون، فقال لا أسأل قد كفيت، وقيل إنه خطاب له، والمراد به أمته.

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُرِيدُ مِنَ آيَةِ إِلَّا هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الآية ٤٨] يعني الآيات التسع

إن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية ٣] ولم يقل قلناه أو أنزلناه، والقرآن ليس بمجموع، لأن الجعل هو الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام/١] وقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَنِي آلِ إِبْرَاهِيمَ الْفُكْرَ وَالْأَنْثَى﴾ [التوبة/١٧].

قلنا: الجعل أيضاً يأتي بمعنى القول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ فِيهِ أَبْنَاءَ﴾ [النحل/٥٧] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا فِيهِ آندَادًا﴾ [إبراهيم/٣٠] أي قالوا ووصفوا، لا أنهم خلقوا كذلك هنا.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَسْتَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الأنبياء/٤٥]

(*) انتهى هذا البحث من كتاب «أسئلة القرآن المعجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

تعالى ﴿بَقَّةً﴾ أي فجأة.

قلنا: الحكمة أنَّ الساعة تأتيهم، وهم غافلون، مشغولون بأمور دنياهم، كما قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يسر] فلولا قوله تعالى ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٣١]، لجاز أن تأتيهم بغتة، وهم فطنون، حذرون، مستعدون لها.

فإن قيل: لِمَ وصف تعالى أهل النار فيها بكونهم مبلسين، والمبلس هو الأيس من الرحمة والفرج، ثم قال تعالى ﴿وَتَأَذُّنُا يَنْفِصُ عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾ [الآية ٧٧] فطلبوا الفرج بالموت.

قلنا: تلك أزمئة متطاولة، وأحقاب ممتدة، فتختلف فيها أحوالهم، فيغلب عليهم اليأس تارة فيسكنون، ويشتد ما بهم من ألم العذاب تارة فيستغيثون.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَفِي الْأَنْزِيلِ إِلَهُهُ﴾ [الآية ٨٤] ظاهره يقتضي تعدد الآلهة، لأن النكرة إذا أعيدت تعددت كقول القائل: له علي درهم ودرهم، وأنيت طالق وطالق، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما لن يغلب غُسر يسرين؟

قلنا: الإله هنا بمعنى المعبود

التي جاء بها موسى (ع). فإن كان المراد به أن كل واحدة منهم أكبر من سواها، لزم أن يكون كل واحدة فاضلة ومفضولة؛ وإن كان المراد به أن كل واحدة منهم أكبر من أخت معينة لها، فأينتها هي الكبرى، وأينتها هي الصغرى؟

قلنا: المراد بذلك - والله أعلم - أنهم موصوفات بالكبر، لا يكذبن يتفاوتن فيه، ونظيره بيت الحماسة:

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَأَقِيَتْ سَيْدُهُمْ

يمثل التُجوم التي يسري بها الساري

فإن قيل: لِمَ قال عيسى (ع) لأُمته كما ورد في التنزيل: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ [الآية ٦٣].

قلنا: كانوا يختلفون في ما يعنيههم من أمر الديانات، وفي ما لا يعنيههم من أمور أخرى، فكان يبين لهم الشرائع والأحكام خاصة. وقيل إن البعض هنا بمعنى الكل، كما سبق في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر/ ٢٨].

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٣١] بعد قوله

بالنقل، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَوْأَ اللَّهِ
فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام/ ٣] فصار
المعنى: وهو الذي في السماء معبود
وفي الأرض معبود. والمغايرة ثابتة بين
معبوديته في السماء، ومعبوديته في
الأرض، لأن العبودية من الأمور

الإضافية، فيكفي في تغييرهما التغيير
من أحد الطرفين، فإذا كان العابد في
السماء غير العابد في الأرض، صدق
أن معبوديته في السماء غير معبوديته في
الأرض، مع أن المعبود واحد.

المعاني المجازية في سورة «الزخرف» (*)

محمولاً على وُصف الذُّكر بذلك،
على طريق الاستعارة.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ۝﴾ استعارة. وقد
مضى مثلها في ما تقدم، إلا أن ههنا
إبدال لفظه مكان لفظه. لأن ما مضى
من نظائر هذه الاستعارة، إنما يرد بلفظ
إحياء الأرض بعد موتها. وورد ذلك
ههنا، بلفظ الإنشار بعد الموت وهو
أبلغ. لأن الإنشار صفة تختص بها
الإعادة بعد الموت، والإحياء قد
يشارك فيه ما يُعاد من الحيوان بعد
موته، وما يُعاد من النبات والأشجار
بعد تلبُّده وجفوفه. يقال: قد أحيا الله
الشجر.

في قوله سبحانه: ﴿أَفَنْصَبُ عَنْكُمُ
الْذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا
شُرَيفِينَ ۝﴾ استعارة. ويقال:
ضربت عنه وأضربت عنه بمعنى
واحد.

وسواء قولك ذهبْتُ عنه صفحاً،
وأعرضْتُ عنه صفحاً، وضربتُ
وأضربتُ عنه صفحاً، ومعنى صفحاً
ههنا أي أعرضْتُ عنه بصفحة وجهي.

والمراد، والله أعلم، أَفَنْعَرِضُ عنكم
بالذِّكر، فيكون الذِّكْرُ مروراً بصفحة
عنكم، من أجل إسرافكم وبغيكم؟ أي
لسنا نفعل ذلك، بل نوالي تذكيركم
لتنذركم، ونتابع زجركم لتنزجروا.
ولمَّا كان سبحانه يستحيل أن يصف
نفسه بإعراض الصفحة، كان الكلام

(*) انقضي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني
حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

كما يقال: قد أخيا البشر. ولا يقال: أنشَر الله النبات، كما يقال: أنشَر الأموات.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٧) استعارة: لأن الكلام الذي هو الأصوات المقطعة، والحروف المنظومة، لا يجوز عليه البقاء. إنما المراد، والله اعلم، أن إبراهيم (ع) جعل الكلمة التي قالها لأبيه وقومه وهي قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (١٧) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيُجِدُنِي (١٧) بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ، بأن وصى بها ولده، وأمرهم أن يتواصوا بها ما تناقلتهم الأصلاب، وتناسختهم الأذوار. وهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص والتوحيد. والله اعلم.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَثَلِ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يَتَّبِعُونَ﴾ (١٥) وهذا الكلام أيضاً داخل في قبيل الاستعارة. لأن مسألة الرسل الذين فزجت قروئهم، وخلت

أزمانهم غير مُمكنة. إنما المراد، والله اعلم، وإسأل أصحاب مَنْ أرسلنا من قبلك من رسلنا، أو استعلم ما في كتبهم، وتعرف حقائق سننهم. وذلك على مثال: ﴿وَسَنَلِي الْقُرْيَةَ﴾ (٨١) [يوسف/٨٢].

وقال بعضهم: مسألة الرسل ههنا بمعنى المسألة عنهم، عليهم السلام، وعمّا أتوا به من شريعة، وأقاموه من عماد سنة. وقد يأتي في كلامهم: أسأل كذا، أي اطلبه، وإسأل عنه.

قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَثْوًى لَكُمْ﴾ (١٢٣) [الاسراء/٣٤] أي مسؤولاً عنه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْقَوُودُ سُئِلَتْ﴾ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٨) أي سُئِلَ عَنْ قَتْلِهَا، وَطُلِبَ بِدَمِهَا. فكانه تعالى قال لنبيه (ع): وإسأل عن سنن الأنبياء قبلك، وشرائع الرسل الماضين أمامك، فإنك لا تجد فيها إطلاقاً عبادة لمعبود إلا الله سبحانه. وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير.

سورة الدّٰخٰر



أهداف سورة الدخان (*)

وَذَلَّ الْكُفَّارَ فِي الْعُقُوبَةِ، وَعَزَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَالْجَنَّةَ عَلَى الرَّسُولِ (ص) بِتَسْيِيرِ الْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥٩)

فضل السورة

سورة الدخان سورة يُكثِرُ المسلمون قراءتها، خصوصاً ليلة النصف من شعبان، وليلة القدر في رمضان، وليلة الجمعة. وهي تبدأ ببيان أن القرآن أنزل من السماء في ليلة مباركة، يحمل الرحمة والهدى من رب العالمين؛ ثم تنذر المشركين بالعذاب، وتذكر طرفاً من قصة موسى (ع) مع فرعون، يَغْفِيهِ

سورة «الدخان» سورة مكية نزلت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين في مكة، بعد الإسراء، وقبيل الهجرة، وآياتها ٥٩ آية، نزلت بعد سورة «الزخرف». وقد سميت سورة «الدخان» لقوله تعالى فيها:

﴿فَارْقُبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ (٦٠)

أفكار السورة

قال الفيروزآبادي: معظم ما ترمي إليه سورة الدخان هو:

نزول القرآن في ليلة القدر، وآيات التوحيد، والشكاية من الكفار، وحديث موسى (ع) وبني إسرائيل وفرعون، والرد على منكري البعث،

(*) انقضي هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومفاسدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

مشاهد القيامة، وفيها نعيم المتقين، وعقاب المشركين.

ومن السُّنة قراءة سورة الدخان ليلة الجمعة لتثبيت الإيمان وتقوية اليقين بقدره الله رب العالمين. قال رسول الله (ص): «من قرأ حم التي يُذكر فيها الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له»^(١).

سياق السورة

سورة الدخان سريعة الإيقاع، قصيرة الفواصل، لها سمات السور المكية، إذ تشتمل على صور عنيفة متقاربة، وتُدر متكررة، تشبه المطارق التي تقع على أوتار القلب البشري. ويؤكد سياق السورة أن يكون كله وحدة متماسكة، ذات محور واحد، تشد إليه خيوطها جميعاً، سواء في ذلك القصة، ومشهد القيامة، ومصارع الغابرين، والمشهد الكوني، والحديث المباشر عن قضية التوحيد والبعث والرسالة، فكلها وسائل ومؤثرات لإيقاظ القلب البشري، واستجاشته لاستقبال حقيقة الإيمان حية نابضة، كما يبثها هذا

القرآن في القلوب»^(٢).

تبدأ السورة بهذه الآيات القصيرة المتلاحقة، المتعلقة بالكتاب والإنذار والرسالة والهداية:

﴿حَمِّ ۝ وَاصْبِرْ لِّلَّذِينَ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۝ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝﴾.

ثم تعريف للناس بربهم: رب السماوات والأرض وما بينهما، وإثبات الوحدانية لله المُحيي المميت، رب الأولين والآخرين.

ثم أغرض السياق عن هذا الحديث ليتناول شأن القوم:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝﴾.

ويعاجلهم بالتهديد المرعب جزاء الشك واللعب:

﴿فَلَرْتَبٌ يَوْمَ ثَأْنِي السَّمَاءِ ۝ يَدْحَانِ ۝ يَوْمَ يَفْتَنُ النَّاسُ ۝ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾.

ثم ذكر ما يكون من دعائهم لله أن يكشف عنهم العذاب، وإعلانهم

(١) في حاشية الشهاب على تفسير البياضوي ١٤٨ «هذا الحديث أخرجه الترمذي، وليس موضوعاً».

(٢) في خلال القرآن، بقلم سيد قطب ١٠٥/٢٤.

الاستعداد للإيمان في وقت لا يُقبل
منهم فيه إيمان.

وتذكيرهم بأن هذا العذاب لم يأت
بعد، وهو الآن عنهم مكشوف
فليتنبهوا للفرصة، قبل أن يعودوا الى
ربهم، فيكون ذلك العذاب المخيف.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ الْبُطْشَةُ الْكُبْرَىٰ إِنَّا
مُنْقِشُونَ﴾ (٣١).

ومن هذا الإيقاع العنيف بمشهد
العذاب، ومشهد البطشة الكبرى
والانتقام، ينتقل بهم السباق الى مصرع
فرعون وملته، يوم جاءهم رسول
كريم، يدعوهم الى الإيمان بالله
تعالى، فأبوا أن يستجيبوا لدعوته،
وهُموا بالانتقام من موسى (ع) فأغرقهم
سبحانه، وتركوا وراءهم الجنات
والزروع، والفاكهة والمقام الكريم،
يستمتع بها سواهم، ويذوقون هم
عذاب السعير.

وفي غمرة هذا المشهد الموحى يعود
السياق الى الحديث عن تكذيبهم
بالآخرة، وإنكارهم للبعث وقولهم،
كما ورد في التنزيل:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ

بُمُنْشَرِينَ﴾ (٣٢) فَأَتَوْا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾.

ليذكّرهم، بأنهم ليسوا أقوى من قوم
تُبْع الذين هلكوا لإجرامهم. ويربط
السياق بين البعث، وحكمة الله، جلّ
وعلا، في خلق السماوات والأرض،
فلم يخلقهما عبثاً، وإنما لحكمة
سامية، هي أن تكون الدنيا للعمل
والابتلاء، والآخرة للبعث والجزاء.

ثم يحدثهم عن يوم الفصل الذي هو
﴿يَقْتُلُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. وهنا يعرض
السياق مشهداً عنيفاً لعذاب المكذّبين:
إنهم يأكلون من شجرة مؤلمة طعامها
مثل دُرْدِي^(٣) الزيت المغلي - وهو
المُهْل - يَغْلِي في البطون كغلي
الجميم، ويُسَدّ المجرم شداً في جفوة
وإهانة، ويُصَبّ فوق رأسه من الحميم
الذي يَكْوِي ويشوي.

ومع الشدّ والجذب، والدفع والعنل
والكَيّ، التائب والإهانة، جزاء الشكّ
والتكذيب بالبعث والجزاء:

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ﴾ (٣٤).

وفي الجانب الآخر من ساحة

(٣) دُرْدِي الزيت: ما رَسَب أسفل الزيت.

القيامة، نجد المتقين في مقام أمين،
يلبسون الحرير الرقيق وهو السندس،
والحرير السميك وهو الإستبرق،
ويجلسون متقابلين يسُرون ويتمتعون
بالخُور العين، وبالخلود في دار
النعيم.

﴿فَصَلِّا مِنْ رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾ (٥٧).

ثم يأتي الختام يذكّرهم بنعمة الله
مبجّاه في تيسير هذا القرآن على لسان
الرسول العربي، الذي يفهمون كلامه
ويدركون معانيه، ويخوفهم العاقبة
والمصير، في تعبير ملفوف، ولكنه
مخيف.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ مُرْسِلِينَ﴾ (٥٨).

ترابط الآيات في سورة «الدخان» (*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «الدخان» بعد سورة «الزخرف»، ونزلت سورة «الزخرف» بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة «الدخان» في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١٥) وتبلغ آياتها تسعاً وخمسين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة، بيان أن ما أنذر به المشركون، في آخر السورة السابقة، قد صار قريباً، وأصبح وقوعه

مرتقياً، وأوشك دخانه أن يملأ آفاق السماء؛ ولهذا جاءت هذه السورة بعد سورة الزخرف، لِمَا بينهما من هذه المناسبة الظاهرة.

إنزال يوم العذاب الآيات [١ - ٥٩]

قال الله تعالى: ﴿حَمَّ ۝١ وَالْكَتَبِ ۝٢ أَلْمِينِ ۝٣ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٤﴾ فذكر سبحانه أنه أنزل يوم عذابهم إلى سماء الدنيا، في الليلة التي اختارها من السنة لتقدير الحوادث فيها، وإعلان ملائكته بها لتنفيذها. ثم انتقل السياق من هذا إلى أمر النبي (ص) بارتقابه يوم تأتي السماء

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفتي في القرآن»، للشيخ عبد المنعم الصعدي، مكتبة الآداب بالجميزة - المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

بدخانه . وهذا كناية عن ظهور شره، لأن الإنسان إذا اشتد خوفه أظلمت عيناه، فبرى الدنيا كأنها مملوءة من الدخان . ثم ذكر السياق ما يكون من دعائهم له، سبحانه، أن يكشفه عنهم وإعلان استعدادهم للإيمان، وما يكون من استبعاده إيمانهم إذا كشفه عنهم، وقد جاءهم رسول مبين فأعرضوا عنه وقالوا: مُغْلَمٌ مجنون . ثم ذكر السياق أيضاً أنه، سبحانه، يكشفه قليلاً، ليظهر كذبهم في دعوى استعدادهم للإيمان، إذا كشفه عنهم، وأنه، جلّت قدرته، يبطش بهم بعد هذا بطشته الكبرى، وينتقم منهم . ثم أتبع ذلك بذكر ما حصل لفرعون وقومه لبيان قدرة الله تعالى على إهلاكهم، وأن تلك سنته فيمن يكذب رسله ولا يؤمن به . ثم عاد السياق إليهم فذكر أنهم

يُنْكِرُونَ ذلك ويزعمون أنهم لا يُعْثُونَ؛ ويطلبون، ممن يعتقد ذلك، أن يبعث لهم آباءهم إن كان صادقاً في دعواه . وأورد السياق رده سبحانه عليهم بأنهم ليسوا أقوى من قوم تُبِّع الذين أهلكتهم لإجرامهم، وبأنه، جلّ وعلا، لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما عبثاً، وإنما خلق ذلك لحكمة لا تظهر إلا بأن يكون هناك بعث بعد الموت، لأنه لا بُدَّ من يوم يفصل فيه بينهم أجمعين، فلا يُغْنِي فيه مؤلى عن مؤلى شيئاً، وتكون شجرة الزقوم طعام الأثيم، ويكون المتقون في مقام أمين . ثم خُتِمت السورة بمثل ما بدأت به، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَرْزِقُكَ بِمَا تَعْلَمُ يَنْتَكِرُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَرْزُقْهُمْ إِنَّهُمْ مُرْتَابُونَ ﴿٥٦﴾﴾ .

مكنونات سورة «الدخان» (*)

١ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَتٍ﴾ [الآية ٣].

قال عكرمة: ليلة القدر. أخرجه ابن أبي حاتم.
وقيل: ليلة النصف من شعبان^(١).

حكاه ابن عسكر^(٢).

٢ - ﴿طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾.

قال سعيد بن جبير: هو أبو جهل. أخرجه ابن أبي حاتم^(٣).

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «مفجعات القرآن في مبهجات القرآن» للسيوطي، تحقيق إيهاد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ١٣٧/٤: «ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان، كما روي عن عكرمة، فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان أي في سورة القدر.

(٢) والطبري في «تفسيره» ٦٤/٢٥، وصوب أنها في ليلة القدر.

(٣) وأخرجه الطبري ٧٨/٢٥ عن ابن زيد.

لغة التنزيل في سورة «الحنان» (*)

سَوَاءٌ الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾ .

أي: فقودوه بعنف وغلظة، وهو أن يؤخذ بتليبب الرجل، فيجرّ إلى حبس أو قتل. ومنه العُتْلُ، أي: الغليظ الجافي.

١ - وقال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ .

أي: لما جاء وقت هلاكهم لم يُنظَرُوا إلى وقت آخر، ولم يُمهَلُوا إلى الآخرة. والإنظار: الإمهال.

٢ - وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِنَّ

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامولي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

المعاني اللغوية في سورة «الدخان» (*)

جعلته مبتدأ. وأضمرت خبره تريد «إلا
مَنْ رَجِمَ اللَّهُ فَيُغْنِي عَنْهُ».

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّجْنَهُمْ بِحُورٍ
عِينٍ ۖ﴾ أي، والله أعلم، «جَعَلْنَاهُمْ
أَزْوَاجاً بِالْحُورِ»، ومن العرب من يقول
«عَيْنَ جَيْرٍ».

قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ ۖ﴾ ﴿أَمْراً﴾ وقال: ﴿رَحْمَةً مِن
رَّبِّكَ﴾ [الآية ٦] بانتصابه على «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
أَمْراً وَرَحْمَةً» في الحال.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُمْ
هُوَ﴾ [الآية ٤٢] بجعله بدلاً من الاسم
المضمّر في ﴿يُصْرَوْنَ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ وإن شئت

(*) انتهني هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة
العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

لكل سؤال جواب في سورة «الحن» (*)

بذلك الموتة الثانية في القبر، بعد إحيائهم لسؤال مُنكر ونكير.

فإن قيل لِمَ قال تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا قَوْلَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيمِ﴾ والعذاب لا يصب، وإنما يصب الحميم، كما في قوله تعالى في موضع آخر: ﴿يُصَبُّ مِنْ قَوْلِ رُسُلِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج]؟

قلنا: هو استعارة ليكون الوعد أهول وأهيب، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر] وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَيْنَا مَثَلًا﴾ [البقرة/ ٢٥٠]، وقول الشاعر:

صَبَّتْ عَلَيْهِمْ صُرُوفُ الدُّغْرِ مِنْ صَبَبٍ
فإن قيل: لِمَ وعد الله أهل الجنة

إن قيل: الخلاف بين النبي (ص) ومنكري البعث إنما كان في الحياة بعد الموت لا في الموت، فَلِمَ قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ﴾ [٢٣] إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى، ولم يقل إلا حياتنا، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون/ ٣٧] وما معنى وصف الموتة بالأولى، كأنهم وعدوا موتة أخرى، حتى نَفُوهَا وجحدوها وأثبتوا الموتة الأولى؟

قلنا: لَمَّا وعدوا موتة تكون بعدها حياة نَفُوهَا ذلك، كأنهم قالوا: لا تقع في الوجود موتة تكون بعدها حياة، إلا ما كنا فيه من موتة العدم، وبعثنا منه الى حياة الوجود. وقيل إنهم نَفُوهَا

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «مسئلة القرآن المجيد وأحويته»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

لبس الإستبرق وهو غليظ الديباج في قوله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ مع أن لبس الغليظ من الديباج عند السعداء من أهل الدنيا عيب ونقص؟

قلنا: كما أن رقيق ديباج الجنة وهو السندس، ولا يماثل رقيق ديباج الدنيا إلا في الاسم فقط، فكذلك غليظ ديباج الجنة. وقيل السندس لباس السادة من أهل الجنة، والإستبرق لباس العبيد والخدم إظهاراً لتفاوت المراتب.

فإن قيل: لم قال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الآية ٥٦] مع أن

الموتة الأولى لم يذوقوها في الجنة؟

قلنا: قال الزجاج والفراء «إلا» هنا بمعنى سوى كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَكَفْتُ﴾ [النساء/٢٢] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود/١٠٨].

الثاني: أن «إلا» بمعنى بعد كما قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَكَفْتُ﴾. الثالث: أن السعداء، إذا حضرتهم الوفاة، كشف لهم الغطاء، وعرضت عليهم منازلهم ومقاماتهم في الجنة، وتلذذوا في حال النزع بروحها وريحانها، فكانهم ماتوا في الجنة، وهذا قول ابن قتيبة رحمه الله.

المعاني المجازية في سورة «الدخان» (*)

يُقال: قد شمع بأنفه. وهذه الصفة بمثل وصفه بالعلو. لأن الشامخ: العالي.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص/ ٤١] أي تجبر فيها، واستكبر على أهلها. وليس يراد بذلك العلو الذي هو الصعود. وإنما يراد به العلو الذي هو الاستكبار والعتو. وضد وصفهم المستكبر بالعلو والتطاؤل، وضفهم المتواضع بالخشوع والتضاؤل.

وفي قوله سبحانه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾. استعارة. وقد قيل في معناها أقوال: أحدها أن البكاء ههنا بمعنى الحزن، فكانه تعالى قال: فلم تحزن عليهم السماء والأرض بعد هلاكهم، وانقطاع

في قوله سبحانه: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ استعارة، وقد مضى الكلام على مثلها في بني إسرائيل. والمراد، والله أعلم، تبين كل أمر حكيم في هذه الليلة، حتى يصير كَفَرُكَ الصبح في بيانه، أو مَفْرُق الطريق في اتضاحه. ومنه قولهم: فرقت الشجر. إذا خلصت بعضه من بعض، وبيئت مخط وسطه باليدزى^(١) أو بالإضبع.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ لَا تَقْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ يَأْتِيَكُمُ الْبَطْنُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ استعارة. والمراد بالعلو ههنا: الاستكبار على الله سبحانه، وعلى أوليائه.

ويوصف المستكبر في كلامهم بأن

(*) انقضي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشرif الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) البزري: المشط الذي يذرى به الرأس، ويُشَط.

آثارهم. وإنما عبّر سبحانه عن الحزن بالبكاء، لأن البكاء يصدر عن الحزن، في أكثر الأحوال. ومن عادة العرب أن يصفوا الدار إذا ظفرت عنها سكناها، وفارقها قطنانها بأنها باكية عليهم، ومتوجعة لهم، على طريق المجاز والاتساع، بمعنى ظهور علامات الخشوع والروحشة عليها، وانقطاع أسباب النعمة والأنسة عنها.

ووجه آخر هو أن يكون المعنى: لو كانت السماوات والأرض من الجنس الذي يصح منه البكاء لم تبكي عليهم، ولم تتوجعا لهم، إذ كان الله سبحانه عليهم ساخظاً، ولهم ماقبلاً.

ووجه آخر: قبل معنى ذلك: ما

بكى عليهم من السماوات والأرض، ما يبكي على المؤمن عند وفاته، من مواضع صلواته، ومصاعيد أعماله، على ما وزد الخبر به^(١).

وفي ذلك وجهان آخران يخرج بهما الكلام عن طريق الاستعارة، فأحدهما أن يكون المعنى: فما بكى عليهم أهل السماء والأرض، ونظائر ذلك في القرآن كثيرة. والآخر أن يكون المعنى أنه لم ينتصر أحدٌ لهم، ولم يطلب طالب بثأرهم.

ومضى في أشعار العرب: بَكَيْنَا فلاناً بأطراف الرماح، وبمضارب الصفاح. أي طلبنا دمه، وأدركتنا ثأره.

(١) روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص): «ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان: باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقدها، فبكى عليه. ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾. انظر «الجامع لأحكام القرآن» ج ١٦ ص ١٤٠ وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما: إنه يبكي مصلاه من الأرض، ومصعد عمله من السماء. (المصدر نفسه).

سورة الجاثية



أهداف سورة «الجاثية» (*)

الذين لا يؤمنون به، وينكرون البعث بعد الموت، وقد دعت السورة إلى هذا تارة بالدليل، وتارة بالترهيب والترغيب، شأنها في ذلك شأن السورة السابقة، وشأن السورة التي ذكرت قبلها ووافقتها في هذا الغرض، كما وافقها في الحروف التي ابتدأت بها، ولهذا ذكرت هذه السورة معها، وسميت مجموعة هذه السور بالحواميم، نسبة إلى بدايتها بقوله تعالى: ﴿حَمِّ﴾.

وقال الفيروزآبادي: معظم مقصود سورة «الجاثية» هو: بيان حجة التوحيد، والشكاية من الكفار والمنكرين، وبيان النفع والضرر

سورة «الجاثية» سورة مكية نزلت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة، بعد الإسرائ وقبيل الهجرة، وآياتها ٣٧ آية نزلت بعد سورة «الدخان»، ولهذه السورة اسمان: سورة «الجاثية» لقوله تعالى:

﴿وَرَى كُلُّ أُنْثَىٰ جَآئِئًا كُلُّ مُتَّقٍ﴾.

وسورة «الشريعة» لقوله:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الغرض من السورة

تحمل سورة الجاثية الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والرد على الدهرية

(*) انتهى هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

والإساءة والاحسان^(١) وبيان شريعة الإسلام والإيمان، وتهديد العصاة والخائنين من أهل الإيمان، وذم متابعي الهوى، وذل الناس في المحشر، ونسخ كتب الأعمال من اللوح المحفوظ، وتأييد الكفار في النار وتحميد الرب المتعال بأوجز لفظ وأفصح مقال^(٢)، في قوله جلّ وعلا:

﴿فَلِلَّهِ الْمُلْكُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

سمات السورة

لاحظنا أن سورة الدخان تتميز بقصر الآيات، وعنف الإيقاع فيها كأنه مطارق تفرغ القلوب. وسورة الجاثية بجوارها تسير في سر وهواة وإيضاح هادئ وبيان دقيق عميق.

والله سبحانه خالق القلوب، ومُنْزِل هذا القرآن، يأخذ القلوب تارة بالقرع والطرق، وتارة باللمس الناعم الرقيق، وتارة بالبيان الهادئ الرقيق، حسب تنوعها هي وأخلافها. فمن الناس من ينفع معه الزجر والوعيد، ومنهم من

يأسره التوجيه الهادي الرشيد، والقلب الواحد يتقلب على حالات متعدّدة، والله يختار له ما يناسب، وهو سبحانه اللطيف الخبير، السميع البصير. وقد كان من دعاء النبي (ص): «اللهم يا مُقَلِّبَ القلوب والأبصار، ثَبِّتْ قلبي على دينك»، فقالت عائشة: يا رسول الله أراك تُكثر من هذا الدعاء... فقال النبي: يا عائشة، إن قلوب المباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء.

منهج السورة

تُصَوِّر سورة الجاثية جانباً من استقبال المشرّكين للدعوة الإسلامية، وطريقتهم في مواجهة حُججها وآياتها، وتعتهم في مواجهة حقائقها وقضاياها، واتباعهم للهوى اتباعاً كاملاً، في غير ما تَخْرُج من حق واضح، أو برهان ظاهر. كذلك تُصَوِّر كيف كان القرآن يعالج قلوبهم الجامحة، الشاردة مع الهوى، المُخْلِقة دون الهدى. وهو يواجهها بآيات الله القاطعة، العميقة التأثير والدلالة، ويذكرهم بعذابه،

(١) لعله يقصد الإشارة إلى آيات الله الكونية في نفع العباد في الدنيا ثم في عقوبة الكفار في الآخرة.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٢٦/١.

وَيَصُورُ لَهُمْ ثَوَابَهُ، وَيُغْفِرُ لَهُمْ سُنَّتَهُ، وَيُعَرِّفُهُمْ بِثَوَابِهِ الْمَاضِيَةِ فِي هَذَا الْوُجُودِ.

درسان في السورة

سورة الجاثية وحدة في علاج موضوعها، وهذه الوحدة تشتمل على درسين:

الدرس الأول: يتناول أدلة الشرك بالتفنيذ، وأدلة الإيمان بالتوضيح والتأييد.

والدرس الثاني: يعرض عناد الكافرين في الدنيا، ثم يذكر أحوالهم في مشاهد القيامة.

شبهات الكفر وأدلة الإيمان

تبدأ سورة الجاثية بهذين الحرفين حم. والملاحظ أن هذه الأحرف التي تفتتح بها السور يتبعها عادة الحديث عن القرآن، مما يشير إلى أنها نزلت للتنبؤ به، وتلقت الأنظار إلى خصائصه المتميزة، وتبرهن بذلك على أنه ليس من صنع البشر، وإنما هو من عند الله:

﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنْ أَفْقٍ الْغَيْرِ الْكَبِيرِ﴾

وتعرض أدلة الإيمان والتوحيد، وتلفت الأنظار إلى جلال الله سبحانه، ودلائل قدرته جلّ وعلا في السماء والأرض، والخلق والدواب، والليل والنهار، والمطر والزرع والرياح، حتى تأخذ على النفس أقطارها، وتواجهها بالحجج والبراهين ساطعة واضحة فتقول:

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ۝ فِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّوٍ مَّآثٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ سَأَلْتَهُ مَنْ نَزَّلَ الْوَحْيَ لَكَ فِي الْوَحْيِ مَقَالٍ ۚ قَالَ نَزَّلَهُ رَبِّي وَأَنَا نَذِيرٌ ۝ كَذَّبَ الَّذِينَ هَؤُلَاءِ إِذْ بَدَأُوا هَدًى ۖ وَطَرَفُوا بِآيَاتِنَا ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ النَّصْرُ هِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْغَاسِقِ إِذْ يُسَاقُونَ فِيهَا وَلَهُمْ مُوَقِفٌ رَبِّهِمْ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾

ومن خلال الآيات التالية، نرى فرباً من الناس مصراً على الضلالة مكابراً في الحق، شديد العناد، سيئ الأدب في حق الله وحق كلامه.

﴿وَلِلَّهِ أَفَّاكٌ أَتُوبُ ۖ يَسْمَعُ مَا يَكْتُمُونَ ۚ إِنَّهُ يُخَوِّطُ لَهُمُ الْبُتُونَ ۝﴾

ونرى جماعة من الناس، ربما كانوا من أهل الكتاب، سيئي التصویر والتقدير، لا يقيمون وزناً لحقيقة الإيمان الخالصة، ولا يحسنون الفارق

الأصيل بينهم وهم يعملون السيئات، وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات؛ والقرآن يُشعرهم بأن هناك farkاً أصيلاً في ميزان الله بين الفريقين:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا الشَّيْءَ أَنْ يَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَعَهُمْ خَيْرُهُمْ وَوَعْدُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٣١)

ونرى فريقاً من الناس لا يعرف حكماً يرجع إليه إلا هواه فهو إلهه الذي يعبد، ويطيح كل ما يراه؛ نرى هذا الفريق مصوراً تصويراً فذاً في هذه الآية التي تُبدي العجب من أمره، وتشهر بغفلته وعماه.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ إِنْ فَقَدَ أَهْوَاهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٢)

أرأيت كيف تناولت هذه السورة الهادئة، أصناف المشركين وفرقهم المناوئة للدعوة؟ وربما كان هؤلاء جميعاً فريقاً واحداً من الناس يصدر منه هذا وذاك، ويصفه القرآن في السورة هنا وهناك، كما يجوز أن يكونوا فريقاً متعددة.

وعلى أي حال فقد واجه القرآن هؤلاء الناس بصفاتهم تلك وتصرفاتهم، وتحدث عنهم في هذه السورة ذلك الحديث، كذلك واجههم الله تعالى بآياته في الآفاق، وفي أنفسهم، وفي البر والبحر؛ يقول سبحانه:

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْتَفْتُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣٣) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ (٣٤)

ويستغرق الدرس الأول من السورة الآيات [١ - ٢٣].

عناد الكافرين وعقابهم يوم الدين

يشمل الدرس الثاني من السورة الآيات [٢٤ - ٣٧].

ويبدأ بعرض أقوال المشركين عن الآخرة وعن البعث والحساب، ودعواهم أن الأيام تمضي، والدهر ينطوي، فإذا هم أموات، والدهر في ظنهم هو الذي يُنهي آجالهم، ويلحق بأجسامهم الموت فيموتون؛ وقد فُتد القرآن هذه الدعوى وبَيَّن أنها لا تستند إلى حقيقة أو يقين، وإذا قرعتم

الآيات الدالة على ثبوت البعث لم يجدوا لهم حجة إلا أن يقولوا:

﴿أَتُنْشَأُ بِقَالِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٥).

والله سبحانه له حكمة في خلق الناس، فقد خلقهم للاختبار والابتلاء في الدنيا قبل الموعد الذي قدره وفق حكمته العليا.

والله هو الذي يُحيي وهو الذي يُميت؛ فلا عجب، إذًا، في أن يُحيي الناس ويجمعهم إلى يوم القيامة، وهو سبحانه مالك السماوات والأرض، وهو القادر على الإنشاء والإعادة.

مشاهد القيامة

تعرض الآيات الأخيرة من سورة «الجاثية» لمشاهد الآخرة ظاهرة ملموسة للعيّن، ومن خلال الآيات ترى المشركين وقد جثّوا على الرُكَبِ متميزين أمةً أمةً في ارتقاب الحساب المرهوب.

ثم يأخذون كتابهم وقد سُجِّلَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ، وَنُسِخَتْ فِيهِ كُلُّ أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَرَأَى كُلُّ أَشْءٍ جَانِبَهُ كُلُّ شَيْءٍ دُنْدَعَهُ إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) هَذَا

كُنْتُمْ يَطُوعُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِجُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦).

ثم تنقسم الحشود الحاشدة والأمم المختلفة على مدى الأجيال إلى فريقين اثنين: الذين آمنوا، وهؤلاء يُدخلهم ربهم في رحمته؛ والذين كفروا، وهؤلاء يُلْقَوْنَ التشهير والتوبيخ جزاء عنادهم؛ وعندئذٍ يظهر أمام الذين كفروا سيئات ما عملوا، ويحقيق بهم المهانة والعذاب، ويسدل الستار عليهم، وقد أوصدت عليهم أبواب النار:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اخْتَدَمُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ هُزُومًا وَفَرَقَنَاهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالِيزِمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنَّا وَلَا هُمْ يُسْقَوْنَ﴾ (١٧).

وهنا ينطلق صوت التحميد يعلن وحدة الربوبية في هذا الكون سمائه وأرضه، إنسه وجنّه، طيره ووحشه، وسائر ما فيه ومن فيه؛ فكلّهم في رعاية رب واحد، له الكبرياء المطلقة في هذا الوجود، وله العزة القادرة والحكمة المدبرة:

﴿فَقُلْ لِلَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢١) وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٢).

ترابط الآيات في سورة «الجاثية» (*)

بعد الموت . وقد دعي فيها إلى هذا تارة بالدليل، وتارة بالترهيب والترغيب، وشأنها في ذلك شأن السورة السابقة، وشأن السور التي ذكرت قبلها ووافقتها في هذا الغرض، كما وافتتها في الحروف التي ابتدئت بها، ولهذا ذكرت هذه السورة معها .

إثبات وجود الله تعالى الآيات [١ - ٢٣]

قال الله تعالى: ﴿حَمِّمْ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمِينَ ٣﴾ فاستدل سبحانه على وجوده بآياته في السماوات والأرض، وفي خلق الإنسان والدواب إلى غير هذا مما ذكره

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «الجاثية» بعد سورة «الدخان»، ونزلت سورة «الدخان» بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة «الجاثية» في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ كُلُّ شَيْءٍ جَايِئٌ كُلُّ شَيْءٍ نَّدَعٌ لِّإِنْ كُنَّهَا الْيَوْمَ بُحْرًا مَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٥﴾ وتبلغ آياتها سبعاً وثلاثين آية .

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والرد على الدهرية الذين لا يؤمنون به، وينكرون البعث

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجميزة - المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ .

من الآيات، ثم أنذر بالهلاك من لا يؤمن بها، ويصِرُّ على الكفر مستكبراً بعد سماعها، وأخذ السياق في هذا إلى قوله تعالى: ﴿مَنْذَرٌ لِّكَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُونَ بِرَبِّهِمْ فَهُمْ عَلَىٰ مِيزَانٍ ۝﴾.

ثم عاد السياق إلى الاستدلال على وجوده تعالى بتسخيره لنا البحر تجري أفلك فيه بأمره، ولنبتغي من فضله ونشكره على تسخيره ذلك لنا. وترقى السورة من تسخير ذلك لنا إلى تسخيره، جلّ وعلا، لنا كل ما في السماوات وما في الأرض جميعاً، ثم أمر الذين آمنوا بهذا أن يغفروا للذين يكفرون به ولا يَرْجُونَ أيام الله، فأخذهم في هذا بالترغيب بعد ذلك الترهيب، وهُوْن عليهم أمر كفرهم بأن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها، ثم إلى ربهم مرجعهم فيحكم بينهم، وأتبعه بيان مشابهة طريقتهم في ذلك لطريقة بني إسرائيل قبلهم، ليهوّن عليهم أيضاً بذلك أمرهم، فذكر سبحانه أنه آتاهم الكتاب والحكم والنبوة، إلى غير هذا مما أنعم به عليهم، فاختلفوا فيما آتاهم من ذلك بغياً وظلماً، ثم ذكر للنبي (ص) أنه

آتاه مثلهم شريعة من أمر الدين، وحذّره أن يختلف فيها كما اختلفوا باتباع أهواء الجاهلين، فلا يُغْنُوا عنه من عذابه شيئاً، لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض، وهو وليّ المتقين وحدهم، وهذا تبصيرة لمن يتبصّر، وهديّ ورحمة لقوم يوقنون. ثم عاد السياق إلى تفصيل ما أجمله من الحكم بينهم، فذكر سبحانه أنه لا يُسَوِّي في الحكم بين الذين اجترحوا السبثات والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأنه خلق السماوات والأرض بالحق، ولشجزي كلّ نفس بما كسبت وهم لا يُظلمون: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَلَ عَلَيْهِ عَنِ صَعْدٍ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ ۚ اللَّهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝﴾.

الرد على الدهرية الآيات [٢٤ - ٣٧]

ثم قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا مِنْ إِلَٰهٍ حَافِئًا أَلَدُنَا نَمُوتُ وَحَيًّا وَمَا يَحْكُمُ إِلَّا أَفْئِدَةُ وَمَا لَدُنْهُمْ بِذِكْرٍ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الدَّهْرَ هُوَ الَّذِي يُهْلِكُهُمْ، وَيَنْكُرُونَ وَجُودَ إِلَٰهِ يَحْيِيهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ

ويحاسبهم . ورد عليهم بأنهم لا يستندون في ذلك إلى علم ودليل . فإذا قرعتهم الآيات الدالة على ثبوت البعث لم يجدوا لهم حُجَّةً إلا أن يقولوا ﴿أَنْتُمْ بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٦﴾ وقد أمر النبي (ص) أن يجيبهم بأن الله يحييهم ثم يميتهم ثم يجمعهم إلى يوم القيامة الذي لا ريب فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ثم ذكر، سبحانه، أنه يوم تقوم الساعة يخسر المبطلون، وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

يُدخلهم في رحمته، وأن الذين كفروا يقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ مَا بَيْنَ يَدَيِّ نَارٍ تُنَلِّقُ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ إلى غير هذا مما يقال لهم، وحينئذ تبدو لهم سينات ما عملوا، ويحقيق بهم ما كانوا به يستهزئون . ثم ذكر، جل جلاله، استحقاقه الحمد على ذلك، وختم السورة به: ﴿فَلِلَّهِ الْمُنْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾ .

لغة التنزيل في سورة «الجاثية» (*)

فالاستنساخ: طلب النسخ، أي:
الكتابة، لا كما هو شائع في اللغة
المعاصرة.

قال تعالى: ﴿هَذَا يَكْتُبُا يَطُوقُ عَلَيْكُمْ
بِالْحَيِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾ (١٤).

أي: إِنَّا كُنَّا نَسْتَكْتُبُ الملائكة
أعمالكم.

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(*) المعاني اللغوية في سورة «الباقية»

قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية ٢١]. من فسر «المحيا» و«الممات» للكفار والمؤمنين فقد يجوز في هذا المعنى نصب «السواء» ورفعها: لأن من جعل «السواء» مستوياً فينبغي له أن يرفعه: لأنه الاسم، إلا أن ينصب «المحيا» و«الممات» على البدل. ونصب «السواء» على الاستواء.

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَوْنًا﴾ [الآية ٩] ثم قال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ السَّيِّئُ﴾ [الآية ١٠]. فجمع لأنه قد قال: ﴿وَيَوْمَ يَكُونُ السَّيِّئُ﴾ [٧] فهو في معنى جماعة مثل

الأشياء التي تجيء في لفظ واحد، ومعناها معنى جماعة؛ وقد جعل «الذي» بمنزلة «من» في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر] فـ «الذي» في لفظ واحد. ثم قال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ تُنْذِرُ﴾ [الآية ٣١] أي: قِيلَ لَهُمْ: «أَلَمْ تَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ تُنْذِرُ عَلَيْهِمْ» ودخلت الفاء لمكان «أما».

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَنْظُرْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية ٣٢] أي: مَا تَنْظُرُ إِلَّا ظَنًّا.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

لكل سؤال جواب في سورة «الباقية» (*)

فإن قيل: لِمَ أضيف الكتاب إلى الأمة ثم أضيف إليه سبحانه، في قوله: ﴿كُلُّ أَتَقَرُّ دَعْوَىٰ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ٢٨] وقوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ [الأنعام: ٢٩].

فلنا: الإضافة تصح بأدنى ملابس.
وقد صحت إضافة الكتاب إليهم،
بكون أعمالهم مثبتة فيه. وصحت
إضافة الكتاب إليه تعالى، بكونه مالكة
الحق؛ وكونه أمر الملائكة أن يكتبوا
فيه أعمالهم.

١٦
 إِنَّ قِيلَ: كَيْفَ طَابَ الْجَوَابُ السَّوَالِ
 فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا مَلَائِكَةٌ
 مَّائِينَ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا
 بِمَا بَيْنَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٦ قُلِ اللَّهُ يُجَبِّرُ
 مَنْ يَشَاءُ ثُمَّ يَجْعَلُ لَكَ لِمَ يَمَسُّكَ الْيَوْمَ إِلَهَةٌ إِلَّا رَبُّ
 فِيهِ.

قلنا: وجه المطابقة أنهم أُلزموا بما هم مقرّون به من أن الله تعالى هو الذي أحياهم أولاً ثم يُميتهم؛ ومن كان قادراً على ذلك كان قادراً على جمعهم يوم القيامة، فيكون قادراً على إحياء أبائهم.

(*) انتهى هذا البحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

المعاني المجازية في سورة «الجاثية» (*)

وفي قوله سبحانه: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنِيطُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الآية ٢٩]، استعارة، وقد مضت الإشارة إلى نظيرها فيما تقدم. والمعنى: الكتاب ناطق من جهة البيان، كما يكون الناطق من جهة اللسان. وشهادة الكتاب ببيانه، أقوى من شهادة الإنسان بلسانه.

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الآية ١٨] استعارة، لأن الشريعة في أصل اللغة اسم للطريق المفضية إلى الماء المورود، وإنما سُمِّيَتْ الأديان شرائع لأنها الطرق الموصلة إلى موارد الثواب، ومنافع العباد، تشبيهاً بسرائع المناهل التي هي مَذْرَجَةٌ إلى الماء وموصلة إلى الرّواء.

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

سورة الأحقاف



أهداف سورة «الأحقاف» (*)

للحياة بعد قيام الجماعة المسلمة والدولة الإسلامية. ذلك أن طبيعة هذا الدين تجعل قضية الإيمان بوحداية الله سبحانه، وبعثة محمد (ص) والإيمان بالآخرة وما فيها من جزاء، هي المحور الذي تدور عليه آدابه وتُنظَّمه وشرائعه كلها، وترتبط به أوثق ارتباط، فتبقى حياة حازة تبعث نائراً دائماً بذلك الإيمان.

وتسلك السورة بهذه القضية إلى القلوب كلَّ سبيل، وتُوقِّع فيها على كلِّ وتر، وتُغْرِضها في مجالات شتى، مصحوبةً بمؤثرات كونية ونفسية وتاريخية. كما أنها تجعلها قضية الوجود كله، لا قضية البشر وحدهم، فتذكر طُرْفاً من قصة الجن مع هذا

سورة الأحقاف سورة مكية، آياتها ٣٥ آية، نزلت بعد سورة «الجاثية».

سورة الإيمان والتوحيد

تُغْرِض سورة الأحقاف قضية الإيمان بواحدانية الله، وربوبيته المطلقة لهذا الوجود ومن فيه وما فيه، والإيمان بالوحي والرسالة، والإيمان بالبعث وما وراءه من حساب وجزاء على ما كان في الحياة الدنيا من عمل وكسب، من إحسان وإساءة.

هذه الأسس الأولى التي يقيم عليها الإسلام بناءه كله، ومن ثَمَّ عالجهما القرآن في كلِّ سُورَةٍ المكية علاجاً أساسياً، وظل يتكئ عليها كذلك في سُورَةِ المدينة كلما هَمَّ بتوجيه أو تشريع

(*) انتُقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كلِّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

القرآن، كما تذكر موقف بعض بني إسرائيل منه، وتقيم من الفطرة الصادقة شاهداً، كما تقيم من بعض بني إسرائيل شاهداً سواء بسواء.

ثم هي تطوف بتلك القلوب في آفاق السماوات والأرض، وفي مشاهد القيامة في الآخرة، كما تطوف بهم في مصرع قوم «هود»، وفي مصارع القرى حول مكة، وتجعل من السموات والأرض كُتُباً تنطق بالحق، كما ينطق هذا القرآن بالحق على السواء.

أربعة مقاطع

تشتمل سورة الأحقاف على أربعة عناصر متماسكة، كأنها عنصر واحد ذو أربعة مقاطع:

١ - نقاش المشركين

يبدأ المقطع الأول بالحرفين حاء وميم، في قوله تعالى: ﴿حَمِّ ۖ﴾. وهي بداية تكررت في ست سور سابقة تسمى بالحواميم. وهي: «غافر»، و«فصلت»، و«الشورى»، و«الزخرف»، و«الدخان»، و«الجاثية»؛ والسورة السابعة هي «الأحقاف».

ونلاحظ أن هذه السور السبع تبدأ

بالحرفين حاء وميم، ثم تُعَقَّبُ بذكر الكتاب، مما يؤكد أن هذه الأحرف نزلت على سبيل التحدي لأهل مكة أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

وتشير سورة الأحقاف في بدايتها إلى القرآن فتقول: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْغَزِيْزِ لِنُكَيْهِ ۖ﴾. وعَقَبَهَا مباشرة الإشارة إلى كتاب الكون وقيامه على الحق وعلى التقدير والتدبير. ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَكِاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأنبياء ٣] فيتوافى كتاب القرآن المثلز، وكتاب الكون المنظور على الحق والتقدير.

وبعد هذا الافتتاح القوي الجامع، يأخذ السياق في عرض قضية العقيدة مبتدئاً بإنكار ما كان عليه القوم من الشرك الذي لا يقوم على أساس من واقع الكون، ولا يستند إلى حق من القول ولا مأثور من العلم. ويعرض بعد هذا سوء استقبالهم للحق الذي جاءهم به محمد رسول الله (ص)؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَنَا جَاءَتْ هَذِهِ سِحْرٌ ۖ﴾.

ثم يسوق، عز وجل، إنكارهم للحق وتطاولهم على الوحي، وانتهامهم

عَرَبِيًّا يُسْنِدُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَفُتِرَ
لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٧﴾» .

وفي نهاية المقطع الأول بصور لهم
جزاء المحسنين، ويفسر لهم هذه
البشرى التي يحملها إليهم القرآن
الكريم بشرطها، وهو الاعتراف ببريئة
الله وحده، والاستقامة على هذا
الاعتقاد ومقتضياته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا
رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا فَلَا حَوْثَ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُم بِحُزْنٍ يُخْزَوْنَ﴾ ، فقد آمنوا بالله
سبحانه، وأعلنوا ذلك، واستقاموا على
منهج الايمان، فاستحقوا حياة كريمة
في الدنيا ونعيماً خالداً في الآخرة.

٢ - الفطرة السليمة والفطرة السقيمة

يحتوي المقطع الثاني على ست
آيات هي الآيات [١٥ - ٢٠]، وفيها
حديث عن الفطرة في استقامتها وفي
انحرافها، وفيما تنتهي إليه حين
تستقيم، وما تنتهي إليه حين تنحرف .

يبدأ بالوصية بالوالدين، وكثيراً ما
ترد الوصية بالوالدين لاحقة للكلام عن
العقيدة، لبيان أهمية الأسرة والعمل
على ترابطها، وتذكير الانسان بأصل
نعمته ورعايته .

النبي (ص) بالكذب والافتراء. ويرد
عليهم سبحانه بأن الأمر أجل من
مقولاتهم الهازلة، وادعاءاتهم العابثة .
اذ هو أمر الله العليم الخبير، يشهد
ويقضي، وفي شهادته وقضائه الكفاية:
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْقَرْتُمْ قُلْ إِنْ افْقَرْتُمْ فَلَا
تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُبْعَثُونَ فِيهِ كَفَى بِكُمْ شَيْدًا يَتَّبِعُ وَيَتَنَكَّرُ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

ثم يبين أن محمداً (ص) ليس بدعاً
من الرسل فقد سبقه رسل كثيرون، فهو
مبلغ عن الله سبحانه، وملتزم بوحي
السماء . ويسوق حجة أخرى على
صدق رسالته، تتمثل في موقف بعض
من اهتدى للحق من بني إسرائيل،
حينما رأى في القرآن مصداق ما يعرف
من كتاب موسى (ع). ويستطرد السياق
في عرض ثعلباتهم ومعاذيرهم الواهية
على هذا الإصرار، وهم يقولون عن
المؤمنين، كما ورد في التنزيل: ﴿لَوْ
كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [البقرة ١١] .
ويشير الى كتاب موسى (ع) من قبله،
والى تصديق هذا القرآن له، والى
وظيفته ومهمته: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا

وتذكرنا الآيات بجهود الأم وفضلها في الحمل والولادة والرضاع.

«إِنَّ الْبُيُوضَةَ بِمَجْرَدِ تَلْقِيحِهَا بِالْخَلِيَةِ المُنَوِيَّةِ، تَسْعَى لِلاتِّصَاقِ بِجِدَارِ الرَّحِمِ وَهِيَ مَزُودَةٌ بِخَاصِيَّةٍ تَمْزِيقِ جِدَارِ الرَّحِمِ الَّذِي تَلْتَصِقُ بِهِ، فَيَتَوَارَدُ دَمُ الْأُمِّ إِلَى مَوْضِعِهَا حَيْثُ تَسْبِغُ هَذِهِ الْبُيُوضَةُ دَائِمًا فِي بَرَكَةٍ مِنْ دَمِ الْأُمِّ الْغَنِيِّ بِكُلِّ مَا فِي جِسْمِهَا مِنْ خِلَاصَاتٍ، وَتَمْتَنِّضُهُ لِحَيَاةٍ بِهِ وَتَنْمُو وَهِيَ دَائِمَةٌ الْأَكْلِ لِجِدَارِ الرَّحِمِ، دَائِمَةٌ الْإِمْتِصَاصِ لِمَادَةِ الْحَيَاةِ، وَالْأُمِّ الْمَسْكُونَةِ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ، وَتَهْضُمُ وَتَمْتَصُ، لِتَصْبُ هَذَا كُلَّهُ دَمًا نَقِيًّا غَنِيًّا لِهَذِهِ الْبُيُوضَةِ الشَّرْهَةِ النَّهْمَةِ الْأَكُولِ.

وفي فترة تكوين عظام الجنين يشتد امتصاصه للجير من دم الأم فتفتقر إلى الجير، ذلك أنها تعطي محللول عظامها في الدم ليقوم به هيكل هذا الصغير، وهذا كله قليل من كثير.

ثم الوضع وهو عملية شاقة، ممزقة، ولكن آلامها الهائلة كلها لا تقف في وجه الفطرة، ولا تنسى الأم حلاوة الثمرة، ثمرة تلبية الفطرة، ومنح الحياة

نبتة جديدة تفيض وتمتد، بينما هي تذوي وتموت.

ثم الرضاع والرعاية، حيث تعطي الأم عصارة لحمها وعظمها في اللبن، وعصارة قلبها وأعصابها في الرعاية، وهي، مع هذا وذلك، فَرِحَةٌ سَعِيدَةٌ، رَحِيمَةٌ وَدُودٌ. لَا تَمَلُّ أَبَدًا، وَلَا تَرَاهَا كَارِهَةً لِتَعْبِ هَذَا الْوَلِيدِ، وَأَكْبَرَ مَا تَنْتَظِعُ إِلَيْهِ مِنْ جِزَاءٍ: أَنْ تَرَاهُ يَسْلُمُ وَيَنْمُو، فَهَذَا هُوَ جِزَاؤُهَا الْحَبِيبُ الْوَحِيدُ^(١).

وقد تكررت وصية القرآن للأبناء بِبِرِّ الْآبَاءِ، لِأَنَّ الْوَالِدَيْنِ قَدَمَا كُلِّ شَيْءٍ، كَالنَّبْتَةِ الَّتِي يَنْمُو بِهَا النَّبَاتُ فَإِذَا هِيَ قَشَّةٌ، وَكَالْبُيُوضَةِ الَّتِي يَنْمُو مِنْهَا الْكَتْكُوتُ فَإِذَا هِيَ قَشْرَةٌ.

ومن الواجب رد الجميل والعرفان بالفضل لأهله، وَأَنْ يُحْسِنَ الْإِنْسَانُ إِلَى أَصْلِهِ وَأَنْ يَدْعُو لَهُمَا، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ تَكَافُلِ الْأَجْيَالِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَلَمَهُ وَفَضَّلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ

(١) في خلال القرآن ٢٦/٢١.

٣ - قصة عاد

يتناول المقطع الثالث من السورة قصة عاد وهم قوم نبي الله هود (ع)، ويشمل الآيات [٢٠ - ٢٨].

والقصة هنا تخدم الفكرة وتؤيدها: فقد أنكر أهل مكة رسالة النبي محمد (ص)، وأعرضوا عن دعوته. فجاء هذا المقطع يذّكرهم بأشباههم، وينذرهم أن يصيبهم ما أصاب السابقين.

﴿وَأَذَكَّرُ أَمَا عَلِمُوا إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ قَوْمَهُمْ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الآية ٢١]. وأخو عاد هو هود عليه السلام، دعا قومه إلى التوحيد وحذّره من عذاب الله.

والأحفاف جمع جُفَف، وهو الكثيب المرتفع من الرمال، وقد كانت منازل عاد على المرتفعات المتفرقة في جنوب الجزيرة، يقال في حضرموت.

وقد أُنذر أخو عاد قومه ودعاهم إلى عبادة الله وحده، وحذّره بطشه وانتقامه. ولم تؤمن عاد برسالة هود (ع)، وقابلت دعوته بسوء الظن وعدم الفهم والتحدي والاستهزاء، واستعجال العذاب الذي ينذرهم به. فلما رأوا العذاب، في صورة سحابة،

أَوْزَعِي أَنْ أَشْكُرَ بِمَنِّكَ إِلَهِ أَنْصَتَ عَلَيَّ وَعَلَيَّ وَلَدَيْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٥﴾.

وهذا النموذج، الذي نشاهده في الآية، نموذج للفطرة المستقيمة التي ترعى أصلها وتنعهد ذريتها، وهذا النموذج يقبل الله عمله ويحشره في أصحاب الجنة.

أما النموذج الثاني، فهو نموذج الانحراف والفسوق والضلال، نموذج ولد عاد بجحد معروف والديه وينكر البعث والجزاء ويقول ﴿مَا هَذَا إِلَّا أُسْلُوبُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٥﴾.

وهذا النموذج جدير بالخسران: لقد خسر اليقين والإيمان في الدنيا، ثم خسر النعيم والرضوان في الآخرة.

وينتهي هذا المقطع من السورة بعرض هذين النموذجين ومصيرهما في النهاية؛ ثم يعرض مشهداً من مشاهد القيامة حيث يعرض المتكبرون على النار؛ وفي ذلك المشهد نرى الغائب شاهداً مائلاً يستحث النفوس على الهدى، ويستجيش الفطر السليمة القوية لارتياذ الطريق الواصل المأمون.

ظنوه مطراً مفيداً لهم: ﴿قَلَمًا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطِيرٌ إِنَّ بَلَّ هَوَ مَا اسْتَعْبَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥﴾ تَذَمَّرَ كُلُّ قَوْمٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا يَزِيحُ إِلَّا مَنَاجِكُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾.

وتقول الروايات إنه أصاب القوم حرٌّ شديد، واحتبس عنهم المطر، ودَخِنَ الجَوُّ حولهم من الحرِّ والجفاف، ثم ساق الله جلَّ جلاله إليهم سحابة ففرحوا بها فرحاً شديداً وخرجوا يستقبلونها في الأودية وهم يحسبون فيها الماء ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطِيرٌ﴾. وجاءهم الرد بلسان الواقع ﴿بَلَّ هَوَ مَا اسْتَعْبَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥﴾ تَذَمَّرَ كُلُّ قَوْمٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا... وهي الريح الصرصر العاتية التي ذكرت في سورة أخرى كما جاء في صفتها: ﴿مَا نَدَّرَ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَمَلْتَهُ كَازْمِيرٍ ١٦﴾ [الذاريات/٤٢].

لقد اندفعت الريح تحقق أمر الله، وتدمر كل شيء بأمر الله، فهلك القوم بجميع ما يملكون من أنعام ومتاع وأشياء، وبقيت مساكنهم خالية موحشة لا دَيَّارَ فيها ولا نافعٍ نار.

ويلتفت السياق الى أهل مكة يلمس

قلوبهم، ويحرك وجدانهم، ويذكرهم بأن الهالكين كانوا أكثر منهم تمكناً في الأرض، وأكثر مالا ومتاعاً وقوة وعلماً. فلم تُغْنِ عنهم قدرتهم ولا قوتهم، ولم يُغْنِ عنهم ثراؤهم. ولم ينتفعوا بسمعهم وأبصارهم وأفئدتهم، بل أَصْمُوا قلوبهم عن سماع الحق، ولم تُغْنِ عنهم آلهتهم التي اتخذوها تقرباً إلى الله.

وكذلك يقف المشركون في مكة أمام مصارع أسلافهم من أمثالهم، فيقفون أمام مصيرهم هم أنفسهم، ثم أمام الخطأ الثابت المتطرد المتصل، خط الرسالة القائمة على أصلها الواحد الذي لا يتغير، وخط السُنَّةِ الإلهية التي لا تتحوَّل ولا تتبدَّل. وتبدو شجرة العقيدة عميقة الجذور، ممتدة الفروع، ضاربة في أعماق الزمان، سُنَّةٌ واحدة، على اختلاف القرون واختلاف المكان.

لقد أهلك الله القرى التي كذبت رُسُلَهَا في الجزيرة، كعادٍ بالأحاف في جنوب الجزيرة، وثمودة بالجنجر في شمالها، وسبأ وكانوا باليمن، ومَذْيَن، وكانت في طريقهم الى الشام، وكذلك قرى قوم لوط وكانوا يمرون بها في رحلة الصيف الى الشمال.

وقد نَوَّعَ اللهُ جَلَّ جلاله في آياته،
لعلَّ المكذَّبين يرجعون إلى ربهم،
ويشوبون إلى رشدهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٤ - إيمان الجن

يتناول المقطع الرابع الحديث عن
إيمان الجن ويشمل الآيات الأخيرة من
سورة «الاحقاف».

وقد تحدث القرآن عن الجن فذكر
أَن أصلهم من نار، وَأَن منهم
الصالحين ومنهم الظالمين، وَأَن لهم
تجمعات معيَّنة تشبه تجمعات البشر في
قبائل وأجناس، وَأَن لهم قدرة على
الحياة على هذا الكوكب الأرضي،
ولهم قدرة على الحياة خارج هذا
الكوكب. وللجن قدرة على التأثير في
إدراك البشر، والإيعاز بالسُّر. قال
تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾
مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ
سَرِّ السَّوْآتِ الْهَامَاتِ ﴿٤﴾ أَلَذِي
يُؤْتِي فِي صُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنْ
الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾. ومن خصائص
الجن أَن يَرَوْا النَّاسَ وَلَا يَرَاهُم النَّاسُ،

لقوله تعالى عن إبليس، وهو من
الجن: ﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُ الْهُوَ وَيَقِيلُ مِنْ حَيْثُ
لَا تَرَوْنَهُ﴾ [الأعراف/٢٧].

وقد تحدثت الآيات الأخيرة من
السورة عن إيمان الجن الذين استمعوا
لهذا القرآن، فتنادوا بالإنصات،
واطمأنت قلوبهم إلى الإيمان،
وانصرفوا إلى قومهم منذرين يدعونهم
إلى الله سبحانه، ويبشرونهم بالغفران
والنَّجاة، ويحذرونهم الإعراض
والضلال.

وهذا الأمر في ظاهره الخبر عن
إيمان الجن، ومع ذلك، فهو يصوِّر أثر
هذا القرآن في القلوب. فعندما سمع
الجن تلاوة القرآن قالوا: أَنصِتُوا.
وعندما تأثرت قلوبهم، انطلقوا إلى
قومهم يتحدثون عن القرآن والإيمان،
ويعرضون دعوة الإسلام على قومهم.
وبفضل القرآن صاروا دعاة هداة، مَلَكَ
القرآن عليهم نفوسهم، فانطلقوا
يحملون الهداية والرحمة لقومهم، ثم
يتحدثون عن الصلة الوثيقة بين القرآن
والتوراة، بين محمد وموسى، صلوات
الله وسلامه عليهما، وعلى الأنبياء
والمرسلين كافة، فالجميع من عند الله
لهداية خلق الله:

وفي ختام السورة توجيـه
لـلرسل (ص) بالصبر والمصابرة فإنها
طريق الرسل، وما ينبغي للدعاة إلا
الصبر والاحتمال.

مقصود السورة اجمالاً

ذكر الفيروزآبادي أن معظم سورة
الأحقاف هو:

«إلزام الحجة على عبادة الأصنام،
والإخبار عن تناقض كلام المتكبرين،
وبيان نبوة سيد المرسلين محمد (ص)،
وتأكيد ذلك بحديث موسى (ع)،
والوصية بتعظيم الوالدين، وتهديد
المتنعمين والمترفين، والإشادة بإهلاك
عاد، والإشارة إلى الدعوة، وإسلام
الجن، وإتيان يوم القيامة فجأة،
واستقلال لبث الـلـابـثين في قوله تعالى:
﴿قَاسِرٍ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعِجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا
يُوعَدُونَ لَرَبِّ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِّغْ
فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٥).

﴿قَالُوا يَنْقُوتَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ
مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
إِلَى الْحَقِّ وَإِلَّا طَرِيقٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (١٥).

وهذا القول على لسان الجن يفيد ما
بين الرسل جميعاً من أصرة الأخوة.
فربهم واحد، ودعوتهم واحدة،
وفكرتهم أساسها هداية الناس ومحاربة
الردائل، والتعاون على الخير
والمعروف. والعداء بين الأديان إنما
جاء من سوء الفهم أو من تحريف
الانسان للوحي.

كذلك وردت على لسان الجن إشارة
الى كتاب الكون المفتوح، ودلالته على
قدرة الله الظاهرة في خلق السموات
والأرض، الشاهدة لقدرته على الإحياء
والبعث، وهي القضية التي يجادل فيها
البشر، وبها يجحدون.

وبمناسبة البعث، يعرض السياق
مشهداً من مشاهد القيامة يبدو فيه
الكفار وهم يعترفون بالإيمان، بعد أن
كانوا ينكرونه في الدنيا، ثم يقال لهم:
﴿فَدُورُوا أَلْعَذَابَ يَمَّا كُنتُمْ
تَكْفُرُونَ﴾ (١٦).

ترابط الآيات في سورة «الأحقاف» (*)

والترغيب والأخذ بالدليل، كما جُمع بين ذلك في السُّور السابقة، وهذا هو وجه المناسبة بينها وبين هذه السور.

إنذار الكفار بالعذاب

الآيات [١ - ٣٥]

قال الله تعالى ﴿حَمَّ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ أَفْوَاهٍ مَكِيدٍ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾ فذكر سبحانه أنه خلق السماوات والأرض لحكمة وأجل ينتهي أمرهما بعد ذلك؛ وليس خَلْقُهُمَا عبثاً، فلا بد بعد انتهائهما من الحساب والعقاب، ولا بد من رسول ينذرهم بهذا المآل،

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «الأحقاف» بعد سورة «الجاثية»، ونزلت سورة «الجاثية» بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة الأحقاف في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية [٢١] منها ﴿وَأَذْكُرْنَا عَادَ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ﴾. وتبلغ آياتها خمساً وثلاثين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إنذار المشركين بالعذاب، وأخذهم مع هذا الدليل إلى التصديق بالتوحيد والرسالة، وبهذا جُمع فيها بين الأخذ بالترهيب

(*) انتفي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجميزة - المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير ملوّح.

ولكنهم، لجهلهم وعنادهم، يُغْرِضُونَ
 عن هذا الإنذار، ويتمسكون بما هم فيه
 من الشرك والضلال. ثم انتقل السياق
 من هذا إلى تسجيل الجهل والعناد
 عليهم في شركهم وإعراضهم عما
 أُنذروا به، فطلب منهم، سبحانه، أن
 يخبروه عما خَلَقَ شركائهم من
 الأرض، أو يأتوه بكتاب مُنْزَلٍ أو دليل
 من العقل. وذَكَرَ، عَزَّ وَجَلَّ، أنه لا
 أَضَلَّ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِهِ جَمَادًا لَا
 يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وإذا حشر
 الناس تَبَرَّأَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ لَهُ. ثم انتقل
 السياق من هذا إلى إعراضهم عما
 أُنذروا به وَزَعَمِهِمْ أَنَّهُ سَخِرَ أَوْ كَذِبٌ
 مُفْتَرًى، فأمر الله تعالى نبيّه (ص) بأن
 يجيبهم بأنه لو كان قد افتراه لعاجله الله
 بعه يته، ولم يملكوا أن يدفعوا عنه
 شيئاً. ثم ذَكَرَ شبهة أخرى لهم فيه،
 وهي قولهم في الذين آمنوا: ﴿لَوْ كَانَ
 خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الآية ١١]، وأجاب
 عنها بأنه أنزل التوراة قبله إماماً ورحمةً
 لبني إسرائيل، وهذا كتاب أنزله لهم
 بلسان عربيٍ إنذاراً للذين ظَلَمُوا وبُشْرَى
 للمحسنين، ثم بَيَّنَّ عَزَّ وَجَلَّ وَجْهَ كُذُوبِهِ
 بُشْرَى لَهُمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
 اسْتَقَامُوا، فلا خوف عليهم،
 وسيكونون من أصحاب الجنة خالدين

فيها جزاء بما كانوا يعملون. وَذَكَرَ مِنْ
 أعظم ما يُجْزَوْنَ عَلَيْهِ هذا الجزاء
 استجابتهم لوصيته بالإحسان إلى
 الوالدين، وقيامهم بشكره على ما أنعم
 به عليهم. ثم ذَكَرَ، سبحانه، حديث
 الذي أساء إلى والديه، وقد أُنذراه
 بعذاب الآخرة إن لم يؤمن بالله تعالى،
 لأن ذكر الضد يدعو إلى ذكر ضده،
 وليأخذ في الوعيد بعد الأخذ في
 الوعد، فذكر أن مثل هذا قد حَقَّ عَلَيْهِ
 القول بالعذاب في أمٍّ قد خلت من
 قبلهم من الجن والإنس، وسلوكوا في
 الضلال مسلِكهم؛ وأن من هؤلاء الأمم
 قومٌ عادٍ بالأحقاف، فقد أُنذرهم
 أخوهم هود فكذبوه فأُخِذُوا بِرِيحٍ
 دُمِّرَتْ عَلَيْهِمْ مَسَاكِنُهُمْ؛ وكذلك مَا
 حُولَ مَكَّةَ مِنَ الْقُرَى الَّتِي دُمِّرَتْ بِالْيَمَنِ
 وَالشَّامِ، فلم ينصروهم الذين اتخذوا من
 دون الله قُرْبَانًا آلِهَةً: ﴿بَلْ مَسَكُوا عَنْهُمْ
 وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (١٨).

ثم ذكر سبحانه من استجاب للإنذار
 من الجن، بعد أن ذكر من أعرض عنه
 من الإنس، ليحملهم على الاستجابة
 للإنذار مثلهم، فذكر حديث استماع
 نفر من الجن للقرآن وإيمانهم به،
 وأنهم انصرفوا إلى قومهم منادين،

فأخبروهم بما سمعوا منه، وزَعَبُوهم
في الإيمان وحذروهم من الكفر: ﴿وَمَنْ
لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي مَكَالٍ
ثَبِيتٍ﴾ ﴿٢٢﴾.

ثم ختم تعالى السورة بمثل ما بدأها
به من الإنذار، فذكر قدرته جلّ وعلا
على إحياء الموتى وحسابهم، وأنذر

الكفار بعرضهم على النار، وأنه يطلب
منهم أن يعترفوا بأنها الحق فيعترفون،
فيقال لهم ذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَؤُا الْعَزِيزِ
مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ
مَا يُوعَدُونَ لََّا يَلْتَفِتُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ
بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

مكنونات سورة «الحقاف» (*)

١ - ﴿وَمَهْدَ سَاهِدٍ مِّنْ بَيْتٍ إِسْرَافٍ﴾
[الآية ١٠].

هو عبدُ الله بن سلام. أخرجه
الطبراني من حديث عوف بن مالك
الأشجعي^(١) بسندٍ صحيح.

وأخرجه ابنُ أبي حاتم من حديث
سُفد بن أبي وقاص. ومن طريق
العوفي، عن ابن عباس^(٢).

وقالهُ مُجاهد، وعكرمة، وآخرون.

٢ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا

(٥) انتهى هذا المبحث من كتاب «مفحبات القرآن في شبهات اللبوطي، تحقيق إياد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) ونص الحديث كما في «مجمع الزوائد» ١٠٥/٧ نوره لما له من الفوائد في الكشف عن عناد بني إسرائيل ورفضهم الانصياع لحكم الحق.

«عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي (ص)، وأنا معه، حتى إذا دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكروا «دخلونا عليهم، فقال لهم رسول الله (ص): «يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه» فأسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم ردة عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث، فلم يجبه أحد. فقال: «أيتم، فوالله لانا الحاشر، وأنا المعاقب، وأنا المقفي؛ آمنتم أو كذبتُم ثم انصرف، وأنا معه، حتى كدنا أن نخرج، فإذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد، فأقبل، فقال ذاك الرجل: أي رجل تعلمونني منكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله، ولا أنفه منك، ولا من أبلك قبلك، ولا من جذك قبل أبلك. قال: فإني أشهد بالله أنه نبي الله الذي تجدون في التوراة. قالوا: كذبت ثم ردوا عليه، وقالوا فيه شراً. فقال رسول الله (ص): «كذبتم لن نقبل منكم قولكم». قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله (ص)، وأنا، وابن سلام. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْسَ لِي بَعْدَ الْقَوْلِ عَافِيَةٌ إِنَّ مَنَ عِندَ اللَّهِ وَكُفْرُكُمْ بِهِ وَسَهْدَ سَاهِدٍ مِّنْ بَيْتٍ إِسْرَافٍ عَلَىٰ يَثْيُو. قَاتَمَ وَاسْتَكْبَرُوا إِلَهُهُ لَا يَهْدَى الْقَوْمُ الْفَاسِقِينَ﴾. قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر تفسير الطبري، ٧/٢٦.

لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَّوْنَا إِلَيْهِ» [الآية ١١].

قال ابنُ عسْكَرٍ: قِيلَ: قَائِلُ ذَلِكَ بَنُو عامرٍ وَغَطَفَانُ، وَالسَّابِقُونَ: أَسْلَمَ، وَغِفَارٌ، وَجُهَيْتَةٌ، وَمُزَيْنَةٌ.

وقيل: قاله مشركو قريش، حين أسلمت غفار.

وقيل: المراد بالسابقين: بلال، وعمار، وصهيب.

٣ - «وَالَّذِي قَالَ لِوَلِيِّهِ أَوْيَ لَكُمْ» [الآية ١٧].

قال السُّدِّي: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وأبيه أبي بكر، وأمه أم رومان. أخرجه ابنُ أبي حاتم. وأخرج مثله عن ابن جريج.

وأخرج عن مجاهد أنه عبد الله بن أبي بكر، وأنكرت ذلك عائشة، كما أخرجه البخاري عنها؛ وقالت: نزلت

في فلان بن فلان. كذا في «الصحيح»^(١) مكتباً.

٤ - «قَالُوا هَذَا عَارِضٌ» [الآية ٢٤].

قال ذلك: بَكْرُ بْنُ معاوية، من قوم عَادٍ. ذكره ابنُ عسْكَرٍ، عن ابن جريج.

٥ - «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ آلِجَنِّ» [الآية ٢٩].

أخرج ابنُ أبي حاتم^(٢) عن ابن عباس قال: هم جنُّ نصيبين.

وأخرج ابنُ مَرْدُؤَنَةَ من طريق عِكْرِمَةَ، عن ابن عباس: أنهم كانوا سبعة من أهل نصيبين.

ومن طريق سعيد بن جبيرة عنه قال: كانوا تسعة.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن قتادة قال:

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٢٧)، ونصه: «كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه؛ فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال خذوه. فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه «وَالَّذِي قَالَ لِوَلِيِّهِ أَوْيَ لَكُمْ» فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عُذْرِي، أي في سورة النور والتي فيها قصة الإفك وبراءة عائشة رضي الله عنها، وقول عائشة: نزلت في فلان بن فلان، جاءت، كما نص عليها المحافظ في «فتح الباري» ٥٧٧/٨ من رواية الإسماعيلي: للصحيح؛ وفيه، وفي رواية الإسماعيلي «فقال عائشة: كذب والله، ما نزلت فيه، والله ما أنزلت إلا في فلان بن فلان الغلاني. وفي رواية له: لو شئت أن أسميه لسميته، ولكن رسول الله (ص) لمن أبى مروان ومروان في صلبه».

(٢) والطبري في «تفسيره» ٢٦/٢٠.

الجنّ الذين صُرِفُوا الى النبيّ (ص) من الموصّل، وكان أشرفهم من نصّيين.

وعن زُرّ بن حُبَيْش قال: كانوا تسعة أحدهم: زَوْبَعَة.

وعن مجاهد: أنهم كانوا سبعة: ثلاثة من أهل حران، وأربعة من أهل نصّيين.

وذكر السُّهَيْلي: أنّ ابنَ دريد ذكرهم خمسة.

وفي «تفسير إسماعيل بن أبي زياد»: هم تسعة.

وقد أخرج ابنُ مَرْذُوقَة من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس: أنهم كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل.

وأخرجه ابنُ أبي حاتم أيضاً عن عكرمة.

٦ - «أُولُوا الْعَرْشِ مِنَ الْوُحُوشِ» [الآية ٣٥].

أخرجه ابنُ أبي حاتم عن ابن زيد

قال: كُلُّ الرسل كانوا أولي عزم^(١).

وأخرج عن الحسن قال: هم من لم تُصِبْهُ فتنة من الأنبياء.

وعن أبي الغالية قال: هم نوح (ع)، وهود (ع)، وإبراهيم (ع)، ومحمد (ص) رابعهم.

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: هم نوح، وهود، وإبراهيم، وموسى، وشعيب عليهم الصلاة والسلام.

وعن السُّدِّي قال: هم الذين أمروا بالقتال من الأنبياء؛ وَلَقَدْ أَنهَضْنَاهُمْ سِتَّةً: إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

وعن ابن جريج قال: ليس منهم آدم، ولا يونس، ولا سليمان، ولكن إسماعيل، ويعقوب، وأيوب.

وعن الضَّحَّاك، عن ابن عباس قال: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد (ص).

(١) وأخرجه أيضاً الطبري في «تفسير» ٢٦/٢٤.

لغة التنزيل في سورة «الأحقاف» (*)

١ - قال تعالى: ﴿أَتَتَوَكَّلُ عَلَى الْغُلَامِ﴾ [الآية ٤].

الأنثارة: البقية.

أقول: وهي قريبة من «الأثر»، الذي فيه معنى ما بقي من الشيء.

٢ - وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ﴾ [الآية ٩].

البِدْعُ: البديع كالخِيف بمعنى الخفيف.

والمعنى: ما كنت بدعاً من الرسل فاتيكم بكل ما تقترحونه، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات، فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما أتاهم الله من آياته، ولا يُخبرون إلا بما

أوحى إليهم.

٣ - وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الآية ١٥].

أي: ألهمني وأولعني به.

وتأويله في اللغة: كُنْني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك، وكُنْني عما يُباعِذي عنك.

أقول: وهذا يدفعنا إلى أن نقرأ قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاكَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت].

والمعنى: أن يُحبَس أولهم على آخرهم، وقيل يُكْفُون.

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

المعاني الخوية في سورة «الحقاف» (*)

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ أَلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية ٩] والبذع: البديع وهو:

وقال ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الآية ١٢] بالنصب لأنه خبر معرفة.

وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية ١٢]. بنصب اللسان والعربي لأنه ليس من صفة الكتاب، فانتصب على الحال أو على فعل مضمر، كأن السياق: «أعني لساناً عربياً» وقال بعضهم: إن انتصابه على

«مُصَدِّقٌ» جعل الكتاب مصدق للسان. وقال: ﴿لَنْ يَلْتَمِتُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الآية ٣٥] أي: ذاك بلاغ. وقال بعضهم: «إِنَّ الْبَلَاغَ هُوَ الْقُرْآنُ» وإنما يوعظ بالقرآن. ثم قال ﴿بَلِّغْ﴾ أي: هو بلاغ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقِينَ يَنْقِدِرْ عَلَّ أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ﴾ [الآية ٣٣] فهو بالباء كالباء في قوله عز وجل ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ﴾^(١) وهي مثل ﴿تَنْتَبُتُ بِاللَّهْنِ﴾ [المؤمنون/ ٢٠].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

(١) ورد هذا التعبير القرآني في سبعة عشر موضعاً من الكتاب الكريم، أولها سورة النساء، الآية ٦٦ وآخرها سورة الفتح، الآية ٢٨.

لكل سؤال جواب في سورة «الأحقاف» (*)

فإن قيل: كيف طابق الجواب السؤال في قوله تعالى ﴿قَالَيْنَا يَمَا نُؤْتَا إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ (١٧) قَالَ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟

قلنا: طابقه من حيث إن قولهم ذلك استعجال للعذاب الذي توعدهم به، بدليل قوله تعالى بعده: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ (الآية ٢٤) فقال لهم لا علم لي بوقت تعذيبكم، بل الله تعالى هو العالم به وحده.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى في وصف الريح: ﴿تُذِیْرٌ كُلُّ مَقْعٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ (الآية ٢٥) وكم من شيء لم تدمره؟

قلنا: معناه تدمر كل شيء مرز به

لِمَ يقول تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَتَّبِعُ عَنْهُمْ لَحَنَ مَا عَمِلُوا﴾ (الآية ١٦)، مع أن حُسن ما عملوا يُتقبل عنهم أيضاً؟

قلنا: أحسن بمعنى حُسن، وقد سبق نظيره في سورة الروم.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى في وصف الفريقين ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ (الآية ٢١) مع أن أهل النار لهم درجات لا درجات؟

قلنا: الدَرَجَاتُ الطبقات من المراتب مطلقاً من غير اختصاص. الثاني أن فيه إضماراً تقديره: ولكل فريق درجات أو دركات مما عملوا، إلا أنه حُذف اختصاراً لدلالة المذكور عليه.

(*) انتهى هذا البحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البايع الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

من أموال قوم عادٍ وأملأهم.

فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية ٣١] ولم يقل

يغفر لكم ذنوبكم؟

قلنا: لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كمظالم العباد ونحوها.

المعاني المجازية في سورة «الأنعام» (*)

وسائر التاويلات في الآية تُخرج الكلام عن حيز الاستعارة. مثل تأويلهم ذلك على معنى خاصة^(٢) من علم. أي بقبّة من علم، وما يجري هذا المجرى.

وأنشد أبو عبيدة للرّاعي^(٣) في صفة ناقة:

وذاث أشارة أَكَلَتْ عَلَيْهَا
نباتاً في أَكْمُتِهِ قِفارا
أي ذات بقبّة من شحم رعت عليها

في قوله تعالى: ﴿أَتُرْوَى بِكَتَبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُرْوَى مِنْ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. استعارة على أحد التاويلات. وهو أن يكون معنى: ﴿أَوْ أَتُرْوَى مِنْ عَلَيْهِ﴾ أي شيء يستخرج من العلم بالكشف والبحث، والطلب والفحص، فتشور حقيقته، وتظهر خبيثته، كما تُستثار الأرض بالمحافر، فيخرج نباتها، وتظهر نباتها^(١). أو كما يُستثار القنيص من مجامه، ويُستطلع من مكانه.

(١) انقضي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشيخ الرضي، بتحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

(٢) التثنية: جمع ثيلة وثلالة، وهي التراب المستخرج من الحفر.

(٣) الخاصة: البقّة من الشيء.

(٤) هو الرّاعي التميري حصين بن معاوية. ولقب بهذا اللقب لأنه كان يصف واعي الإبل في شعره، وكان معاصراً للشاعر جرير في العصر الأموي، ودخل معه في مهاجاة لأنه اتهمه بالميل إلى الفرزدق. والبيت في «مقاييس اللغة» لأحمد بن فارس ج ١ ص ٥٦ بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون. وقد ورد في المقاييس هكذا:

وذاث أشارة أَكَلَتْ عَلَيْهَا نباتاً في أَكْمُتِهِ ثَواماً

المصنف^(١): يقال سَجِنْتُ الناقةَ على
أثارة، أي على سِمَنِ متقدّم قد كان قبل
ذلك.

هذا النبات المذكور. وقوله قفاراً أي
خالياً من الناس، ليس به راعية غيرها،
فهو هنا لها، وأزفق بها.

وقال صاحب «الغريب

(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام، اشتغل بالحديث والفقه واللغة والأدب، وهو صاحب كتاب «غريب الحديث»
وكتاب «غريب المصنف» المشار إليه هنا بالتحريف. وقد اشتغل في تأليفه أربعين عاماً وتوفي سنة ٢٢٣ هـ.
وأخباره في «وفيات الأعيان» و«الفهرست» و«طبقات الأدباء» و«تاريخ آداب اللغة العربية»؛ وهناك «الغريب
المصنف» أيضاً لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني، كما في «كشف الظنون» والمقصود هنا كتاب أبي عبيد،
كما في «المجازات النبوية» للمؤلف.

سورة مَحْمَد (ص)



أهداف سورة «مجادل» (ص) (*)

القسم الثاني: يفضح المنافقين ويكشف نفاقهم، ويشمل الآيات [١٦ - ٣٠]

القسم الثالث: يدعو المسلمين الى مواصلة الجهاد بالنفس والمال، ويشمل الآيات [٣١ - ٣٨].

١ - التحريض على قتال المشركين

تبدأ السورة بالهجوم على المشركين، وتُبين هلاكهم وضياعهم وضلالهم. لقد سلب الله عنهم الهدى والتوفيق، فاتبعوا الباطل وانحرفوا الى الضلال. أما المؤمنون، فقد آمنوا بالله ورسوله، فكفّر الله ذنوبهم ورزقهم صلاح البال وهدوء النفس ونعمة الرضا واليقين.

هي سورة مدنية، نزلت بعد سورة «الحديد» ولها اسمان: سورة «محمد» (ص)، وسورة «القتال».

والقتال عنصر بارز في السورة، بل هو موضوعها الرئيس، فقد نزلت بعد غزوة بدر وقبل غزوة الأحزاب، أي في الفترة الأولى من حياة المسلمين بالمدينة، حيث كان المؤمنون يتعرضون لِعَنَتِ المشركين، وكيد المنافقين، ودسائس اليهود.

يمكن أن نقسم سورة «محمد» (ص) الى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يحرض على قتال المشركين ويحث عليه، ويشمل الآيات [١ - ١٥].

(*) انقضي هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

وشتان ما بين مؤمن راسخ الإيمان، صادق اليقين، معتمد على رب كريم حلیم؛ وبين كافر ضال يبيع الحق، ويشترى الباطل، ويُفَرِّط في الإيمان والهدى، ويتبع الشرك والضلال.

ثم تحثُ السورة المسلمين على قتال المشركين، وقطع شوكتهم وهزم جيرواتهم، وإزالة قوتهم من طريق المسلمين: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَزَبَنُوا﴾ وهذا الضرب بعد عرض الإسلام عليهم وإبانهم له، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَغْلَسْتُمْ فَتُدْأُوا الزَّوْاقُ﴾. والإثخان شدة التقنيل حتى تتحطم قوة العدو وتهاوى، فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع؛ وعندئذ يؤسر من استأسر ويُسَدَّ وثاقه، ﴿إِنَّمَا مَتَّعْنَاهُ﴾ أي إما أن يطلق سراحهم بعد ذلك بلا مقابل، وإما أن يطلق سراحهم مقابل فدية من مال أو عمل، أو في نظير إطلاق سراح المسلمين المأسورين، ﴿حَتَّىٰ تَفْغَرُ لَكُمْ زَوَاقُهُ﴾ حتى تنتهي الحرب بين الإسلام وأعدائه المناوئين له.

ولو شاء الله لانتقم من المشركين وأهلكهم كما أهلك من سبقهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم،

ولكن الله أراد أن يختبر قوة المؤمنين وأن يجعلهم سبيلاً لإعزاز الدين وإهلاك الكافرين. والذين قُتِلُوا في سبيل الله فلن يضيع أعمالهم فهم شهداء، عند الله يتمتعون بجنان خالدة ونعيم مقيم، وأرواحهم في حواصل طير خضر، تسبح حول الجنة، وتأكل من ثمارها، وتقيم في ألوان النعيم. وقد وعد الله الشهداء بحسن المثوبة والكرامة والهداية وصلاح البال ودخول الجنة، لأنهم نصروا دين الله فسينصرهم الله ويثبت أقدامهم، كما تَوَعَّد الكافرين بالنعاسة والضلال والهلاك جزاء كفرهم وعنادهم.

وتسوق السورة ألواناً من التهديد للمشركين، فتأمرهم أن يسيروا في الأرض فينظروا ماذا أصاب المكذبين من الهلاك والدمار. ثم تعضي السورة في ألوان من الحديث حول الكفر والإيمان؛ فتصف المؤمنين بأنهم في ولاية الله ورعايته، والكفار بأنهم محرومون من هذه الولاية.

وتُفَرِّقُ السورة بين متاع المؤمنين بالطيبات، وتمتع الكافرين بلذائذ الأرض، كالحيوانات: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَحَلَّتْ عَلَيْهِمْ الصَّلَاحُ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ

تشمل الآيات [١٦ - ٣٠] المقطع الثاني من هذه السورة، وفيها حديث عن المنافقين وصفاتهم، وحركة النفاق حركة مدنية لم يكن لها وجود في مكة نظراً لضعف المسلمين فيها وتفوق أعدائهم. فلما هاجر المسلمون الى المدينة وبدأ شأن الإسلام في الظهور والاستعلاء، بدأت حركة النفاق في الظهور والنمو، وساعدها على الظهور وجود اليهود في المدينة، بما لهم من قوة مادية وفكرية، وبما يضمرونه للذين الجدد من كراهية. وسرعان ما اجتمع اليهود مع المنافقين على هدف واحد، ودبروا أمرهم بليل، فأخذ المنافقون في حَبْك المؤامرات ودسّ الدسائس في كل مناسبة تُعْرَض، فإن كان المسلمون في شِدَّة ظهروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم؛ وإذا كانوا في رخاء ظلَّت الدسائس سرّية، والمكاييد في الظلام؛ وكانوا، الى منتصف العهد المدني، يُشْكَلون خطراً حقيقياً على الإسلام والمسلمين. وقد تواتر ذكر المنافقين ووصف دسائسهم، والتنديد بمؤامراتهم وأخلاقهم في السور المدنية؛ كما تكرر ذكر اتصالاتهم

عَنِهَا الْأَنْهَرُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَعْمِلُونَ وَكَانُوا كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْهَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٦﴾ .

ان الفارق الرئيس بين الانسان والحيوان: أن للانسان إرادة وهدفاً، وتصوراً خاصاً للحياة يقوم على أصولها الصحيحة المتلقاة من الله خالق الحياة. فاذا فقد الإنسان هذا التصور، فَقَدْ أَهَمَّ الخصائص المميزة لجنسه، وأهم المزايا التي من أجلها كَرَّمَهُ اللهُ جَلَّ جلاله.

ثم تمضي السورة في سلسلة من الموازنات بين المؤمنين المتيقنين، والكافر الذي أتبع هواه وشرطانه، وَزَيْنَ له سوء العمل: ﴿أَفَنُ كَانْ عَلَى يَتَنَزَّيْنِ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ عَمَلِهِمْ وَأَتَبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿١٧﴾ .

كما تصف الآيات متاع المؤمنين في الجنة بشئى الأشربة الشهية، من ماء غير آسن، ولبن لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين، وعسل مصفى، في وفر وفيض، في صورة أنهار جارية. ذلك مع شتى الثمرات ومع المغفرة والرضوان؛ ثم سؤال: هل هؤلاء المتمتعون بالجنة والرضوان ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ﴿١٨﴾ ؟

باليهود، وتلقّهم عنهم، واشتراكم معهم في بعض المؤامرات المحبوكّة.

والحديث عن المنافقين في سورة «محمد» (ص) يحمل فكرة السورة ويصوّر شدّتها في مواجهة المشركين والمنافقين. بل إن المنافقين هم فرع من الكافرين، أظهروا الملاينة وأبطنوا الكفر والخداع؛ أو هم فرّع من اليهود يعمل بأمرهم، وينفذ كيدهم ومكرهم. فمن هؤلاء المنافقين من يستمع إلى النبي (ص) بأذنه ويغيب عنه بوعيه وقلبه. فإذا خرج من مجلس النبي (ص) تظاهر بالحرص على الدين، فسأل الصحابة عما قاله النبي (ص) سؤال سخرية واستهزاء، أو سؤال تظاهر ورياء.

أولئك المنافقون قد طمس الله سبحانه على أفئدتهم فلا تفقه، وقد اتبعوا أهواءهم، فقادهم الهوى إلى الهلاك.

أما المتقون المهتدون، فيزيدهم الله هدىً ويمنحهم التقوى والرشاد، ثم يتهدّد القرآن المنافقين بالساعة، فإذا جاءت، فلا يملكون الهداية ولا تنفعهم الندامة:

﴿فَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً

فَقَدْ جَاءَهُمْ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾﴾.

ثم تصوّر الآيات جُبن المنافقين وعلهم ونهافتهم إذا وُجِّهوا بالقرآن يكلّفهم القتال، فهم يتظاهرون بالإيمان، فإذا أنزلت سورة مُحْكَمَةٌ لا تشابه فيها، وذكّرت الجهاد، رأبت المنافقين ينظرون إليك يا محمد نظرة من هو في الشزع الأخير؛ تشخص أبصارهم؛ لذلك كانوا جديرين بأن يهذّهم الله جل جلاله بالويل والهلاك.

وتحشم الآيات على الطاعة والصدق والشبات: ﴿فَأَوَّلَ لَهْمَ ﴿١٩﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ إِذَا عَزَزَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾.

وبذلك يفتح القرآن الباب لمن يريد الطهارة الحسية والنفسية من المنافقين ومن المخاطبين جميعهم؛ ثم يحثهم عزّ وجلّ على تدبّر القرآن وتأمله، لأن ذلك يحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير.

وتمضي الآيات في تصوير حال المنافقين، وبيان سبب توليهم عن الإيمان بعد أن شارفوه، فتبيّن أنه تأمرهم مع اليهود، ووعدهم لهم

بالطاعة فيما يدبرون.

الله بكفرهم، وسيحبط الله أعمالهم.

وتتجه الآيات الى المؤمنين فتأمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول، وتأمرهم بالثبات على الحق حتى يأتي نصر الله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْغِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾.

وهذا التوجيه يوحى بأنه كان في الجماعة المسلمة يومئذ من لا يُظهر الطاعة الكاملة، أو من تُثقل عليه بعض التكاليف، وتُثقل عليه بعض التضحيات التي يقتضيها جهاد هذه الطوائف القوية المختلفة التي تقف للإسلام، تناوشه من كل جانب، والتي تربطها بالمسلمين مصالح ووشائج قرى، يَضُعبُ فُضُمها والتخلي عنها نهائياً، كما تقتضي العقيدة ذلك.

ولقد كان وقع هذا التوجيه عنيفاً عميقاً في نفوس المسلمين الصادقين، فارتعشت له قلوبهم، وخافوا أن يقع منهم ما يُبْغِل أعمالهم ويَذْعب بحسانتهم.

وتستمر الآيات في خطاب المؤمنين، تدعوهم الى مواصلة الجهاد بالنفس والمال دونما تراخ أو دعوة الى مهادة الكافر المعتدي الظالم، تحت

لقد كره اليهود الاسلام وتآلبوا عليه، فلما هاجر النبي (ص) الى المدينة شنوا عليه حرب الدس والمكر والكيد، وانضم المنافقون لليهود يقولون لهم سراً، كما ورد في التنزيل: ﴿سُطِيطُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَكُمْ﴾.

ثم يتهدد القرآن المنافقين، بملائكة العذاب لأنهم تركوا طريق الإسلام، وانضموا إلى دسائس الحاقدين عليه.

وفي نهاية المقطع يتهددهم جل جلاله بكشف أمرهم لرسول الله (ص) وللمسلمين الذين يعيشون بينهم متخفين؛ قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَهُمْ﴾ وَلَوْ فَتَنَّا لَارْتَضَكُمُ فَلَمَرَفَنَهُمْ يَسْمَكُهُمْ وَلَمَرَفَنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ.

٣ - حديث عن المشركين والمؤمنين

المقطع الأخير من السورة يشمل الآيات [٣٢ - ٣٨]، ويبين في بدايته أن المشركين منعوا الناس من الإيمان بالله تعالى، وأعلنوا الشقاق والعداوة لرسول الله (ص)، وهؤلاء لن يضرّوا

مقصود السورة اجمالاً

قال الفيروزآبادي: معظم مقصود سورة «محمد» (ص): «الشكاية من الكفار في إعراضهم عن الحق، وذكر آداب الحرب والأسرى وحكمهم، والأمر بالنصرة والإيمان، وابتلاء الكفار في العذاب، وذكر أنهار الجنة: من ماء ولبن وخمر وعسل؛ وذكر طعام الكفار وشرابهم؛ وظهور علامة القيامة؛ والشكاية من المنافقين؛ وتفصيل ذميمة خصالهم؛ وأمر المؤمنين بالطاعة والإحسان؛ وذم البخلاء في الإنفاق؛ وبيان استغناء الحق تعالى وفقر الخلق، في قوله جلّ وعلا ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [آية ٣٨].

أي مؤثر من ضعف أو مراعاة قرابة أو رعاية مصلحة، ودونما بخل بالمال الذي لا يكلفهم الله أن ينفقوا منه إلا في حدود استطاعة، مراعيّاً الشّخّ الفطريّ في النفوس. وإذا لم ينهضوا بتكاليف هذه الدعوة، فإنّ الله يخرمهم كرامة حملها والانتداب لها، ويستبدل بهم قوماً غيرهم ينهضون بتكاليفها، ويعرفون قدرها، وهو تهديد عنيف مخيف يناسب جوّ السورة، كما يشي بأنه كان علاجاً لحالات نفسية قائمة في صفوف المسلمين إذ ذاك، من غير المنافقين؛ وذلك الى جانب حالات التفاني والتجرد والشجاعة والفداء التي اشتهرت بها الروايات، فقد كان في الجماعة المسلمة هؤلاء وهؤلاء. وكان القرآن يعالج ويربّي لينهض بالمتخلفين الى المستوى العالي الكريم.

ترابط الآيات في سورة «محمد» (ص) (*)

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تحريض المؤمنين على قتال الكافرين ووعدهم بالنصر عليهم، وهذا القتال هو عذاب الدنيا الذي أوعِدَ الكفار به في السور السابقة؛ ولهذا جاء ترتيبها في الذكر بعدها، لتدلُّ على صدق ما أوعدهم الله به.

التحريض على القتال

[الآيات ١ - ٣٨]

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلًا أَغْلَقَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ﴿١﴾ فمهد عز وجل للتحريض على القتال ببيان وجه استحقاق الكفار له، وذكر أنهم كفروا

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «محمد» (ص) بعد سورة «الحديد»، ونزلت سورة «الحديد» بعد سورة «الزلزلة»، ونزلت سورة «الزلزلة» بعد سورة «النساء»، وكان نزول سورة «النساء» بين صلح الحديبية وغزوة تبوك، فيكون نزول سورة «محمد» (ص) في هذا التاريخ أيضاً.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية ٢ منها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ حُكْمٍ﴾، وتبلغ آياتها ثمانية وثلاثين آية.

(*) انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفتي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعدي، مكتبة الآداب بالجميزة - المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

على الإخلاص في توحيده، لأنه يعلم
مُتَقَلِّبُهُمْ وَمُتَوَافِهِمْ، حتى لا يكونوا
ك هؤلاء المنافقين في مخالفة باطنهم
لظاهرهم.

ثم أخذ السياق في ذم هؤلاء
المنافقين على تقاعسهم عن القتال في
سبيل الله جبناً وخوفاً، وذكر أنهم إن
تولوا عن القتال في سبيله سبحانه فإنهم
يعودون إلى ما كانوا عليه من الفساد
في الأرض، فَيُغَيِّرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ،
ويقابل دُور الأرحام بعضهم بعضاً،
كما كان بين الأوس والخزرج؛ ثم ذكر
تعالى أَنَّهُ أَصْنَمُهُمْ وَأَعْمَاهُمْ فَلَإِنَّ يَتَذَكَّرُونَ
ذلك، بل يَتَّبِعُونَ مَا يَرْسُولُهُ الشيطان
لهم، وما وَعَدُوا به أهل مكة من الكف
عن قتالهم؛ ثم توعدهم جل جلاله،
بِقَوْلِهِ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَرَفَفْتُمْ
بِئْسَمَهُمْ وَلَتَرْفُقُنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ [الآية ٣٠].

ثم ختمت السورة بمثل ما بدت به
من التحريض على القتال، فذكر تعالى
أنه سيبلوهم به ليعلم المجاهدين
والصابرين منهم، ووعدهم بأنه لن
يتمكن أعداءهم من أن يضروهم؛ ثم
نهاهم أن يَهِنُوا في القتال ويدعوا إلى
السلم وهم الأغفلون، وقد وعدهم

وصدوا عن سبيله فأصل أعمالهم، وأن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا
بما نزل على محمد (ص) غفر ما كان
من شركهم وأصلح بالهم، لأن الكفار
اتبعوا الباطل والمؤمنين اتبعوا الحق مِنْ
رَبِّهِمْ؛ ثم أمر جل وعلا بقتال الكفار
حتى يشخوهم بالقتل والجراح، فإذا
أشخوهم شذوا وثاقهم بالأسر، وهم
مخبرون بعد هذا في إطلاقهم بفداء أو
من غير فداء؛ ثم وعد الذين يُقَتَّلُونَ
منهم في سبيله حُسْنَ الأجر في
الآخرة، والذين يبقون منهم بالنصر
على أعدائهم؛ وأوعد الكفار بالهزيمة
والهلاك وضياع الأعمال، ثم مضى
السياق في هذا الترغيب والترهيب إلى
أن انتقل منه إلى الحديث عن المنافقين
فالحقهم بأولئك الكفار، وذكر أَنَّ اللَّهَ
سبحانه طبع على قلوبهم فاتبعوا
أهواءهم ولم يجاوز إسلامهم
حناجرهم، وأن الذين أخلصوا في
إيمانهم زادهم الله هُدًى إلى هداهم،
وأن هؤلاء المنافقين لا يتوقع منهم
الإيمان إلا أن تأتيهم الساعة بغتة، وها
هي ذي قد قَرُبَتْ وجاءت علاماتها،
ولكن التوبة عندها لا تنفع صاحبها. ثم
ذكر السياق، أن الله عز وجل أمر
النبي (ص) أن يستمر هو والمؤمنون

بالنصر وحسن الأجر؛ وهوون عليهم
أمر الدنيا التي يعوق حبها عن القتال
والإنفاق في سبيله سبحانه، إلى أن
قال: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءُ تُدْعَوْنَ لِتُخْفُوا فِي

سَبِيلِ آفٍّ فَيَنْصَرُّكُمْ مِّنْ بَيْنِهِمْ وَمَنْ يَبْغِلْ
فَإِنَّمَا يَبْغِلْ عَن نَّفْسِهِ وَأَلَّهِ الْغَفُورُ الْكَافُّ
الْفَقْرَاءَ وَلَئِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ
ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿١٧٧﴾



أسرار ترتيب سورة «محمد» (ص) (*)

لو أسقطت البسمة منه، لكان متصلاً
اتصالاً واحداً لا تنأفر فيه، كآية
الواحدة، آخذاً بعضه بعنق بعض^(١).

لا يخفى وجه ارتباط أولها بقوله
تعالى في آخر الأحقاف:

﴿فَهَلْ يُهْمُكَ إِلَّا آلُ الْقَوْمِ الْفَاسِقُونَ﴾

واتصال هذا القول وتلاحمه، بحيث إنه

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد الغادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) أول سورة «محمد» (ص): ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْفِتْنَةُ﴾ وسورة «الفتح» مع هذا منتحمة لموضوع سورة «الأحقاف» قبلها: فـ «الأحقاف» فيها الحديث عن إغراض الكافرين في مختلف العصور، وفيها دعوتهم إلى الإيمان بالتي هي أحسن؛ وقد استنفدت السورة وسائل الإقناع العقلي، وأثبتت عتو أهل الكفر وجحودهم؛ فكانت سورة «الفتح» بما فيها من جهاد، وقواعد الحرب، وتشريعاته متفقة تماماً مع نسخ وسائل الدعوة السلمية، بآية السيف.

مكنونات سورة «ممد» (ص) (*)

فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء؟ فضرب يده على كتف سلمان الفارسي، ثم قال: «هذا وقومُهُ، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله الرجال من الفرس»^(١).

١ - ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [الآية ٣٨].

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) تلا هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [٣٨].

(٥) انتهى هذا المبحث من كتاب «مفجحات القرآن في منتهات القرآن» للسبوطي، تحقيق إباد خالد الطنّاج، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» (٤٨٩٧) في التفسير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً عند النبي (ص) فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَتَكَفِّرُونَ بَيْنَهُمْ لَنَا ظَلَمًا﴾ [الجمعة/٣] قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعني حتى سألت ثلاثاً - وفيها سلمان الفارسي (رض)، وضع رسول الله (ص) يده على سلمان - ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لتأله رجال - أو رجل - من هؤلاء».

وفي رواية لسلم: «لو كان الدين عند الثريا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه».

وقد أطنب أبو نعيم في أول «تاريخ أصبهان» في تخريج طرق هذا الحديث.

لغة التنزيل في سورة «محمّد» (ص) (*)

الأنحاء ليفطن له صاحبك، كالتعريض والتورية، كقول الشاعر:

ولقد لَحْنْتُ لكم لكيما تفقهوا
واللَّحْنُ يَعْرِفُهُ ذُوو الْأَبَابِ
٣ - وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَرْكَزَ
أَعْمَلُكُمْ﴾ (١٥).

وهو من وَثَرْتُ الرجل إذا قتلت له
قتيلاً من وليٍّ أو أخٍ أو حميم.
وحقيقته: أفردته من قريبه أو ماله، من
الوثر وهو الفرد، فشبه إضاعة عمل
العامل، وتعطيل ثوابه بوتر الوائر، وهو
من فصيح الكلام.

١ - وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ سَوَّلَ
لَهُمْ وَأَمَلُوا لَهُمْ﴾ (١٥)، ومَدُّ لَهْم في
الآمال والأمان، يعني أن الشيطان
يغويهم.

وَقُرئ: (وَأْمَلِي لَهْم) على البناء
للمفعول، أي: أَمِهلُوا ومَدُّ في
عمرهم.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ
الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ (١٥).

وقوله تعالى: ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾.
أي: في نحوه وأسلوبه، وقيل:
واللَّحْنُ أن تُميل الكلام إلى نحوٍ من

(*) انظر هذا المبحث من كتاب «مدح لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

المعاني اللغوية في سورة «محمد» (ص) (*)

موضع؛ ولا تقع الأفعال كلها على كل الأسماء، ألا ترى أنهم يقولون «يَدْعُ» ولا يقولون «وَدْعُ» ويقولون «يَذَرُ» ولا يقولون «وَذَرُ».

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَغْرُبَ أَعْيُنُكُمْ﴾ (١٧) أي: في أعمالكم، كما تقول: «دَخَلْتُ البيت» وانت تريد «في البيت».

وقال تعالى: ﴿هَآئِنْتَ هَؤُلَاءِ﴾ (١٨) الآية [٣٨] بجعل التنبيه في موضعين للتوكيد، وكان التنبيه الذي في «هَؤُلَاءِ» تنبيهاً لازماً.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُمْ إِنَّا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ (١٩) الآية [١٨] أي: فأتى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة.

وقال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ قُلْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (٢٠) الآية [٢٢] فإن الأول للمجازاة، وأوقعت «عَسَيْتُمْ» على «أَنْ تُفْسِدُوا» لأنه اسم، ولا يكون أن تعمل فيه (عَسَيْتُمْ) ولا «عَسَيْتْ» إلا وفيه «أَنْ» لا تقول «عَسَيْتُمْ الْفِعْلُ» كما أن قولك «لو أن زيدا جاء كان خيراً له» فقولك (١) «أَنْ زَيْدٌ جَاءَ» اسم، وانت لا تقول: «لو ذاك» لأنه لا تقع الأسماء كلها في كل

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

(١) عبارة المؤلف غير منسقة. وكان ينبغي لها أن تكون: كما أن قولك «أَنْ زيدا جاء» في قولك «لو أن زيدا جاء» كان خيراً له» اسم.

لكل سؤال جواب في سورة «محمّد» (ص) (*)

قلنا: معناه سيهديهم إلى مُحاجة مُنكر ونكير. وقيل سيهديهم يوم القيامة إلى طريق الجنة.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْيَمْرِ أَلْيَ وَعِدَ الْفِتْرِ فِيهَا أَتَمُّ﴾ [الآية ١٥]. إلى قوله تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية ١٥]؟

قلنا: قال الفراء: معناه أَمَنُ كان في هذا النعيم كَمَنْ هو خالد في النار. وقال غيره تقديره: مثل الجنة الموصوفة كمثل جزاء من هو خالد في النار، فحذف منه ذلك إيجازاً واختصاراً.

فإن قيل: لِمَ قال تبارك وتعالى

إن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ ولم يسبق ضَرْبُ مثل؟

قلنا: معناه كذلك يبين الله للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين، وقيل أراد به أنه جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين، أو أنه جعل الإضلال مثلاً لخبيبة الكفار، ونكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى في حق الشهداء بعد ما قتلوا في سبيل الله: ﴿سَيَبْهَتُهُمْ﴾ [الآية ٥] والهداية إنما تكون قبل الموت لا بعده؟

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

لِلنَّبِيِّ (ص) ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ﴾ [الآية ١٩] وهو عالم بذلك
 قبل أن يوحى إليه، وبعد الوحي؟
 قلنا: معناه اثبت على ذلك العلم،

وقال الزُّجَّاج: الخطاب له (ص)،
 والمراد أمته كما ذكرنا في أول سورة
 الأحزاب.

المعاني المجازية في سورة «محمّد» (ص) (*)

يصح وصفهم بحمل الأثقال ووضعها،
ولبس الأسلحة ونزعها.

٢ - وفي قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ﴾ (١١) استعارة: لأن العزم لا يوصف بحقيقته إلا الإنسان المميز الذي يوطن النفس على فعل الأمر قبل وقته عقداً بالمشيئة على فعله، فيصح أن يسمى عازماً عليه، وإنما قال تعالى: ﴿عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ مجازاً أي قويت العزائم على فعله، فصار كالعازم في نفسه. وقال بعضهم معنى عزم الأمر أي جد الأمر، ومنه قول النابغة الذبياني:

١ - في قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا مَتَّ بِعَدُوًّا فِدَاةً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَلْوَارَهَا﴾ (الآية ٤) استعارة. والمراد بالأوزار ههنا الأثقال، وهي آلة الحرب وعتادها من الدروع والمغافر والزماح والمناصل وما يجري هذا المجرى: لأن جميع ذلك ثقلٌ على حامله، وشاقٌ على مستعمله. وعلى هذا قول الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها
رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا
ومن نسج داوود موضونة^(١)
تُشاق مع الحيّ عِبراً فَعْبِيراً
والمراد بذلك في الظاهر الحرب؛
وفي المعنى أهل الحرب، لأنهم الذين

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشرif الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) من وُضِن: الدرع المقاربة النسيج، أو المنسوجة بالجواهر.

حُبَاكَ وَذُنَابُنَا لَا يَحُلُّ لَنَا
 لَهُمُ النِّسَاءُ لِأَنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا
 أَيِ اسْتَحْكَمَ وَجَدٌ وَقَوِيٌّ وَاشْتَدَّ.
 ٣ - وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
 الْفُرُجَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١١)
 استعارة. والمراد أن قلوبهم كالأبواب
 المقفلة لا تفتح لوعظ واعظ، ولا يلج
 فيها عدل عاذل. وفي لغة العرب أن
 يقول القائل، إذا وصف نفسه بضيق
 الصدر وتشعب الفكر: قلبي مقفل،
 وصدري ضيق. وإذا وصف غيره بضد
 هذه الصفات، قال: انفتح قلبه وانفسح
 صدره؛ وقد يجوز أن يكون المعنى أن
 أسماعهم لا تعي قولاً ولا تسمع
 عدلاً؛ وإنما شُبِّهَت الأسماع بالأقفال
 على القلوب لأنها أبوابٌ عليها. فإذا

عرضت على الأسماع كانت كالأقفال
 الموثقة والأبواب المغلقة.

٤ - وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ الْأَعْلَوْنَ
 وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَفِرَّكَ عَنْكُمْ﴾^(١٢)،
 استعارة: ومعناها مأخوذ من الوثر،
 وهو ما يُنْقَصُ الإنسان من مالٍ أو دم
 وما أشبههما ظُلماً، فيكسبه ذلك عداوةً
 لفاعله وإرصاداً بالمكروه لمستعمليه،
 فكأنه تعالى قال: «ولن ينقصكم ثواب
 أعمالكم، أو لن يظلمكم في الجزاء
 على أعمالكم؛ فيكون بمنزلة من
 أودعكم بزةً وأطلبكم طائفةً». وقال
 الأخفش عن قوله تعالى ﴿وَلَنْ يَفِرَّكَ
 عَنْكُمْ﴾^(١٣): أي في أعمالكم، كما
 نقول دخلت البيت، والمراد دخلت في
 البيت.

سورة الفتح



أهداف سورة «الفتح» (*)

المسلمين قد اشتد، وقوتهم قد زادت،
وظهر أثر ذلك في بيعة الرضوان التي
تمت تحت الشجرة على التضحية
والفداء.

صلح الحديبية

رأى رسول الله (ص) في منامه ذات
ليلة أنه دخل المسجد الحرام في
أصحابه، آمنين مُحَلِّقِينَ رؤوسهم
ومقصرين لا يخافون عذوًا، فاستبشر
بذلك وأخبر أصحابه، فاستبشروا
وفرحوا واستعدوا لزيارة البيت الحرام
مُعْتَمِرِينَ. «وفي ذي القعدة من السنة
السادسة للهجرة، خرج النبي (ص)
مُعْتَمِرًا لا يريد حربًا، واستنفر العرب
ومن حوله من أهل البوادي ليخرجوا

سورة «الفتح» سورة مدنية، نزلت
في الطريق بين مكة والمدينة عند
الانصراف من الحُذَيْبِيَّة، وآياتها ٢٩
آية، نزلت بعد سورة الجمعة.

وتلحم، في بداية السورة، فضل الله
تعالى على النبي (ص) وصحبه، وأثار
نُعماته، جَلَّ وعلا، على المسلمين.

وقد سبقتها، في ترتيب المصحف،
سورة «محمد» التي وُصِفَتْ ظلم
المشركين والمنافقين، وحرَّضت
المسلمين على الجهاد، وحذرتهم من
الخنوع والبعد عن طاعة الله.

وقد نزلت سورة «محمد» في الفترة
الأولى من حياة المسلمين بالمدينة. أما
سورة «الفتح»، فقد نزلت في العام
السادس من الهجرة، وكان عُود

(*) انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

أظهرني الله دخلوا في الإسلام وافرين؟
والله لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني
الله به، حتى يُظهره الله أو تُنفرد مني
هذه السالفة.

وكان النبي (ص) حريصاً على أن
يتجنب الحرب مع قريش لأنه خرج
متشكاً معظماً للبيت لا للحرب.

وأرسلت قريش مندوبين عنها
فاعلمهم النبي أنه لم يأت محارباً،
وإنما جاء معتمراً معظماً للبيت.

وأرسل النبي (ص) عثمان بن عفان
إلى أهل مكة ليخبرهم بمقصد
المسلمين فقال لهم: إنا لم نأت لقتل
أحد، وإنا جئنا زوّاراً لهذا البيت،
معظمين لحرمة. ولا نريد إلاّ العمرة،
فأبّت قريش أن يدخل النبي وصحبُه
مكة، وأذنت قريش لعثمان أن يطوف
بالبيت فقال: «لا أطوف ورسول الله
ممنوع»، فاحتبست قريش عثمان،
فشاع عند المسلمين أن عثمان قد قُتل،
فقال (ص) حينما سمع ذلك: «لا نبرح
حتى نتاجزهم الحرب».

بيعة الرضوان

دعا النبي الناس للبيعة على القتال
فبايعوه على الموت، تحت شجرة

معه، وهو يخشى من قريش أن
يُغرضوا له بحرب، أو يصدّوه عن
البيت. وتخلّف كثير من الأعراب عن
مرافقته ظناً أن الحرب لا بدّ واقعة بينه
وبين قريش، فخرج رسول الله بيمين معه
من المهاجرين والأنصار، ومن لحق
بهم من العرب، وساق معه الهذليّ
سبعين بدنة؛ وأحرم بالعُمرّة ليأمن
الناس من حربه، وليعلموا أنه إنّما
خرج زائراً للبيت ومُعظماً له.

واستخلف رسول الله على المدينة
عبدالله بن أم مكتوم، وأخذ معه من
نسائه أم سلمة، وسار معه ألف
 وخمسة من المسلمين معتمرين،
وسيوفهم مُحمّدة في قُرْبِها، فلما
أصبحوا على مسيرة مرحلتين من مكة
لقي النبي (ص) بشر بن سفيان فأنبأه نبأ
قريش قائلاً:

«يا رسول الله، هذه قريش علمت
بمسيرك فخرجوا عازمين على طول
الإقامة وقد نزلوا بذئ طوى يحلفون
بالله لا تدخلها عليهم أبداً».

فقال رسول الله (ص): «يا ويح
قريش، قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم
لو خلّوا بيني وبين سائر الناس، فإن
أصابوني كان الذي أرادوا، وإن

هناك سميت «شجرة الرضوان». وقد بارك الله هذه البيعة، وأعلن رضاه عن أهلها فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الآية ١٨].

شروط الصلح

علمت قريش بخبر هذه البيعة، فاشتد خوفها، وقويت رغبتها في الصلح، وأرسلت سهيل بن عمرو ليفاوض المسلمين بشأن الصلح، وتوصل الطرفان الى معاهدة مشتركة سميت بصلح الحديبية؛ وأهم شروط هذا الصلح ما يأتي:

١ - وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنين.

٢ - من جاء الى محمد من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يلزمون برده.

٣ - من أراد أن يدخل في حلف محمد دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل فيه.

٤ - أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام، ثم يأتي في العام المقبل فيدخل مكة بأصحابه، ويقيموا بها ثلاثة أيام، ليس معهم من السلاح إلا السيف

في القراب.

وقد كان هذا الصلح مثار اعتراض من بعض كبار المسلمين، لأنهم جاءوا للطواف بالبيت فمنعوا من ذلك، وهم في حال قوة واستعداد لمحاربة قريش. كما أن شروط الصلح أثارت غضب المسلمين، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، أأنت برسول الله؟ فقال بلى، قال عمر: أألسنا على الحق وعَدُّونا على الباطل؟ قال: بلى، قال فعلاًم نعطي الذينة في ديننا إذن؟ فقال رسول الله (ص): «أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيئني».

ولكن أبا بكر كان أكثر الناس وثوقاً بما اختاره النبي، وبأن الحكمة والخيرة في اختياره.

ثم وقع الطرفان على الصلح. وبعد ذلك توافدت قبيلة خزاعة فدخلت في عهد رسول الله؛ وتوافدت قبيلة بكر فدخلت في حلف قريش. وقد كان لهذا الصلح أكبر الأثر في سير الدعوة الإسلامية. فقد اعترفت قريش بالمسلمين، كما سمحت لهم بدخول مكة في العام القادم. ولما دخلوا مكة، شاهدتهم أهلها، وسمعوا لقولهم، ورأوا عبادتهم، فتفتحت قلوبهم

المتصل مباشرة بالله الحي الباقي الذي لا يموت [الآية ١٠].

وبمناسبة البيعة والنكث، التفت السياق الى الأعراب الذين تخلّفوا عن الخروج، ليفضح معاذيرهم، ويكشف ما جال في خاطرهم من سوء الظن بالله، ومن توقع السوء للرسول ومن معه، والتفت السياق، أيضاً، إلى توجيه الله تعالى الرسول (ص) الى ما ينبغي أن يكون موقفه منهم في المستقبل، وذلك بأسلوب يوحى بقوة المسلمين وضعف المخلفين كما يوحى بأن هناك غنائم وفتوحاً قريبة يسيل لها لعاب المخلفين المتباطئين [انظر الآيات ١١ - ١٧].

الله يبارك بيعة الرضوان

كان الربع الثاني من سورة الفتح تمجيداً لهؤلاء الصفوة من الرجال، وتسجيلاً لرضوان الله عليهم حين بايعوا رسول الله (ص) تحت الشجرة، والله عز وجل حاضراً هذه البيعة وشاهداًها وموثقها، ويده فوق أيديهم فيها، تلك المجموعة التي حظيت بتلك اللحظة القدسية وذلك التبليغ الالهي: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ

للإسلام، وقد فُتحت مكة بعد عمرة القضاء بسنة واحدة. إذ كان صلح الحديبية سنة ٦ هـ وعمرة القضاء سنة ٧ هـ، وفتُح مكة سنة ٨ هـ. كما أن هذا الصلح يَسُرُّ للمسلمين نشر الدعوة، وشرَحَ الفكرة، ودعوة الناس الى الإسلام، ومكاتبه الرسل والملوك.

الأحداث وسورة «الفتح»

نزلت سورة «الفتح» في أعقاب صلح الحديبية، فباركت السورة هذا الصلح وجعلته فتحاً مبيّناً؛ وبشرت النبي (ص) بالمغفرة والنصر وإتمام النعمة. وقد فرح النبي الكريم بهذه السورة فرحاً شديداً (انظر الآيات ١ - ٣). واشتملت السورة على بيان فضل الله سبحانه على المسلمين حين أنزل السكينة والأمان والرضا في قلوبهم، كما اعترفت السورة للمؤمنين بزيادة الإيمان ورسوخه، وبشرتهم بالمغفرة والثواب.

وتوعّدت السورة المنافقين والكفار بالعذاب والنكال (انظر الآيات ٤ - ٦). ثم نوّهت ببيعة الرضوان واعتبارها بيعة الله، وربط قلوب المؤمنين مباشرة بربهم من هذا الطريق بهذا الرباط

تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَالِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٧﴾ .

تلك المجموعة التي سمعت رسول الله (ص) يقول لها عند البيعة . «أنتم اليوم خير أهل الأرض» .

تبدأ الآيات [١٨ - ٢٩] بحديث من الله سبحانه وتعالى الى رسول الله (ص) عن هؤلاء الصُّفوة الذين بايعوا تحت الشجرة، ثم بحديث مع هؤلاء الصفوة يبشرهم بما أعد لهم من مغنم كثيرة وفتوح، ويما أحاطهم به من رعاية وحماية في هذه الرحلة وفيما سيتلوها، ويندد بأعدائهم الذين كفروا تنديداً شديداً، ويكشف لهم عن حكمته في اختيار الصلح والمهادنة في هذا العام، ويؤكد لهم صدق الرؤيا التي رآها رسول الله (ص) عن دخول المسجد الحرام، وأن المسلمين سيدخلونه آمنين لا يخافون، وأن دينه سيظهر على الدين كله في الأرض بأسرها.

ظهور الاسلام

لقد صدقت رؤيا رسول الله (ص)، وتحقق وعد الله للمسلمين بدخول المسجد الحرام آمنين، ثم كان الفتح في العام الذي يليه، وظهر دين الله في

مكة، ثم ظهر في الجزيرة كلها بعد ذلك، ثم تحقق وعد الله وبشرائه الأخيرة حيث يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٨﴾﴾ . فلقد ظهر دين الحق، لا في الجزيرة وحدها، بل ظهر في المعمور من الأرض كلها، قبل مضي نصف قرن من الزمان. ظهر في إمبراطورية كسرى كلها، وفي قسم كبير من إمبراطورية قيصر، وظهر في الهند وفي الصين، ثم في جنوب آسيا في الملايو وغيرها، وفي جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) . . . وكان هذا هو معظم المعمور من الأرض في القرن السادس ومنتصف القرن السابع الميلادي .

وما يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله، حتى بعد انحساره السياسي عن جزء كبير من الأرض التي فتحها، وبخاصة في أوروبا وجزر البحر الابيض، وانحسار قوة أهله في الأرض كلها بالقياس الى القوى التي ظهرت في الشرق والغرب في هذا الزمان.

أجل، ما يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله من حيث هو دين، فهو الدين القوي بذاته، القوي بطبيعته،

الوضيعة ثابتة لهم في لوحة القدر، فقد وردت صفتهم في التوراة التي أنزلها الله سبحانه، على موسى (ع).

أما صفتهم في الانجيل فهي صورة زرع نام قوي، يخرج فروعه بجواره، وهذه الفروع تشد أزرة، وتساعد حتى يصبح الزرع ضخماً مستقيماً قوياً سوياً، يبعث في النفوس البهجة والإعجاب.

قال تعالى: ﴿تَحْمَدُ رُسُلَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً مِنْهُمْ تَرْهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَتَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِيمًا أَخْرَجُ سُلْطَمَهُ فَتَأْذَنُ فَاسْتَلْطَفَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُعْجِبُ الزُّنَاجَ لَعِيطَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

مقاصد السورة الاجمالية

قال الفيروزآبادي: معظم مقصود سورة «الفتح» ما يأتي:

«وعد الله الرسول (ص) بالفتح والغفران، وإنزال السكينة على أهل الايمان، وإبعاد المنافقين بعذاب

الزاحف بلا سيف ولا مدفع من أهله، لما في طبيعته من استقامة مع الفطرة، ومع نوااميس الوجود الاصلية، ولما فيه من تلبية بسيطة عميقة لحاجات العقل والروح، وحاجات العمران والتقدم، وحاجات البيئات المتنوعة من ساكني الاكواخ الى ناطحات السحاب؛ وما من صاحب دين غير الاسلام، ينظر في الاسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى من غير أن يقر باستقامة هذا الدين وقوته الكامنة، وقدرته على قيادة البشرية قيادة رشيدة، وتلبية حاجاتها النامية المتطورة في يسر واستقامة.

وصف الصحابة

في ختام سورة الفتح نجد صورة مشرقة للنبي الكريم وصحبه الأبرار، فهم أقوياء في الحق، أشداء على الكفار، رحماء بينهم؛ وهم في الباطن أقوياء في العقيدة، يملأ صدورهم اليقين؛ فتراهم رُكْعاً سُجْدًا يبتغون فضلاً من الله ورضواناً.

وقد ظهر نور الإيمان عليهم في سَفَتِهِمْ وَسِخْتِهِمْ وَسِيمَاتِهِمْ. سيماهم في وجوههم من الوضأة والإشراق والصفاء والشفافية. هذه الصورة

الجحيم؛ ووعد المؤمنين بنعيم الجنان، والثناء على سيد المرسلين، وذكر العهد وبيعة الرضوان، وذكر ما للمنافقين من الخذلان، وبيان عذر المعذورين، والمئة على الصحابة بالنصر، وصدق رؤيا سيد المرسلين، وتمثيل حال النبي والصحابة بالزرع

والزرع في البهجة والنضارة وحسن الشأن.

روى مسلم عن أنس عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: «لما نزلت سورة الفتح» قال رسول الله (ص) لقد أنزل عليّ سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

ترابط الآيات في سورة «الفتح» (*)

بعد بيعة الرضوان، فظهر ضعفها وخضوعها بعد إياثها، وبدأ تخاذلها بعد بيعة المسلمين على الموت، وهذا كان فتحاً مبيناً للمسلمين، وتمهيداً لفتح مكة بعد ذلك في السنة الثامنة من الهجرة؛ وبهذا وفى الله بوعده بنصرهم في السورة السابقة.

التنويه بصلح الحديبية الآيات [١ - ٢٩]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ فجعل صلح الحديبية فتحاً مبيناً للنبي (ص)، وقيل إنه يقصد بذلك فتح مكة، لأن هذا الصلح كان تمهيداً لفتحها؛ ثم ذكر سبحانه أنه هو

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «الفتح» بعد سورة «الجمعة»، وكان نزولها في الطريق عند الانصراف من الحُدَيْبِيَّةِ في السنة السادسة من الهجرة، فتكون من السور التي نزلت فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك.

وقد سُمِّيَتْ هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة التنويه بشأن صلح الحُدَيْبِيَّةِ، لأنَّ فريشاً سعت إليه

(*) انتفى هذا المبحث من كتاب «النظم الفنى في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصيدي، مكتبة الآداب بالجميزة - المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين حينما أبت قريش عليهم أن يدخلوا مكة ليؤدّوا عمرتهم، فلم يَهْئُوا أو لم يرتدّوا على أعقابهم، بل وقفوا ينتظرون ما يكون بعد تبادل الرسل بينهم وبين قريش، وقد وعدهم على هذا بما وعدهم، وأوعد المنافقين الذين تخلفوا عنهم وظنّوا أنهم لن يرجعوا إليهم، ثم مدح الذين بايعوا الرسول (ص) على الموت تحت شجرة الرضوان حينما أشيع أن قريشاً قتلت عثمان بن عفان، وكان النبي (ص) قد أرسله إليها، وذكر أن الذين بايعوه على ذلك إنما بايعوه ويد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بعهده فسيؤتيه أجراً عظيماً. ثم ذكر أن أولئك المتخلفين من المنافقين سيعتذرون بأنهم اشتغلوا بأموالهم وأهليهم، وذكر أنهم كاذبون في اعتذارهم، وأوعدهم على ذلك بما أوعدهم، ثم ذكر جلّ وعلا أنهم سيطلبون من النبي (ص) بعد أن رأوا ظهور أمره أن ينطلقوا معه إلى القتال طمعاً في الغنائم، وأمره ألاّ يُمكنَهم من الانطلاق معه، وأن يبين لهم أن القتال طمعاً في الغنائم ليس طريقاً لقبول توبتهم، وإنما طريق ذلك

أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس شديد - ولعلمهم يهود خيبر - فإن يطيعوا أمر الله، سبحانه، في قتالهم يؤتّهم أجراً حسناً، وإن يتولّوا كما تولّوا من قبل يعذبهم عذاباً أليماً، واستثنى منهم صاحب العذر من الأعمى والأعرج والمريض، ثم عاد السياق إلى أولئك الذين بايعوا تحت الشجرة فذكر أن الله جلّ جلاله رضي عنهم، وأنه سيهيّهم فتحاً قريباً هو فتح خيبر، وهذا إلى مغنم كثيرة يأخذونها بعدها، وقد عجلّ لهم فتح خيبر بعد أن كفّ أيدي قريش عنهم بذلك الصلح، وهناك غنيمة أخرى لم يقدرُوا عليها هذه المدة وهي مكة، وقد أحاط بها بفتح ماحولها؛ ثم ذكر أنه لو لم يُعقد هذا الصلح وقاتلتهم قريش لانتصروا عليها، كما هي سُنّة في نصر أوليائه على أعدائه، ولكنه أراد ذلك الصلح وكفّ الفريقين عن القتال من بعد أن أظهر المؤمنين عليهم، لأنّ مكة كانت لا يزال بها فريق من المسلمين لم يهاجروا إلى المدينة، فلو دخلها المسلمون عنوة لأصابوهم مع المشركين، ولهذا اقتضت إرادته ذلك، لتكتمل هجرة من بقي بمكة من المسلمين ولو تميزوا فيها من المشركين

لما كفَّ المسلمين عنهم، ولعذبهم عذاباً أليماً.

ثم عاد السياق إلى ذكر فضله تعالى عليهم في ذلك الصلح، فأمرهم أن يذكروا إحسانه إليهم إذ ثارت حمية الجاهلية في قلوب قريش وصدوهم عن عُقْرَتِهِمْ، فأنزل سكينته عليهم فلم يغضبوا ولم ينهزموا بل صبروا، وكانوا أحق بهذا من أولئك الذين ثارت فيهم حمية الجاهلية؛ ثم ذكر أنه حقق بذلك الصلح رؤيا النبي (ص) أنهم دخلوا المسجد الحرام مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَهُمْ وَمُقْصِرِينَ، لأنهم اتفقوا فيه على أن يرجع المسلمون هذا العام ويعتصموا في العام المقبل. فعلم،

سبحانه، من ذلك الصلح ما لم يعلموا، وجعل من دونه فتحاً قريباً (فتح خبير) وإنما يفعل ذلك لأنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَوُضُوئًا لِّسَانِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجَجٍ أُخْرِجَ شَعْلُهُ فَأُزِيدُهُ فَاسْتَفَلَّتْ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ. يُصِيبُ الرِّزَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾

أسرار ترتيب سورة الفتح، (*)

وبالمؤمنين، بعد إيهامه في قوله تعالى
في الأحقاف: ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى
وَلَا يَكْرَهُ﴾^(١) [الأحقاف/٩] فكانت متصلة
بسورة الأحقاف من هذه الجملة.

لا يخفى وجه حسن وضعها هنا،
لأن الفتح بمعنى النصر، مرتب على
القتال، وقد ورد في الحديث: أنها
مبينة لما يفعل بالرسول (ص)

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) هو قول ابن عباس رواه عنه علي بن طلحة. ولذا قال عكرمة والحسن وقتادة: إن آية «الأحقاف» منسوخة بآية «الفتح»: ﴿لَيَنْتَهِزَنَّ لَكَ اللَّهُ مَا تَحْتَمِلُ مِنْ ذَلِكَ﴾ [الآية ٢]. قالوا: ولما نزلت قال رجل من المسلمين: فما هو فاعل بنا؟ فنزل: ﴿لَيَنْتَهِزَنَّ الشَّيْطَانُ وَلَيَحْتَمِلَنَّ جَنَّتُكَ﴾ [الآية ٥] انظر تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٧.

مكنونات سورة «الفتح» (*)

وقال سعيد بن جبير: أهل هوازن^(٢)
وقال الضحاك: ثقيف.

وقال جوير: مسيلمة وأصحابه.
أخرجها كلها ابن أبي حاتم^(٣).

٣ - ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الآية ١٨].

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي: أنه
سُئِلَ كَمْ كَانَ أَهْلُ الشَّجَرَةِ عِنْدَ بَيْعَةِ
الرُّضْوَانِ؟ قَالَ: كَانُوا أَلْفًا وَخَمْسَمِئَةً

١ - ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الآية ١١]

قال مجاهد: هم: جُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ.
أخرجه ابن أبي حاتم^(١).

وأخرج عن مقاتل: أنهم خمس
قبائل.

٢ - ﴿سَتَدْعُونَ إِلَكُمْ قَوْمٌ أُولَى بَابٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية ١٦].

قال ابن عباس: هم فارس.

(٥) انتهى هذا المبحث من كتاب «تفجعات الأفران في تنبهات القرآن» للسبوطي، تحقيق إيداد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) والطبري ٤٩/٢٦.

(٢) وأخرجه الطبري أيضاً في «تفسيره» ٥٢/٢٦.

(٣) قال أبو جعفر بن جرير الطبري في «تفسيره» ٥٢/٢٦: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله تعالى أخبر عن هؤلاء المخلفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال ونجدة في الحروب، ولم يوضح لنا الدليل من خبر لا عقل على أن المغنبي بذلك هوازن لا بنو حنيقة ولا فارس ولا الروم ولا أعيانهم، وجائز أن يكون غنبي بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون غنبي بهم غيرهم، ولا قول فيه أصح من أن يقال كما قال الله جل ثناؤه إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديده».

وخمساً وعشرين.

وأخرج البخاري عن أبي الزبير قال:
قلت لجابر: كم كُتِبَ يؤمُّن؟ قال: كُتِبَ
زهاء ألف وخمسمئة.

وأخرج مسلم^(١) عن معقل بن يسار:
أنهم كانوا ألفاً وأربعمئة.

وأخرج الشيخان^(٢) عن ابن أبي
أوفى قال: كُتِبَ يوم الشجرة ألفاً
وثلاثمئة.

وأخرج ابن أبي حاتم من حديث
سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ: أن الشجرة
سَمُرَةٌ^(٣).

٤ - «وَأَتَبَّهَمُ فَتَمَّ قَرِيبًا» ﴿٥﴾ .

قال ابن أبي ليلى: فَتَحَ خَيْرٌ^(٤)

وقال السُّدِّي: مكة.

أخرجهما ابن أبي حاتم.

٥ - «وَأُخْرِي لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا» [الآية
٢١].

قال ابن أبي ليلى: فارس، والروم.
أخرجه ابن أبي حاتم^(٥).

٦ - «وَمَرَّ أَلْيَى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ»
[الآية ٢٤].

نزلت في ثمانين من أهل مكة،
هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ (ص) مِنَ التَّعْنِيمِ^(٦)
ليقتلوه. أخرجه الترمذي^(٧) من حديث
أنس.

(١) انظر «صحيح مسلم» كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام رقم (١٨٥٨).

(٢) البخاري (٤١٥٥) في المغازي، باب: غزوة الحديبية، ومسلم (١٨٥٧) في الإمارة باب: استحباب مبايعة الإمام.

وقد جمع الحفاظ ابن حجر في «فتح الباري» ٧/ ٤٤٠ بين الروايات بأن مع الزائد زيادة لم يطلع عليها غيره،
والزيادة من الثقة مقبولة، أو أن الزيادة قد تكون من الأتباع الذين لحقوا بعد، كالخدم والنساء والصبيان الذين لم
يلفخوا العلم.

(٣) سَمُرَةٌ: نوع من الطَّلَح، صفار الورق، فصار الشوك.

(٤) وأخرجه الطبري ٢٦/ ٥٥.

(٥) والطبري ٢٦/ ٥٧.

(٦) التَّعْنِيمُ: موضع بمكة في الجبل، وهو بين مكة ومسرف، على فرسخين من مكة.

(٧) برقم (٣٢٦٠) في التفسير، وأخرجه أيضاً: مسلم في «صحيحه» في الجهاد والشَّير (١٢٢).

لغة التنزيل في سورة «الفتح» (*)

قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَلَتُعَزِّدُوهُ﴾ [الآية ٩]

أي: تقوّوه بالنصرة.

أقول: وهذا ما لا نعرفه في العربية
المعاصرة.

وفي عامية العراقيين التعزير ضرب
من التأييد.

٢ - وقال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَنَى
مَعَكُمْ أَنْ يَتَلَفَّحَ﴾ [الآية ٢٥].

وقوله سبحانه: ﴿وَالْمَدَنَى مَعَكُمْ أَنْ
يَتَلَفَّحَ﴾ أي: محبوساً عن أن يباع.

أقول: وهذا معنى لا نعرفه وهو من
كَلِمِ القرآن، وكلّه فرائد.

٣ - وقال تعالى: ﴿أَنْ تَقْتُلُوهُمْ
فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية
٢٥].

أي: يصيبكم ما تكرهون، ويشتق
عليكم.

والمعرة بهذا المعنى أي: المصيبة،
وما يعتریکم من نازلة أو داهية شيء
غير «المعرة» في العربية المعاصرة التي
تعني سوء والقبح.

٤ - وقال تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي
رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَمَذَّبْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [١٥].

والمراد بقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾،
لو تفرّقوا وتميّز بعضهم من بعض: من
زاله يزيله.

وَقُرئ: (لو تزايلوا).

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «بديع لغة التنزيل» للإبراهيم السائغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

٥ - وقال تعالى: ﴿كَرَّجَ الْكَرَجَ﴾
 شَقَطَهُ فَتَزَوُّوْا [الآية ٢٩].
 وقوله سبحانه: ﴿شَقَطَهُ﴾ أي:

فراخه . ويقال أشطأ الزرع إذا فَرَّخَ .
 وقوله عز وجل: ﴿فَتَزَوُّوْا مِنْ
 الْمُؤَاذِرَةِ وَهِيَ الْمَاعُونَةُ .

المعاني اللغوية في سورة «الفتح» (*)

[الآية ٢٩] يريد «أفعله» من «الإزالة» .	قال تعالى: ﴿وَالْمَدَىٰ مَعْكُوفًا﴾ [الآية
وقال تعالى: ﴿أَن تَطَّوَّهُمْ﴾ [الآية ٢٥]	٢٥] عَلَى وَصْدُوا ﴿وَالْمَدَىٰ مَعْكُوفًا﴾
على البذل «لولا رجال أن تطأوهم» .	كراهية ﴿أَن يَلْعَ يَلْعَهُ﴾ .
	وقال تعالى: ﴿أَخْرَجَ سَطَنَهُ فَاُزْرِزُوا﴾

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

كل سؤال جواب في سورة «الفتح» (*)

نزولها، فكيف يغفر الذنب المعدوم، وإن كان المراد به ذنباً وجد قبل نزولها فهو متقدم قَلِمَ سماه متأخراً؟

قلنا: المراد بما تقدم قصة مارية، وبما تأخر قصة امرأة زيد. وقيل المراد بما تقدم ما وجد منه، وبما تأخر ما لم يوجد منه على معنى أنه موعود بمغفرته على تقدير وجوده، أو على طريق المبالغة كقولهم: فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه؛ بمعنى يضرب كل أحد، فكذا هنا معناه ليغفر لك الله كل ذنب: فالحاصل أن الذنب المتأخر متقدم على نزول الآية، وإن كان متأخراً بالنسبة إلى شيء آخر قبله، أو متأخراً عن نزولها وهو موعود بمغفرته، أو على طريق المبالغة كما بينا.

إن قيل: لِمَ جعل فتح مكة علة للمغفرة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾؟

قلنا: لم يجعله علة للمغفرة بل لاجتماع ما وعده من الأمور الأربعة، وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز. وقبل الفتح لم يكن إتمام النعمة والنصر العزيز حاصلًا، وإن كان الباقي حاصلًا. ويجوز أن يكون فتح مكة سببًا للمغفرة من حيث هو جهاد للعدو.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿مَا مَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الآية ٢] إن كان المراد بما تأخر ذنباً يتأخر وجوده عن الخطاب بهذه الآية فهو معدوم عند

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَبِهِدْيِكَ يَرْجِعْ أَسْتَقِيمًا﴾ وهو مَهْدِيٌّ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، ومَهْدِيَّةٌ بِهِ أُمَّتُهُ أَيْضًا.

قلنا: معناه ويزيدك هَدًى؛ وقيل ويشبّثك على الهدى، وقيل معناه ويهديك صراطاً مستقيماً في كل أمر تحاوله.

فإن قيل: كيف يقال إن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان، وقد قال الله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الآية ١٤]

قلنا: الإيمان الذي يقال إنه لا يقبل الزيادة والنقصان هو الإقرار بوجود الله تعالى، كما أن إلهيته سبحانه، لا تقبل الزيادة والنقصان؛ فأما الإيمان بمعنى الأمن أو اليقين أو التصديق فإنه يقبلهما؛ وهو في الآية بمعنى التصديق، لأنهم بسبب السكينة التي هي الطمأنينة وبرد اليقين كلما نزلت فريضة وشريعة صدّقوا بها فزادوا تصديقاً مع تصديقهم.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَأَقْلَهُمَا﴾ [الآية ٢٦] بعد قوله جُلُّ وَعَلَا ﴿وَكَاثَرَا لَمَقَّ يَهَا﴾ [الآية ٢٦]؟

قلنا الضمير في «بها» لكلمة التوحيد، وفي «أهلها» للتقوى فلا تكرر.

فإن قيل: ما وجه تعليق الدخول بمشيئة الله تعالى في أخباره سبحانه وتعالى، حتى قال: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية ٢٧].

قلنا: فيه وجوه: أحدها أن «إن» بمعنى إذ، كما في قوله تعالى: ﴿وَذُرُّوْا مَا بَقِيَ مِنَ الْإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ مُّقْصِدِينَ﴾ [البقرة]. الثاني: أنه استثناء من الله تعالى فيما يعلم تعليماً لعباده أن يستنوا فيما لا يعلمون. الثالث: أنه على سبيل الحكاية لرؤيا النبي (ص) فإنه رأى أن قائلاً يقول له ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا يَمِيزُ﴾ [الآية ٢٧]. الرابع: أن الاستثناء متعلق بقوله تعالى ﴿مَا يَمِيزُ﴾ [الآية ٢٧]. فأما الدخول فليس فيه تعليق.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿لَا تَخَافُونَّ﴾ [الآية ٢٧] بعد قوله سبحانه: ﴿مَا يَمِيزُ﴾ [الآية ٢٧]؟

قلنا: معناه آمنين في حال الدخول، لا تخافون عدوكم أن يخرجكم منه في المستقبل.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿لَيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ [الآية ٢٩] تعليل لأي شيء؟

قلنا: لما دل عليه تشبيههم بالزروع من نمائهم وقوتهم، كأنه قال: إنما كثرهم وقوّاهم ليغيظ بهم الكفار.

فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٠)، وكل أصحاب

النبي (ص) موصوفون بالإيمان والعمل الصالح وبغيرهما من الصفات الحميدة التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية، فما معنى التبعض هنا؟

قلنا: «مِنْ» هنا لبيان الجنس لا للتبعض، كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج/٣٠].

المعاني المجازية في سورة «الفتح» (*)

ومن هناك قالوا صفقة رابحة وصفقة خاسرة، فقيل: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ذهباً إلى هذا المعنى، كأنه سبحانه قال: فالذي أعطاكم الله، في هذه المبايعة، أعلى مما أعطيتكم وأجل وأربح وأفضل.

٢ - وفي قوله تعالى: ﴿كَرَّجَ أَخْرَجَ شَطَطَهُمْ فَكَارَرُوا فَاسْتَقَلَّتْ قَامَتُهُمْ عَلَى سُوقِهِمْ﴾ [الآية ٢٩] استعارة لأنه شبه أصحاب النبي (ص) في تضافرهم وتآزرهم واشتدادهم وأضدادهم^(١) بالزراع الملتف المتكاثف الذي يقوى بعضه ببعض ويستند بعضه إلى بعض. وشطأ الزرع خرجت أفرخه التي تنبت إلى أصوله. ويقال شطأه ممدود،

١ - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْهِيكَ إِذْ مَا يُبَايِعُوكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية ١٠]. استعارة، واليد ههنا تعرف على وجوه: أحدها أن يكون المعنى عقد البيعة فوق عقدهم. وقيل المراد قوة الله تعالى في نصرته نبيه (ص) فوق قوة نصرتهم. وقيل اليد ههنا بمعنى السلطان والقدرة كما يقول القائل فلان تحت يد فلان أي تحت سلطانه وأمره. فيكون المعنى أن سلطان الله تعالى في هذا الأمر فوق سلطانهم، وأمره فوق أمرهم. وقيل في ذلك وجه آخر، وهو أن العادة جارية في المبايعات والمعاهدات أن تقع الصفقة بالأيدي من البائع والمشتري.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني

حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) كذا في النسخة، ونظن أن الأصل واحتشدهم.

ويقال: قد أشطأ الزرعُ فهو مُشطِيٌّ إذا
أفرخ. ومعنى آزره أي صار فراخ الزرع
له أزرأً وقوةً ودعاماً ومُسْكَةً. وقيل:
شَطَأَهُ سُبُلُهُ فيكون المراد هو آزره حب
السُّبُل بعضه لبعض، حتى تشتد كل
حبة بأختها. والتأويلان متقاربان وقوله

تعالى: ﴿فَاسْتَقْلَقَ فَاسْتَرَوَى حَلَقٌ
سُوفِيٍّ﴾، أي قوي وغلظ واستقام على
نصبه، كما يقوم القائم على ساقه،
ويعتمد على قدمه وهذه استعارة
أخرى.

سورة الحَجَرَات



٤٩

أهداف سورة «الحجرات» (*)

بالتقوى، ويدركون ثوابه بالعمل الصالح.

منهج الحياة

سورة «الحجرات» يمكن أن تكون دائرة معارف شاملة لتربية الفرد وتهذيب الجماعة، فهي تقدم منهجاً للحياة السليمة، ونظاماً تربوياً ناجحاً لمواطن صالح مؤمن بربه، يحترم دينه ويؤدي شعائره.

جاء في كتاب «ظلال القرآن» ما يأتي:

«هذه سورة جليلة ضخمة، تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة، ومن حقائق الوجود

الآداب العامة

هذه سورة الآداب العامة ومكارم الأخلاق والتهذيب والتأديب، سورة هذبت وجدان المسلمين، وحركت فيهم دوافع الخير والمعروف، وحاربت نوازع السخرية والاستهزاء بالآخرين، وحثت على إزالة أسباب الخصام والبغضاء، وحرصت على تأليف القلوب وإشاعة المحبة والمودة بين الناس، ولذلك نهت عن ظن السوء بالمسلم المخلص، وعن تتبع العورات المستورة، وعن الغيبة واللمز والتناؤز بالألقاب. وبينت أن الناس جميعاً عند الله سواء، كلهم لآدم، وآدم من تراب؛ فهم يتفاضلون عنده، سبحانه،

(*) انتهى هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

والانسانية، حقائق تفتح للقلب وللعقل آفاقاً عالية، وأماداً بعيدة، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعاني كبيرة، وتشمل، من مناهج التكوين والتنظيم، وقواعد التربية والتهذيب، ومبادئ التشريع والتوجيه، ما يتجاوز حجمها وعدد آياتها مئات المرات.

وهي تُبرز أمام النظر أمرين عظيمين للتدبير والتفكير. وأول ما يبرز للنظر، عند مطالعة السورة: أنها تستقل بوضع معالم كاملة لعالم رفيع كريم نظيف سليم، متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم، والتي تكفل قيامه أولاً وصيانتة أخيراً، عالم يصدر عن الله، ويتجه الى الله، ويليق أن ينتسب الى الله، عالم نقي القلب نظيف المشاعر، عَفَّ اللسان، وقبل ذلك عَفَّ السريرة، عالم له أدب مع الله وأدب مع رسوله، وأدب مع نفسه، وأدب مع غيره، أدب في هواجس ضميره، وفي حركات جوارحه، وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه، وله نظمته التي تكفل صيانتة، وهي شرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب، وتنبت منه، وتنسق

(١) في ظلال القرآن، للاستاذ سيد قطب ١٢٥/٢٦.

معه. فيتوافى باطن هذا العالم وظاهره، وتتلاقى شرائعه ومشاعره، وتتوازن دوافعه وزواجره، وتنساق أحاسيسه وخُطاه وهو يتجه ويتحرك الى الله. ومن ثم لا يوكل قيام هذا العالم الرفيع الكريم النظيف السليم وصيانتة، لمجرد أدب الضمير ونظافة الشعور، ولا يوكل كذلك لمجرد التشريع والتنظيم، بل يلتقي هذا بذاك في انسجام وتناسق، كذلك لا يوكل لشعور الفرد وجهده، كما لا يترك لنظم الدولة وإجراءاتها، بل يلتقي فيه الأفراد بالدولة، والدولة بالأفراد، وتتلاقى واجباتهما ونشاطهما في تعاون واتساق^(١).

معاني السورة

اشتملت السورة على طائفة كريمة من المعاني الإسلامية والآداب الدينية، فقد أمرت المسلمين ألا يَصُدُّروا في أحكامهم إلا عن طاعة الله والتزام أوامره، ويجب ألا يسبقوا أحكام الله، وأن يجعلوا اختيارهم وذوقهم الديني تابعاً لِهْدَى الله.

مفاهيم الحق والعدل، وأن نحث على الإصلاح ورأب الصدع، حفاظاً على وحدة الأمة، وجمع شمل المسلمين [الآيات ٩ - ١٠].

وتأمر الآيات بالبعد عن السخرية والاستهزاء بالآخرين، فالإنسان إنساناً يَمْخَبِرُهُ وإنسانيته لا بمظهره وتعالیه. وهناك قيم حقيقية لمقادير الناس، هي حُسْنُ صلتهُم بالله ورَضَى الله عنهم. فقد يَسْخَرُ الغني من الفقير، والقوي من الضعيف، وقد تَسْخَرُ الجميلة من القبيحة، والشابة من المعجوز، والمعتدلة من المشوهة. ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست المقياس. فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين، وَرُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأَبْرَهُ. وَتَحَرَّمُ الآيات كذلك اللمز والسخرية بالآخرين، والتنازع بالألقاب التي يكرها أصحابها وَيُحْسِنُونَ فيها مهانةً وعيباً. فشتان ما بين آداب الإيمان، وما بين الفسوق والعصيان، وظلم الآخرين [الآية ١١].

وتستمر الآيات فتنهَى عن ظنِّ السوء، وعن تنبُع عورات الناس حتَّى يعيش الناس آمنين على بيوتهم وأسرارهم، وحتَّى تصان حقوقهم

وهي تأمرهم بالتزام الأدب أمام النبي الكريم، وبحسن المعاملة وَخَفْضِ الصوت عند خطاب الرسول الأمين، لأنه هو خاتم المرسلين، وهو الذي بُلِّغَ الرسالة وأذى الأمانة، ونصح الأمة، وربى المسلمين تربية إلهية، حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس [الآيات ٢ - ٥].

وتأمر السورة المسلمين أن يَشَبُّوا في أحكامهم، وَأَلَّا يُصَدِّقُوا أخبار الفاسقين وإشاعات المفرضين وأراجيف المرجفين، فالرسول معهم، وهُدَى القرآن والسنة بين أيديهم، وحقائق الإيمان وأحكامه واضحة أمامهم، وقد حَبَّبَ الله إليهم الإيمان وحجب عنهم الكفر والعصيان؛ فَلِلَّهِ الفضل والمِنَّة، وهو العليم بعباده الحكيم في أفعاله [الآيات ٦ - ٨].

والمؤمنون أمة واحدة، ربهم واحد وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، ودينهم يقوم على التسامح والتعاون والتناصح. فإذا حدث خلاف بين طائفتين، أو قتال ونزاع، فمن الواجب أن نحاول الصلح بينهما؛ وإذا أصررت إحدى الطائفتين على البغي والعدوان فمن الواجب أن نقف في وجه المعتدي حتى يفى إلى الحق، وعلمنا أن نؤكد

وحزّياتهم، وتنهى عن الغيبة وتُحذّر منها، وتبين أنّ الناس جميعاً خلّقوا من أصل واحد، ثم تفرعت بهم الشعوب والقبائل، والعلاقة بين الناس أساسها التعارف على الخير، وأكرم الناس عند الله أكثرهم تقوى وطاعة لأمره والتزاماً بهديّه [الآيات ١٢ - ١٣].

الإيمان قول وعمل

وفي ختام السورة نجد لوحة هادفة، ترسم معالم الايمان.

فالمؤمن الحق مَنْ آمَن بالله ورسوله، ولم يتطرق الشك الى قلبه، وأتبع ذلك بالجهاد والعمل على نصرة الإسلام، وسار في طريق العقيدة السليمة والتزم بآدابها وهديّها.

ونجد صورة نابية للأعراب الذين افتخروا بالإيمان، وتظاهروا به رياءً وسُمْعةً، وجاءوا في تيهٍ وخُيلاء يَمْشُونَ على النبي أنّهم دخلوا في الإسلام، وهي صورة كريهة فيها الرياء والسمعة والمنة، مع أن الله هو العليم بنفوسهم والبصير بخباياهم، وهو صاحب الفضل والمئة عليهم إن كانوا صادقين.

إن المؤمنين الصادقين هم الذين آمنوا بالله ربّاً، واختاروا الإسلام ديناً،

وصدّقوا بمحمد (ص) نبياً ورسولاً، وجمعوا بين صدق اليقين وأدب السلوك [الآيات ١٤ - ١٨].

وفي الحديث الشريف: «ليس الإيمان بالتمنّي ولكن ما وُقِرَ في القلبِ وصدّقَ في العمل».

الهدف الاجمالي للسورة

قال الفيروزآبادي: معظم مقصود سورة الحجرات ما يأتي:

«المحافظة على أمر الحق تعالى، ومراعاة حرمة الأكابر، والتؤدّة في الأمور، واجتناب التهور، والنجدة في إغاثة المظلوم، والاحتراز عن السخرية بالخلق والحذر عن التجسّس والغيبة وترك الفخر بالأحساب والأنساب، والتحاشي عن المئة على الله بالطاعة».

«وقد تكرّر خطاب المؤمنين في السورة خمس مرات، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والمخاطبون هم المؤمنون في الآيات [٢١ و ٢٢ و ١١ و ١٢] والمخاطب به أمر ونهي، وفي الآية [١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ والمخاطب به المؤمنون والكافرون حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكَ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الآية ١٣] والناس كلّهم في ذلك شرع سواء».

ترابط الآيات في سورة «الحجرات» (*)

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إرشاد المؤمنين الى بعض الآداب في حق الله والرسول، إلى آداب أخرى ذُكرت فيها مع هذه الآداب. وقد حصل من المؤمنين في صلح الحُدَيْبِيَّة أن اعترضوا على بعض ما جاء فيه، وأنهم لم يبادروا الى امثال أمر النبي (ص) لهم أن يحلقوا أو ينحروا ليتحلَّلوا من عُمرَيْهِمْ، فجاءت سورة الحجرات عَقِبَ سورة «الفتح» التي ذُكر فيها ذلك الصلح إرشاداً للمؤمنين إلى تلك الآداب، حتى لا يعودوا الى ما وقع منهم من الاعتراض على النبي (ص)، ومن عدم المبادرة الى امثال أمره.

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «الحُجُرَات» بعد سورة «المجادلة»، ونزلت سورة «المجادلة» بعد سورة «المنافقون»، ونزلت سورة «المنافقون» في غزوة بني المُصْطَلِق في السنة الخامسة من الهجرة، فيكون نزول سورة «الحجرات» فيما بين صلح الحُدَيْبِيَّة وغزوة تَبُوك.

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي يَأْذُوكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَيْتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١ وتبلغ آياتها ثمان عشرة آية.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الغني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعدي، مكتبة الأدب بالجميزة - المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

أدب المؤمنين مع الله ورسوله الآيات [١ - ٥]

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ﴾ فذكر من أدب المؤمنين مع الله ورسوله ألا يتقدموا عليهما بالرأي، وألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت الرسول (ص)، وألا ينجسوا له بالخطاب كجهر بعضهم لبعض، وألا ينادوه من وراء الحجاب كما ناداه بعض جفأة الأعراب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أدب المؤمنين في سماع الأخبار الآيات [٦ - ٨]

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْقُرْآنُ فَاقْرَأُوهُ فَتُنَبِّئُوا أَن تَصِيحُوا قَوْمًا يَجْهَلُونَ فَتُصَيِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَوَامِشًا﴾، فذكر من أدب المؤمنين في سماع الأخبار أن يثبتوا في تصديق أخبار الفساق، فلا يسمعون لكل ما يلقى إليهم كما سمعوا لما ألقى إليهم، في ذلك الصلح، ولو أن الرسول سمع إليهم في هذا وفي غيره من أمورهم، لوقعوا في العنت. ولكن الله حبيب

إليهم الإيمان، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فلم يجعلوا لهم رأياً مع ربه ﴿فَصَلَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

ترغيب المؤمنين في الصلح الآيات [٩ - ١٨]

ثم قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الآية [٩]، فرغب المؤمنين في الصلح لئلا يأبوه كما أبوه في الحذبية، وأمرهم أن يصلحوا بين كل طائفتين تقتتلان من المؤمنين، وأن يقاتلوا من يأبى منهما الصلح حتى يرضى به، فإذا رضي به وجب أن يصلح بينهما بالعدل، ثم نهاهم عما يوجب الخصام بينهم من سخرية بعضهم ببعض، ومن عيب بعضهم الآخر في غيبته، وهو اللمز، ومن تسمية بعضهم بعضاً بما يحط منه، وهو التبر، ومن سوء ظن بعضهم ببعض، إلى غير هذا مما يوجب الخصام بينهم؛ ثم ذكر، جل وعلا، أنه خلقهم شعباً وقبائل ليتعارفوا لا ليتناكروا ويتخاصموا، وأن أكرمهم

عنده هو الذي يمثل أوامره ويجتنب نواهي، لا من يتعالى على غيره بِتَسَبُّبٍ أو نحوه فيخاصمه ولا يصالحه.

ثم خُتِمت السورة بالكلام على الأعراب الذين يكتفون من الإسلام بالاسم، ولا يأخذون بشيء من آدابه، بل يمضون على ما كانوا عليه في جاهليتهم من الجفوة والتخاصم والتناكر، فأنكر، سبحانه، عليهم ما

يَدْعُونَ من الإيمان، وذكر أنهم لم يحصل لهم إلا إسلام لا يتجاوز النطق باللسان، ثم أخذ السياق في هذا إلى أن ذكر أنهم يَمْتُون على النبي (ص) بإسلامهم، وأجاب عن هذا بأن الله سبحانه هو الذي يَمُنُّ عليهم بهدایتهم للإيمان إن كانوا صادقين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

أسرار ترتيب سورة «الحجرات» (*)

بالذين آمنوا، وهذه افتتحت بالذين آمنوا^(٢)؛ وتلك تضمنت تشريعاً له (ص)، خصوصاً مطلعها، وهذه أيضاً في مطلعها أنواع من التشريف له (ص)^(٣).

لا يَخْفَى تَأْخِي هَاتَيْنِ الصَّوْرَتَيْنِ (الفتح والحجرات) مع ما قبلهما، لكونهما مدنيتين، ومشمئلتين على أحكام. فتلك فيها قتال الكفار، وهذه فيها قتال البغاة^(١). وتلك خُتِمت

(١) انتهى هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعنصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢) قتال الكفار في «الفتح» معروف، لأنها في فتح مكة، وقتال البغاة في «الحجرات» جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ظَهَرَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَبِّينَ أَنْتَزَلُوا عَلَيْنَاهُمَا مَائِدًا مِنَ الْكِتَابِ فَذَلَّلُوا إِلَيْهِ تَبِينَ ثُمَّ أَعَادُوا عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ هَلَكُمُ الْمَوْلَى﴾ [الأنعام: ٩٩].

(٣) ختام الفتح: ﴿وَبَعَثَ اللَّهُ الْبَنِيَّ نَامِرًا وَمَوَلًىوًا فَذَلَّلُوا إِلَيْهِ تَبِينَ ثُمَّ أَعَادُوا عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ هَلَكُمُ الْمَوْلَى﴾ [الأنعام: ٩٩]. وافتتاح الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي دِينِكُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ هَلَكَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

(٤) تشريفه (ص) في «الفتح» في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا فِي دِينِكُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ هَلَكَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. وتشريفه في مطلع الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي دِينِكُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ هَلَكَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

مكنونات سورة «الحجرات» (*)

أخرجه أحمد وغيره من حديث
الحارث بن ضرار الخزاعي .

٣- ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَا مَنَّ اللَّهُ﴾ [الآية
١٤].

هم بنو أسد . أخرجه سعيد بن
منصور عن سعيد بن جبير .

١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ
الْحُجُرُوتِ﴾ [الآية ٤].

نزلت في ناس من الأعراب منهم:
الأقرع بن حابس . أخرجه أحمد
وغیره .

٢- ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِبَلَاءٍ﴾ [الآية ٦].
نزلت في الوليد بن عقبة .

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «مفجعات الأفران في مبهنات القرآن» للسبيوطي، تحقيق إياد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، خبر مؤرخ.

لغة التنزيل في سورة «الحجرات» (*)

يَنْهَى وَلَا يُسَاءُ مِنْ يُسَاءُ عَنِ أَنْ يَكُنْ خَيْرًا
يَنْهَى ﴿[الآية ١١].

أقول: دلت كلمة ﴿يَنْهَى﴾ في الآية
على الرجال بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا
يُسَاءُ﴾ وهذا مثل قول زهير:

وما أدري ولستُ إخال أدري
أفوم أَلْ جِصْنِ أم نساء

١- قال تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِصَلَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

والقسط: العدل، والفعل أقسط،
والهمزة للسلب، وهذا يعني: أن الفعل
«قَسَطَ» بمعنى جاز ظلم.

٢- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَتَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا

(*) انظر هذا المبحث من كتاب «بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

المعاني للضوية في سورة «الحجرات» (*)

وقال ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾ [الآية ١٣] بالكسر ابتداء ولم يُحمل الكلام على ﴿يَتَارَعُوا﴾ [الآية ١٣].	قال تعالى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الآية ٢] أي: مخافة أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وقد يقال: «اسْمُكَ الحائِطُ أَنْ يَمِيلَ».
---	---

(*) انقضي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

لكل سؤال جواب في سورة «الحجرات» (*)

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الآية ٢] بعد قوله سبحانه: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَسْوَأَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الآية ٢].

قلنا: فائدته تحريم الجهر في مخاطبته (ص) باسمه نحو قولهم يا محمد، ويا أحمد، فهو أمر لهم بتوقيره وتعظيمه (ص) في المخاطبة. وأن يقولوا يا رسول الله، ويا نبي الله، ونحو ذلك، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور/٦٣].

فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿أَنْ تَخْبَطَ أَعْمَلُكُمْ﴾ [الآية ٢] أي مخافة أن تخبط

إن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الآية ١]، والمراد به نهيه أن يتقدموا على رسول الله (ص) بقول أو فعل، لا أن يقدموا غيرهم.

قلنا: «قدم» هنا لازم بمعنى «تقدم»، كما في قولهم: بين وتبين، وفكر وتفكر، ووقف وتوقف، ومنه قول الشاعر:

إذا نحنُ سيرنا سارتِ الناسُ خلفنا

وإن نحنُ أومأنا إلى الناسِ وقفوا

أي توقفوا، وقيل معناه: لا تقدموا فعلاً قبل أمر رسول الله (ص).

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير ملوَّح.

أعمالكم مع أن الأعمال إنما تحبط بالكفر لا بغيره من المعاصي، ورفع الصوت في مجلس النبي (ص) ليس بكفر؛ وقد رُوِيَ أن الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لما رفعوا صوتيهما بين يدي رسول الله (ص)؛ وأنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان جهوري الصوت، فربما تأذى رسول الله (ص) بصوته؟

قلنا: معناه لا تستخفوا به، فإن الاستخفاف به ربما أدى خطاه إلى عمده، وعمده كفر يحبط العمل. وقيل جبوط العمل مجاز عن نقصان المنزلة وانحطاط المرتبة.

فإن قيل: ما وجه الارتباط والتعلق بين قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية ٧] وبين ما قبله؟

قلنا: معناه فاتركوا عبادة الجاهلية، فإن الله تعالى لم يترككم عليها، ولكن الله حبيب إليكم الإيمان. وقيل معناه فتثبتوا في الأمور كما يليق بالإيمان، فإن الله حبيب إليكم الإيمان.

فإن قيل: إن كان الفسوق والعصيان

بمعنى واحد، فما فائدة الجمع بينهما، وإن كان العصيان أعم من الفسوق فذكره مغمي عن ذكر الفسوق لدخوله فيه فما فائدة الجمع بينهما؟

قلنا: قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بالفسوق هنا الكذب، وبالعصيان بقية المعاصي، وإنما أفرد الكذب بالذكر لأنه سبب نزول الآية.

فإن قيل: كيف يقال إن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ﴾ [الآية ١٤].

قلنا: المثني هنا الإيمان بالقلب بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية ١٤] يعني لم تصدقوا بقلوبكم ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الآية ١٤] أي استسلمنا واتقنا خوف السيف؛ ولا شك في الفرق بين الإيمان والإسلام بهذا التفسير، والذي يدعي اتحادهما لا يريد به أنهما حيث استغملا كانا بمعنى واحد، بل يريد به أن أحد معاني الإيمان هو الإسلام.

فإن قيل: كيف يقال إن العمل ليس

من الإيمان، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية ١٥]؟

قلنا: معناه إنما المؤمنون إيماناً
كاملاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر/
٢٨]، وقوله (ص) «المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده»، وقولهم:

الرجل من يصبر على الشدائد. ويردّ
على هذا الجواب أن المنفي في أول
الآية عن الإعراب نفس الإيمان
الكامل، فلا يناسب أن يكون المثبت
بعد ذلك الإيمان الكامل بل نفس
الإيمان.

المعاني المجازية في سورة «الحجرات» (*)

كلام الله سبحانه وكلام رسوله (ص)،
أي قبل الوحي النازل منه، وقبل أداء
رسوله إليكم ما أوجي به وأمر بتبليغه.

٢- وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبُوا﴾
 وَلَا يَتَنَبَّهْ بِفَضْلِكُمْ بَعْضًا أَيْحُ أَكْذَكُمْ أَنَّ
 يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الآية
 [١٢]، استعارة ومبناها على أصل
 معروف في كلام العرب، وهو
 تسميتهم المغتاب بأكل لحوم الناس،
 حتى قال شاعرهم^(١):

فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَضُوا لَحْمَهُمْ
وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي مَرثِيَةِ ابْنَةِ
لَهُ (٢١) :

١- في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَاعِرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ استعارة. وقد قرئ «لَا تَقْدِمُوا» بفتح التاء والدال، والمعنيان واحد، والمراد بذلك لا تسبقوا أمر الله ورسوله بفعلٍ ما لم يأمر به ويندب إليه. وقال أبو عبيدة: العرب تقول فلان تقدّم بين يدي الإمام أي تعجل بالأمر والنهي دونه، وذلك مضاد لما وصف الله به ملائكته، إذ يقول: ﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء). ومن قرأ «تَقْدِمُوا» بضم التاء فإنما يريد به لا تقدّموا كلامكم بالحكم في الأمر قبل

(*) انتهى هذا البحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشيخ الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) هو المقم الكندي.

(٢) المعروف أن هذا البيت من قصيدة له في مدح عائشة.

حَصَانٌ زَزَانٌ لَا تُزْنُ بِزَنِيَةٍ^(١)
وَتُضْبِحُ غَرْنَى مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ
أَي تُمْسِكُ عَنْ غِيَةِ النِّسَاءِ الْغَافِلَاتِ
عَنْ غِيَتِهَا، فَتَكُونُ بِإِمْسَاكِهَا عَنْ الْغِيَةِ
الَّتِي يَسْمَى فَاعِلُهَا أَكَلَ لَحْمِ صَاحِبِهِ،
كَأَنَّهَا غَرْنَى أَيْ جَائِعَةٌ لَمْ تَطْعَمْ شَيْئًا،
لَأَنَّ الْغِيَةَ، لَمَّا سُمِّيَتْ أَكْلًا وَقَرُمًا^(٢)
حَسُنَ أَنْ يَسْمَى تَرْكُهَا جُوعًا وَغَرْنًا.
وَمَعْنَى ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أَي عَافَتْهُ أَنْفُسُكُمْ،
وَهَذَا مُحذُوفٌ مَقْدَرٌ فِي
الْكَلَامِ دَلَالَةٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَلْخِصُ

هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ دَعِيَ إِلَى أَكْلِ لَحْمِ
أَخِيهِ مِيتًا فَعَافَتْهُ نَفْسُهُ وَكَرِهَهُ مِنْ جِهَةِ
طَبْعِهِ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ، إِذَا دَعِيَ إِلَى غِيَةِ
أَخِيهِ، أَنْ تَعَافَ ذَلِكَ نَفْسُهُ مِنْ جِهَةِ
عَقْلِهِ، لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكْرَهُ هَذَا عَقْلًا
كَمَا كَرِهَ الْأَوَّلَ طَبْعًا؛ لِأَنَّ دَاعِيَ الْعَقْلِ
أَحَقُّ بِالِاتِّبَاعِ مِنْ دَاعِيَ الطَّبْعِ، إِذْ كَانَ
دَاعِيَ الطَّبْعِ أَعْمَى جَاهِلًا وَدَاعِيَ الْعَقْلِ
بَصِيرًا عَالِمًا، فَكِلَاهُمَا فِي صِفَةِ
النَّاصِحِ، إِلَّا أَنَّ نَصَحَ الْعَقْلِ سَلِيمٌ
مَأْمُونٌ، وَنَصَحَ الطَّبْعِ ظَنِينٌ مَدْخُولٌ.

(١) وَرَوَتْ فِي بَعْضِ الْأَصُولِ لَفْظَةً «بَرِيَّةً» مَحَلُّ بَرِيَّةٍ.

(٢) الْقَرْمُ: شِدَّةُ الشَّهْوَةِ إِلَى اللَّحْمِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: اللِّسَانُ، مَادَّةُ قَرَمٍ. [وَفِي الْأَصْلِ: مَنْ قَرَمَ: أَكَلَ أَكْلًا ضَعِيفًا، وَكَذَا فِي أَوَّلِ مَا يَأْكُلُ]. وَهَذَا الشَّرْحُ لِلْمَحْقُقِ، وَهُوَ لَيْسَ دَقِيقًا.

سورة ق



أهداف سورة «ق» (*)

المتقين في الجنة، وجزاء العصاة في النار.

وقد سلكت السورة في عرض معانيها أسلوباً رائعاً أخاذاً، له سيطرته على النفس والجس، وطريقته الفذة في هز أوتار القلوب.

جاء في «ظلال القرآن»

«سورة ق سورة رهيبة، شديدة الوقع بحقائقها، شديدة الإيقاع ببنائها التعبيري؛ وصورها وظلالها وجرس فواصلها، تأخذ على النفس أقطارها، وتلاحقها في خطراتها وحركاتها، وتتعبها في سرها وجهرها؛ وفي باطنها وظاهرها؛ تتعبها برقابة الله التي

سورة «ق» سورة مكية آياتها ٤٥ آية، نزلت بعد سورة «المُرْسَلَات».

سورة الخطبة

كان (ص) يخطب خطبة الجمعة بسورة «ق» حتى قالت النساء: ما حفظنا سورة «ق» إلا من خطبة النبي (ص) بها؛ وهي سورة تحمل أصول التوحيد وتلفت النظر إلى دلائل القدرة في خلق السماء والأرض وآثار الله الملموسة في إنزال المطر وإنبات النبات، وتُرشد إلى سنن الله في إهلاك الظالمين، واستحقاق الوعيد للمكذّبين، وتُجول بالإنسان داخل نفسه، وتستعرض مشاهد القيامة وجزاء

(*) انقضي هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحانه، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

وصور الحشر، وإلى إرهاب الساعة
في النفس، وتوقعها في الحشر، وإلى
الحقائق الكونية المنجّية في السماء
والأرض، وفي الماء والنبات وفي
التمر والطلع: ﴿تَبِيرُهُ﴾ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ
شَيْبٍ ﴿١٠﴾

فواتح السور

تبدأ سورة «ق» بهذا الحرف
المفرد: «ق».

وقد بدأت بعض سور القرآن بهذه
الأحرف المقطعة، فمنها ما بدأ بحرف
واحد مثل هذه السورة ﴿ق وَالْقُرْآنِ
الْمَجِيدِ﴾ ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي
الذِّكْرِ﴾ ﴿م﴾ ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا
يَسْطُرُونَ﴾ [القلم].

ومنها ما بدأ بحرفين مثل ﴿طه﴾ ﴿١﴾ مَّا
أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ ﴿طه﴾ ومثل
يس، حم.

ومنها ما بدأ بثلاثة أحرف مثل: الر،
الم، طسم.

ومنها ما بدأ بأربعة أحرف مثل:
المصر، المر.

ومنها ما بدأ بخمسة أحرف مثل: كهيص، حم عسق.

لا تَدْعُهَا لحظة واحدة من المولد إلى الممات، إلى البعث، إلى الحشر، إلى الحساب؛ وهي رقابة شديدة دقيقة رهيبة، تُطَبَّقُ على هذا المخلوق الإنساني الضعيف إطباقاً كاملاً شاملاً، فهو في القبضة التي لا تَفُكُّ عنه أبداً، ولا تُفْصَلُ مِنْ أمره دقيقاً ولا جليلاً، ولا تَفَارِقُهُ كثيراً ولا قليلاً. كلُّ نَفْسٍ معدود، وكلُّ هاجسة معلومة، وكلُّ لفظ مكتوب، وكلُّ حركة محسوبة. والرقابة الكاملة الرهيبة مضروبة في وسوس القلب، كما هي مضروبة على حركة الجوارح. ولا حجاب ولا ستار دون هذه الرقابة النافذة، المطلعة على السر والتجوى أطلاعها على العمل والحركة، في كلِّ وقت، وفي كلِّ حال.

وكلُّ هذه حقائق معلومة، ولكنها تُفرض في الأسلوب الذي يبديها وكأنها جديدة، تُرْوَع الحس روعة المفاجأة، وتهزُّ النفس هزاً، وتُرْجِّها رجاً؛ وتثير فيها رعدة الخوف، وروعة الإعجاب، ورجفة الصحو من الغفلة على الأمر المَهُول الرهيب.

وذلك كله الى صَوَر الحياة، وصور الموت، وصور البلى، وصور البعث

معاني هذه الفواتح:

هناك رأيان في معنى هذه الفواتح:

الرأي الأول: أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه، ولذلك نجد في تفسير الجلالين، وهو تفسير مختصر، (ق) الله أعلم بمراده به.

الرأي الثاني: أن لها معنى، وقد ذهبوا في معناها مذاهب شتى:

١. فمنهم من قال: هي أسماء للصور التي بدأت بها.

٢. ومنهم من قال: هي إشارة إلى أسماء الله تعالى أو صفاته.

رُوي عن الضحاك في معنى ﴿الرُّ﴾: أنا الله أرفع.

٣. ومنهم من قال: هي قسم.

٤. ومنهم من قال: هي حروف للتنبيه، كالجرس الذي يقرع فينبه التلاميذ لدخول المدرسة.

٥. ومنهم من قال: هي حروف للتحذير وبيان إعجاز القرآن.

٦. وقيل إن هذه الأحرف قد

اشتملت على المعاني جميعها، التي ذكرها العلماء في تفسيرها. فهي أسماء للصور، وهي إشارة إلى أسماء الله

تعالى وصفاته، وهي للقسم، وهي أدوات للتنبيه، وهي حروف للتحذير والإعجاز، وهي أيضاً مما استأثر الله بعلمه.

معاني سورة «ق»

هذه سورة مكية عُتبت بِسُوقِ الحجج والأدلة على قدرة الله سبحانه، على تأكيد البعث والجزاء.

وقد بدأت السورة بمواجهة المشركين، وعرض أفكارهم، وعَجَبهم أن يكون الرسول بشراً مثلهم؛ كما أنهم أنكروا البعث والحشر بعد الموت، واستدلوا بدليل ساذج، هو تفسخ الأجسام وصيرورتها تراباً.

والقرآن يوضح قدرة الله تعالى وعلمه الشامل بما تأكله الأرض من أجسامهم، فهم لا يذهبون ضياعاً إذا ماتوا وكانوا تراباً؛ أما إعادة الحياة إلى هذا التراب فقد حدثت من قبل، وهي تحدث من حولهم في عمليات الإحياء المتجددة التي لا تنتهي [الآيات ١ - ٥].

ويلفت القرآن نظر الناس إلى آثار قدرة الله سبحانه، فالسما سق مرفوع؛ والأرض بساط تحفظه

رقابة الله جلّ وعلا

خلق الله الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وصانع الآلة أدرى بتركيبها وأسرارها، فهو سبحانه عليم بخفايا الصدور، مطلع على هواجس النفوس، قريب من عباده لا يغيب عنهم أينما كانوا، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة؛ وهناك ملائكة تسجل أعمال العباد وتفوض حقيقة المراد منها الى الله تعالى. ولقد عرفنا نحن البشر وسائل للتسجيل، تسجل الحركة والنبذة، كالأشرطة الناطقة وأشرطة السينما والتلفزيون، فليس يبعد على الله أن يجعل من ملائكته شهود عيان، يُحْصُونَ على الانسان أقواله وأفعاله، بالحق والعدل: ﴿كَرَامًا كَثِيرَةً ۝ يَفْعَلُونَ مَا يَقُولُونَ﴾ [الانطار].

مشاهد القيامة

تحدثت السورة عن البعث والحشر، ولَفَتَ الأنظار إلى آثار الله سبحانه في الآفاق، وإلى سننه جلّ وعلا في التاريخ، وإلى عجيب صنعه في حنايا البشرية. ومن إعجاز القرآن: أنه يتنقل بالمشاهد من الماضي إلى الحاضر، وَيَلَوْنُ في أسلوب العرض، ويعرّض

الجبال، وتجري فيه الأنهار، وينمو فيه صنوف النبات؛ والمطر ينزل فيبعث البركة والنماء، ويثبت الحب والنخيل والأعنان، ويبعث الحياة في الزرع والأرض؛ ويمثل هذه القدرة العالية يحيي الله الموتى ويبعثهم من قبورهم، بعد جمع ما تفرق من أجزائهم الأصلية [الآيات ٦ - ١١]. ويلفت القرآن النظر الى عبرة التاريخ، ويذكر الناس بما أصاب قوم نوح من الفرق، وما أصاب المكذّبين من الوعيد والهلاك، ومنهم أصحاب الرُّسْ (والرُّسْ هي البشر)؛ وأصحاب الرُّسْ بقية من ثمود، كانت لهم بئر فكذبوا نبيهم ودمّوه في البئر؛ وأصحاب الأيكة: وهم قوم شُعَيْب (ع)، والأيكة: الغَيْضَةُ، وهي الشجر الملتف الكثيف.

وقوم ثُعَيْب، وَتُبِعَ لَقَبَ لَمْلُوكِ جَمَيْرٍ باليمن.

إِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامَ أَنْكَرُوا الرسالة الإلهية، وكذبوا رسل الله إليهم، فاستحقوا عذاب السماء، وهذا العذاب يصيب كلّ مكذّب بالله وأنبيائه [الآيات ١٢ - ١٥].

النفس الانسانية لمختلف المؤثرات،
 رغبة الهداية والإصلاح. قال
 تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ
 يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه].

وقد عرضت سورة «ق» لمشاهد
 القيامة، وفي مقدمتها حضور سكرة
 الموت فجأة، بلا مقدمات، والموت
 طالب لا يَمَلُّ الطَّلَب، ولا يبطئ
 الخطي، ولا يُخلف الميعاد: ﴿ذَلِكَ مَا
 كُنْتُمْ مِنْهُ جِدُّكُمْ﴾ أي تهرب وتفزع،
 والآن تعلم أنه حق لا مهرب منه ولا
 مفر. وتنقل الآيات من سكرة الموت
 الى وهلة الحشر وهول الحساب، وهي
 مشاهد تزلزل الكبرياء الجامح،
 وتحارب الغرور والطغيان، وتدعو
 للثقي والإيمان. فملك الموت ينفخ في
 الصور، فيقوم الناس من القبور ويهرع
 الجميع الى الحساب، وتأتي كل نفس
 ومعها سائق يسوقها، وشاهد يشهد
 عليها، وقد يكونان هما الملكين
 الكاتبين الحافظين لها في الدنيا، وقد
 يكونان غيرهما؛ والأول أرجح. عندئذ
 يتيقن المُنْكَر، ويرى البعث والحشر
 والجزاء مشاهد أمامه؛ ينظر إليها ببصر

(١) الْكِفَّةُ: الْبَطْنَةُ.

حديد نافذ، لا يحجبه حجاب من
 الغفلة أو التهاون. [الآيات ١٩ -
 ٢٢].

ويشتد غضب الجبار على العصاة
 المعاندين، فيأمر الله الملكين السائق
 والشهيد أن يُلقيا في النار كل كُفَّارٍ
 عنيد، مناع للخير متجاوز للحدود،
 شاك في الدين، قد جعل مع الله إلهاً
 آخر، فاستحق العذاب الشديد.

ويشتد الخصام بين الشيطان وأتباعه
 من العصاة، يحاول كل أن يتنصل من
 تَبِيعَةِ جرائمه، وينتهي الحوار بين
 المجرمين بظهور جهنم تتلُظ غيظاً
 على مَنْ عَصَا الله، ويُلقَى فيها العصاة،
 ولكنها تزداد نهماً وشوقاً لعقاب
 المخالفين، وتقول في كِبْطَةٍ^(١) الأكل
 النهم، كما ورد في التنزيل: ﴿هَلْ مِنْ
 مَزِيدٍ﴾ [٢٣].

وعلى الضفة الأخرى من هذا
 الهول، مشهد آخر وديع أليف رضي
 جميل. إنه مشهد الجنة تُقَرَّبُ مِنْ
 المتقين، حتى تراءى لهم من قريب،
 مع الترحيب والتكريم [الآيات ٣١ -
 ٣٥].

ختم السورة

في الآيات الأخيرة من السورة [٣٨ - ٤٥]، نجد ختاماً مؤكداً للمعاني السابقة، متدثراً إيقاعاً سريعاً، فيه لمسة التاريخ ومصارع الغابرين، وفيه لمسة المكمون المفتوح، وفيه لمسة البعث والحشر في مشهد جديد، ومع هذه اللمسات التوجيه الموحى للمشاعر والقلوب. ﴿فَأَمَّا عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَجِّعَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ﴿٣٨﴾ وطلوع الشمس وغروبها، ومشهد الليل الذي يغشأ الغروب، كلها ظواهر مرتبطة بالسموات والأرض؛ والقرآن يُرْجَع إليها التسبيح والحمد والسجود، ويضم إليها الصبر والأمل في الله القوي القادر، فعليك يا محمد أن تبليغ القرآن للناس، عليهم يتعظون أو يخافون: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ جَاءَ وَعَبِدَ﴾ ﴿٣٩﴾ وفي ذلك تسليّة

للرسول (ص)، وتشبيبت لفؤاده، وتهديد ووعد للعصاة والكافرين.

أهداف السورة إجمالاً

قال الفيروزآبادي: مقصود سورة ﴿ق﴾:

إثبات النبوة للرسول (ص) وبيان حجة التوحيد؛ والإخبار عن إهلاك القرون الماضية؛ وعلم الحق تعالى بضمائر الخلق وأسرارهم؛ وذكر الملائكة الموكلين بالخلق المشرفين على أقوالهم؛ وذكر بعث القيامة، وذلك العصاة يومئذ؛ ومناظرة المنكرين بعضهم بعضاً في ذلك اليوم؛ وتغيظ الجحيم على أهله، وتشرف الجنة بأهلها؛ والخبر عن تخليق السماء والأرض، وذكر نداء إسرافيل (ع) بنفخه الصور، وتكليف الرسول (ص) أن يعظ الخلق بالقرآن المجيد.

ترابط الآيات في سورة «ق» (*)

وإثبات ذلك بالدليل مرّة وبالترهيب أخرى؛ وهو يعود بهذا إلى سياق السور السابقة لسور «محمد» و«الفتح» و«الحجرات». وقد ذكرت هذه السور الثلاث في مواضعها للمناسبات السابقة؛ فلما انتهى منها عاد السياق الى ما كان عليه قبلها، وللفضل بينها، بذلك، فائدته في تنويع الأسلوب، وتجديد نشاط السامع.

إثبات الإنذار بالعذاب الآيات [١ - ٣٨]

قال الله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ
الْمَجِيدِ ۝ بَلْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُنْذَرٌ مِنْهُمْ
فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا نَقْلٌ عَنِّي عَجَبٌ ۝﴾
فأقسم على أن النبي (ص) بُعِثَ لينذرهم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «ق» بعد سورة
المُرسلات، ونزلت سورة المرسلات
بعد تسع آيات من سورة النجم،
ونزلت سورة النجم بعد الهجرة الأولى
للمحبة، وكانت هذه الهجرة في السنة
السابعة من البعثة؛ فيكون نزول سورة
«ق» في ذلك التاريخ أيضاً، وتكون من
السور التي نزلت فيما بين الهجرة الى
الحبشة والإسراء. وقد سُميت هذه
السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم به،
وتبلغ آياتها خمساً واربعين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إنذار
المشركين بعذاب الدنيا والآخرة،

(*) انقضي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعدي، مكتبة الآداب بالجميزة -
المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة، القاهرة، غير ملوّخ.

بعذابه، وذَكَرَ أنهم عجبوا أن يجيئهم منذر منهم، وأن يبعثوا لذلك بعد أن يصيروا تراباً وتفرّق أجزاءهم، وأجاب سبحانه عن هذا بأنه يعلم ما تفرّق من أجزائهم في الأرض فيقْدِرُ على جمعها، وكذلك يعلم أعمالهم، ويحفظها في كتاب عنده ليحاسبهم عليها، ثم أخذ السياق بعد هذا في ذكر آيات الله جلّ جلاله في السماء والأرض، ليعلموا أن من يقدر عليها يقدر على بعثهم وعذابهم؛ وانتقل منه إلى ترهيبهم بذكر ما حصل لمن كذب قبلهم من قوم نوح وأصحاب الرُّسُ وغيرهم. ثم عاد السياق إلى أخذهم بالدليل، فذكر أنه، سبحانه، لم يَغَيِّ بالخلق الأول حتى يَغَيَّا عن إعادته؛ ويبيّن الخلق الأول بأن الله جلّت قدرته هو الذي خلق الإنسان، ويعلم ما تُؤَسِّس به نفسه، فلم يتركه سُدى بل وكل به مَلَكيْن يحفظان كل ما يلفظ به؛ فإذا مات وُبِعْث وجد أقواله وأفعاله محفوظة في كتابهما، والقي في جهنم

على ما كان منه من كفرٍ ومنع للخير وغيرهما؛ ثم ذكر السياق بعد هذا ما أعده سبحانه لمن خشيه وآمن به، جمعاً بين الترهيب والترغيب؛ ثم ذكّرهم في إطار الترهيب، بمن أهلكه الله قبلهم ممن كان أشدّ منهم بطشاً، ليعلموا أنه تعالى قادر على إهلاكهم وبعثهم بعد موتهم؛ وإلى ذكر خلقه السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام من غير أن يمسه لغوب، ليستدلوا به على قدرته على ذلك أيضاً؛ ثم ختمت السورة بأمر النبي (ص) بالصبر على تكذيبهم له في ذلك، وأن يستعين على هذا بالتسبيح بحمد ربّه قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل وأذبار السجود؛ ثم أمره أن يستمع يوم ينادي المنادي بما يكذّبونه فيه من بعثهم، إيذاناً بأنه قريب منهم، ومضى السياق في هذا إلى قوله تعالى: ﴿كَفَرُوا بِمَا بَعُثُوا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعيد ﴿١٠﴾﴾.

مكنونات سورة «ق»، (*)

قال قتادة: كُنَّا نُحَدِّثُ: أَنَّهُ يَنَادِي مِنْ
بَيْتِ الْمَقْدَسِ مِنَ الصَّخْرَةِ. أَخْرَجَهُ ابْنُ
أَبِي حَاتِمٍ ^(١).

- ١- ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمَنَادُ﴾ [الآية ٤١].
هو إسماعيل (ع). أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِر
عَنْ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ.
٢- ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَسِيمٍ﴾ ^(٢).

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «مُفْجَمَاتِ الْأَقْرَانِ فِي مَبْنَاهِ الْقُرْآنِ» للشُّبُوطِي، تحقيق إِيَادَ خَالِدِ الطَّبَّاعِ، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرَّخ.

(١) والطبري في «تفسيره» ١١٤/٢٦.

لغة التنزيل في سورة «ق» (*)

١- قال تعالى: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مُّريجٍ ٥﴾ .

قوله تعالى: ﴿مُريجٍ ٥﴾ أي: مضطرب، يقال: مَرَجَ الخاتم في إصبعه وجَرَجَ .

٢- وقال تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نُبَيْدٌ ١٥﴾ .

أقول: «النخل»: اسم جمع، يكون جمعاً مؤنثاً، مراعاة لمعناه، كما في هذه الآية بدلالة «باسقات» .

وقد يكون مفرداً مؤنثاً، كما في قوله تعالى:

﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١﴾ [الرحمن].

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ يَّخْتَلِي

خَاوِيُونَ ٧﴾ [الحاقة].

كما يكون مفرداً مذكراً في قوله سبحانه:

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ يَّخْلُو شُقَيْرٌ ١٥﴾ [الفرار].

أقول: وليس لنا أن نقول شيئاً في ترجيح هذه الكلمة بين الأفراد ثانياً وتذكيراً، وبين الجمع، إلا اعتبار الناحية التاريخية، [التي أباحت اللغة فيها، مثل هذا الترجيح].

٣- وقال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَيْنٌ ٣٠﴾ .

أي: هذا شيء لدي، وفي ملكي مهياً.

٤- وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

(*) انتهى هذا المبحث من كتاب «بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

لَنُكَرِّيَنَّ لِلَّذِينَ كَانُوا قُلُوبُهُمْ أَلْفَى السَّمْعِ
وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ .

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْفَى السَّمْعِ﴾ أي:
أصغى .

أقول: وإلقاء السمع، بمعنى
الإصغاء، لا نعرفه في العربية
المعاصرة، فقد نقول:
أرهمف السمع مثلاً.

المعاني اللغوية في سورة «ق» (*)

قال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ
الْمَجِيدِ﴾ ﴿١﴾ قَسَمَ عَلَى قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴿الآية ١٤﴾.

وقال سبحانه: ﴿إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ لَمَ يَذْكُرْ أَنَّهُ رَجِعَ﴾
وذلك، والله أعلم، لأنه كان على
جواب كأنه قيل لهم: إنكم تزعجون.
فقالوا: «إذا كنا تراباً ذلك رجع بعيد».

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ ﴿الآية
١٥﴾ تقول: لَبَسْتُ عَلَيْهِ لَبْساً.

وقال سبحانه: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ

يَمِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ بذكر أحدهما والاستغناء عن
الآخر. فلم يقل: «عن اليمين قعيد»
وعن الشمال قعيد». ومثل ذلك في
قوله جل شأنه ﴿إِن يَطِئَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ
مِّنْهُ قَسَا﴾ [النساء/٤]، وقوله سبحانه
﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر/٦٧] بالاستغناء
بالواحد عن الجمع.

وقال سبحانه: ﴿وَعَنَّا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ﴾ ﴿٣١﴾ أي: أملك به، وأقرب إليه
في المقدرة عليه.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة
العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرخ.

لكل سؤال جواب في سورة «ق» (*)

والمضاف إليه؟

قلنا: معناه وَحَبِّ الزرع الحصيد، أو النبات الحصيد. الثاني: أن إضافة الشيء الى نفسه جائزة عند اختلاف اللفظين، كما في قوله تعالى ﴿حَقُّ الْيَعِينِ﴾ [الراشدة]. و ﴿حَبْلُ الْوَرِيدِ﴾ [الرحمة]، و ﴿وَعَدَ الْوَعْدِ﴾ [الأحاف/١٦].

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [١٧] ولم يقل قعيدان، وهو وصف للملكين اللذين سبق ذكرهما بقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَنْفَخُ النَّفْثَيْنِ﴾ [الآية ١٧]؟

قلنا: معناه عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، إلا أنه حُذِفَ أحدهما لدلالة المذكور عليه، كما قال الشاعر:

إن قيل: أين جواب القسم في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْرَأَيْنَ الْمَجِيدِ﴾ [١]؟

قلنا: فيه وجوه: أحدها أنه مضمّر تقديره: إنهم مبعوثون بعد الموت.

الثاني: أنه قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [الآية ٤] والسلام محذوفة لطول الكلام؛ والتقدير: لقد علمنا كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ [الشمس].

الثالث: أنه قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفُطُ مِنْ قَوْلٍ﴾ [الآية ١٨].

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَحَبِّ الْحَصِيدِ﴾ [١] وقد أراد به الحَبِّ الحصيد، فأضاف الشيء الى نفسه؛ والإضافة تقتضي المغايرة بين المضاف

(*) انتهى هذا البحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

نَحْنُ بِمَا عِشْدْنَا وَأَنْتَ بِمَا
عِنْدَكَ زَاهِي وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
وقال آخر:

زَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَالَّذِي
بَرِيئاً وَمِنْ أَجْلِ الطَّوْفِي زَمَانِي
الثاني: أَنْ فَعِلاً يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ
وَالْإِثْنَانُ وَالْجَمْعُ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلُ كُنْهُ بِمَدِّ ذَلِكَ عَلَيْهِ﴾ (التحرير).
وقيل إنما لم يقل قعيديان،
رعاية لفواصل السورة.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿أَلْقِيَا﴾
[الآية ٢٤] والخطاب لواحد، وهو مالك
خازن النار؟

قلنا: فيه وجوه: أحدها: ما قاله
الميزد أن تشية الفاعل أقيمت مقام تشية
الفعل للتأكيد باتحادهما حكماً، كأنه
قال ألق ألق، ونظيره قول امرئ
القيس:

قَفَا نَبُكْ: أَي قَفَ قَف. الثاني: أن
العرب كثيراً ما يرافقت الرجل منهم
إثنان، فكثر على ألسنتهم خطاب
الاثنتين فقالوا: خليلي وصاحبي،
وقفا، واسمدا، وعوجا ونحو ذلك؛
قال الفراء: سمعت ذلك من العرب
كثيراً، قال وأنشدني بعضهم:

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَحِبَّاسَانَا
يَنْزِعُ أَصُولَهُ وَاجْتَرُ شَيْعَا
فقال لا تحبسانا والخطاب لواحد،
بدليل قوله لصاحبي قال: وأنشدني أبو
ثور:

فَإِنْ تَرْجُرَانِي يَأْتِنُ عَفَانُ أَنْزَجِرْ
وَأَنْ تَدْعَانِي أَحْمَرُ عَرْضاً مُمْتَعَا
وقال امرؤ القيس:

خَلِيلِي مُرَابِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ
نَقَضِي لُبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَعْدُبِ
ثم قال:

أَلَمْ تَرَ أَنِي كُلَّمَا جِثْتُ طَارِقاً
وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تُطِيبِ
الثالث: أنه أُمِرَ للملكين، اللذين
سبق ذكرهما، بقوله تعالى: ﴿وَمَلَكْتُ
كُلَّ قَرْيَةٍ مِمَّا سَاءَ وَشَيْدٌ﴾.

فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿يَعْرِ
يَعِيدُ﴾ ولم يقل غير بعيدة، وهو
وصف للجنة؟

قلنا: لأنه على زنة المصادر كالزبير
والصليل، والمصادر يستوي في
الوصف بها المذكر والمؤنث، أو على
حذف الموصوف: أي مكاناً غير بعيد،

وكلا الجوابين للزمخشري، رحمه الله تعالى.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ بعد قوله سبحانه: ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ﴾ [الآية ٣١] بمعنى قربت؟

قلنا: فائدته التأكيد، كقولهم: هو قريب غير بعيد، وعزيز غير ذليل.

فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [الآية ٣٧]

وكل إنسان له قلب، بل كل حيوان؟ قلنا: المراد بالقلب هنا العقل، كذا قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قال ابن قتيبة: لما كان القلب موضعاً للعقل كنّي به عنه. الثاني: أن المراد لمن كان له قلب واع؛ لأن من لا يعي قلبه، فكأنه لا قلب له؛ ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

المعاني المجازية في سورة «ق» (*)

معقوله. فشبه تعالى ذلك بالشكرة من الشراب، إلا أن هذه الشكرة مؤلمة.

وقوله تعالى: ﴿يَلْمِزُ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما أن يكون جاءت بالحق من أمر الآخرة، حتى عرّفه الإنسان اضطراباً، ورأه جهاراً. والآخر أن يكون المراد ﴿يَلْمِزُ﴾ ههنا أي بالموت، الذي هو الحق.

وفي قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَتَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ كَدِيدٌ﴾ استعارة، والمراد بها ما يراه الإنسان عند زوال التكليف عنه، من أعلام الساعة، وأشراف القيامة، فتزول عنه اعتراضات الشكوك، ومشتبهات الأمور، يصدق بما كُذّب، ويُقَرُّ بما جحد، ويكون كأنه قد نَقُذَّ

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ قَسَمٌ مَّا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. أراد سبحانه أنه يعلم غيب الإنسان ووساوس إضمماره، ونجّي أسرارهِ. فكانه، باستبطانه ذلك منه، أقرب إليه من وريدهِ. لأن العالم بخفايا قلبه، أقرب إليه من عروقه وعَصَبِهِ.

وليس القُرْبُ ههنا من جهة المسافة والمساحة، ولكن من جهة العلم والإحاطة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ استعارة. والمراد بسكرة الموت ههنا: الكَرْبُ الذي يتغشّى المحتَضِر عند الموت، فيفقد له تمييزه، ويفارق معه

(*) انقضي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشيخ الشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤزح.

بَصَرُهُ بعد وقوف، وأحد بعد كلالٍ وثَبُوءٍ. فهذا معنى قوله سبحانه: ﴿بَصَرِكَ الْيَوْمَ حَيِّدٌ﴾ ١٧٠.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِيَحْمَمَ هَلْ أَتَلَّاتٍ وَقُولَ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ١٧١ استعارة: لأن الخطاب للنار والجواب منها، في الحقيقة لا يصحان. وإنما المراد. والله أعلم. أنها في ما ظهر من امتلائها، وبَيَانٍ من اغتصاصها بأهلها، بمنزلة الناطقة بأنه لا مَزِيدَ فيها، ولا سَعَةَ عندها. وذلك كقول الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قَطُنِي

مهلاً زُونِدَا قد مَلَأَتْ بَطْنِي

ولم يكن هناك قول من الحوض على الحقيقة، ولكن المعنى أن ما ظهر من امتلائه في تلك الحال، جارٍ مَجْرَى القول منه؛ فأقام تعالى الأمر المَدْرَكُ بالعين، مُقَامَ القول المسموع بالأذن.

وقيل: المعنى أَنَا نقول لخَزَنَةِ جَهَنَّمَ هذا القول، ويكونُ الجوابُ منهم على

حدِّ الخطاب. ويكون ذلك من قبيل: ﴿وَسَتَلِي الْقَرِيَّةَ﴾ [يوسف/٨٢] بإسقاط المضاف وإقامة المضاف إليه مُقَامَهُ. وذلك كقولهم: يا خيل الله اركبي. والمراد يا رجال الله اركبي.

وعلى القول الأول، يكون مخرج هذا القول لجهنم على طريق التقرير، لاستخراج الجواب بظواهر الحال، لا على طريق الاستفهام والاستعلام. إذ كان الله سبحانه قد عَلِمَ امتلاءها قبل أن يظهر ذلك فيها. وإنما قال سبحانه هذا الكلام ليعلم الخلائق صَحَّةَ وَغْدِهِ، إذ يقول تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [مرد]. والوجه في قوله تعالى في الحكاية عن جهنم: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ١٧٢ بمعنى لا مِنْ مَزِيدٍ فِي. وليس ذلك على طريق طلب الزيادة، وهذا معروف في الكلام. ومثله قوله (ص): «وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ لَنَا مِنْ دَارٍ؟»^(١)، أي ما ترك لنا داراً.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي

(١) قاله عليه الصلاة والسلام حين فتح مكة. فقد مضى الزبير بن العوام بربانته حتى رَكَزَهَا عند قبة رسول الله، وكان معه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما، وقيل: يا رسول الله! ألا تنزل منزلك من الشعب؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟ وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله (ص) ومنزل إخوته. والرجال والنساء بمكة. فقيل: يا رسول الله! فأنزل في بعض بيوت مكة في غير منازلنا، فقال: لا أدخل البيوت! فلم يزل مضطرباً بالخشون [وهو جبل بمكة] لم يدخل بيتاً، وكان يأتي المسجد من الخشون لكل صلاة. انظر الخبر في «إتاع الأسماع» للمعريزي المؤرخ، ج ١ ص ٣٨١.

ذَلِكَ لِذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَمْ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى
 السَّعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ استعارة ماضى
 نظير لها في ما تقدّم. والمعنى أنه بالغَ
 في الإصغاء إلى الذِّكْرِ، وأشهدها
 قلبه؛ فكان كالمُلْقِي إليها سَمْعَهُ، دُنُوًّا
 من سماعِها، ومِثْلًا إلى قائلها.
 والمراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لِذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَمْ قَلْبٌ﴾ (الآية ٣٧) أي
 عَقْلٌ وَلُبٌّ. ويعبر عنهما بالقلب،
 لأنهما يكونان بالقلب. أو يكون
 المعنى: لمن كان به قلب ينتفع به.
 لأن من القلوب ما لا يُنتَفَعُ به، إذا كان
 مائلًا إلى النِّي، ومنصرفًا عن الرُّشد.

الفهرس

سورة «غافر»

المبحث الأول

- ٣ أهداف سورة «غافر»
٣ روح السورة
٤ موضوعات السورة
٤ الفصل الأول: صفات الله
٥ الفصل الثاني: رجل مؤمن يجاهد بالكلمة
٦ الفصل الثالث: الترغيب والترهيب
٧ الفصل الرابع: نهاية الظالمين

المبحث الثاني

- ٩ ترابط الآيات في سورة «غافر»
٩ تاريخ نزولها ووجه تسميتها
٩ الغرض منها وترتيبها
٩ التمهيد بالترهيب والترغيب
١٠ الأمر بإخلاص العبادة
١٠ ختم السورة بالترهيب والترغيب

المبحث الثالث

١٣ _____ أسرار ترتيب سورة «غافر»

المبحث الرابع

١٥ _____ مكنونات سورة «غافر»

المبحث الخامس

١٧ _____ لغة التنزيل في سورة «غافر»

المبحث السادس

١٩ _____ المعاني اللغوية في سورة «غافر»

المبحث السابع

٢٣ _____ لكل سؤال جواب في سورة «غافر»

المبحث الثامن

٢٧ _____ المعاني المجازية في سورة «غافر»

سورة «فصلت»

المبحث الأول

٣١ _____ أهداف سورة «فصلت»

٣١ _____ روح السورة

٣٢ _____ موضوعا السورة

٣٢ _____ الموضوع الأول

٣٢ _____ الموضوع الثاني

المبحث الثاني

٣٥ _____ ترابط الآيات في سورة «فصلت»

٣٥ _____ تاريخ نزولها ووجه تسميتها

- ٣٥ الغرض منها وترتيبها
- ٣٥ بيان الغرض من نزول القرآن
- ٣٦ شرف الغرض الذي تدعو اليه

المبحث الثالث

- ٣٩ مكنونات سورة «فصلت»

المبحث الرابع

- ٤١ لغة التنزيل في سورة «فصلت»

المبحث الخامس

- ٤٣ المعاني اللغوية في سورة «فصلت»

المبحث السادس

- ٤٧ لكل سؤال جواب في سورة «فصلت»

المبحث السابع

- ٤٩ المعاني المجازية في سورة «فصلت»

سورة «الشورى»

المبحث الأول

- ٥٥ أهداف سورة «الشورى»

- ٥٥ روح السورة

- ٥٦ موضوع السورة

- ٥٦ الفصل الأول: وحدة أهداف الرسالات

- ٥٨ الفصل الثاني: صفات الجماعة المسلمة

المبحث الثاني

- ٦١ ترابط الآيات في سورة «الشورى»

- ٦١ _____ تاريخ نزولها ووجه تسميتها
- ٦١ _____ الغرض منها وترتيبها
- ٦١ _____ اتفاق الرسل على شرع الإسلام
- المبحث الثالث
- ٦٥ _____ مكنونات سورة «الشورى»
- المبحث الرابع
- ٦٧ _____ لغة التنزيل في سورة «الشورى»
- المبحث الخامس
- ٦٩ _____ المعاني اللغوية في سورة «الشورى»
- المبحث السادس
- ٧١ _____ لكل سؤال جواب في سورة «الشورى»
- المبحث السابع
- ٧٥ _____ المعاني المجازية في سورة «الشورى»

سورة «الزخرف»

المبحث الأول

- ٧٩ _____ أهداف سورة «الزخرف»
- ٧٩ _____ أفكار السورة
- ٨٠ _____ فصول السورة
- ٨٠ _____ ١ - شبهات الكافرين
- ٨١ _____ ٢ - مناقشة ومحاجة
- ٨٢ _____ ٣ - من اساطير المشركين

المبحث الثاني

- ٨٥ ترابط الآيات في سورة «الزخرف»
٨٥ تاريخ نزولها ووجه تسميتها
٨٥ الغرض منها وترتيبها
٨٥ التمهيد لتتزيه الله سبحانه عن الأولاد
٨٦ إبطال بنوة الملائكة
٨٧ إبطال بنوة عيسى

المبحث الثالث

- ٨٩ مكنونات سورة «الزخرف»

المبحث الرابع

- ٩١ لغة التنزيل في سورة «الزخرف»

المبحث الخامس

- ٩٣ المعاني اللغوية في سورة «الزخرف»

المبحث السادس

- ٩٧ لكل سؤال جواب في سورة «الزخرف»

المبحث السابع

- ١٠١ المعاني المجازية في سورة «الزخرف»

سورة «الدخان»

المبحث الأول

- ١٠٥ أهداف سورة «الدخان»

- ١٠٥ أفكار السورة

- ١٠٥ فضل السورة

سياق السورة ١٠٦

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الدخان» ١٠٩

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ١٠٩

الغرض منها وترتيبها ١٠٩

إنزال يوم العذاب ١٠٩

المبحث الثالث

مكونات سورة «الدخان» ١١١

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «الدخان» ١١٣

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «الدخان» ١١٥

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «الدخان» ١١٧

المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «الدخان» ١١٩

سورة «الجاثية»

المبحث الأول

أهداف سورة «الجاثية» ١٢٣

الغرض من السورة ١٢٣

سمات السورة ١٢٤

منهج السورة ١٢٤

- درسان في السورة ١٢٥
- شبهات الكفر وأدلة الإيمان ١٢٥
- عناد الكافرين وعقابهم يوم الدين ١٢٦
- مشاهد القيامة ١٢٧

المبحث الثاني

- ترابط الآيات في سورة «الجاثية» ١٢٩
- تاريخ نزولها ووجه تسميتها ١٢٩
- الغرض منها وترتيبها ١٢٩
- إثبات وجود الله تعالى ١٢٩
- الرد على الدهرية ١٣٠

المبحث الثالث

- لغة التنزيل في سورة «الجاثية» ١٣٣

المبحث الرابع

- المعاني اللغوية في سورة «الجاثية» ١٣٥

المبحث الخامس

- لكل سؤال جواب في سورة «الجاثية» ١٣٧

المبحث السادس

- المعاني المجازية في سورة «الجاثية» ١٣٩

سورة «الأحقاف»

المبحث الأول

- أهداف سورة «الأحقاف» ١٤٣
- سورة الإيمان والتوحيد ١٤٣

- ١٤٤ _____ أربعة مقاطع
- ١٤٤ _____ ١ - نقاش المشركين
- ١٤٥ _____ ٢ - الفطرة السليمة والفطرة السقيمة
- ١٤٧ _____ ٣ - قصة عاد
- ١٤٩ _____ ٤ - إيمان الجن
- ١٥٠ _____ مقصود السورة اجمالاً

المبحث الثاني

- ١٥١ _____ ترابط الآيات في سورة «الأحقاف»
- ١٥١ _____ تاريخ نزولها ووجه تسميتها
- ١٥١ _____ الغرض منها وترتيبها
- ١٥١ _____ إنذار الكفار بالعذاب

المبحث الثالث

- ١٥٥ _____ مكتونات سورة «الأحقاف»

المبحث الرابع

- ١٥٩ _____ لغة التنزيل في سورة «الأحقاف»

المبحث الخامس

- ١٦١ _____ المعاني اللغوية في سورة «الأحقاف»

المبحث السادس

- ١٦٣ _____ لكل سؤال جواب في سورة «الأحقاف»

المبحث السابع

- ١٦٥ _____ المعاني المجازية في سورة «الأحقاف»

سورة «محمد» (ص)

المبحث الأول

- ١٦٩..... أهداف سورة «محمد» (ص)
- ١٦٩..... ١ - التحريض على قتال المشركين
- ١٧١..... ٢ - خصال المنافقين
- ١٧٣..... ٣ - حديث عن المشركين والمؤمنين
- ١٧٤..... مقصود السورة اجمالاً

المبحث الثاني

- ١٧٥..... ترابط الآيات في سورة «محمد» (ص)
- ١٧٥..... تاريخ نزولها ووجه تسميتها
- ١٧٥..... الغرض منها وترتيبها
- ١٧٥..... التحريض على القتال

المبحث الثالث

- ١٧٩..... أسرار ترتيب سورة «محمد» (ص)

المبحث الرابع

- ١٨١..... مكنونات سورة «محمد» (ص)

المبحث الخامس

- ١٨٣..... لفظة التنزيل في سورة «محمد» (ص)

المبحث السادس

- ١٨٥..... المعاني اللغوية في سورة «محمد» (ص)

المبحث السابع

- ١٨٧..... لكل سؤال جواب في سورة «محمد» (ص)

المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «محمد» (ص) ١٨٩

سورة «الفتح»

المبحث الأول

أهداف سورة «الفتح» ١٩٣

صلح الحديبية ١٩٣

بيعة الرضوان ١٩٤

شروط الصلح ١٩٥

الأحداث وسورة «الفتح» ١٩٦

الله يبارك بيعة الرضوان ١٩٦

ظهور الاسلام ١٩٧

وصف الصحابة ١٩٨

مقاصد السورة الاجمالية ١٩٨

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الفتح» ٢٠١

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٢٠١

الغرض منها وترتيبها ٢٠١

التنويه بصلح الحديبية ٢٠١

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الفتح» ٢٠٥

المبحث الرابع

مكتونات سورة «الفتح» ٢٠٧

المبحث الخامس

٢٠٩..... لفحة لتنزيل في سورة «الفتح»

المبحث السادس

٢١١..... المعاني اللغوية في سورة «الفتح»

المبحث السابع

٢١٣..... لكل سؤال جواب في سورة «الفتح»

المبحث الثامن

٢١٧..... المعاني المجازية في سورة «الفتح»

سورة «الحجرات»

المبحث الأول

٢٢١..... أهداف سورة «الحجرات»

٢٢١..... الآداب العامة

٢٢١..... منهج الحياة

٢٢٢..... معاني السورة

٢٢٤..... الإيمان قول وعمل

٢٢٤..... الهدف الاجمالي للسورة

المبحث الثاني

٢٢..... ترابط الآيات في سورة «الحجرات»

٢٢٥..... تاريخ نزولها ووجه تسميتها

٢٢٥..... الغرض منها وترتيبها

٢٢٦..... أدب المؤمنين مع الله ورسوله

٢٢٦..... أدب المؤمنين في سماع الأخبار

٢٢٦..... ترغيب المؤمنين في الصلح

المبحث الثالث

٢٢٩ _____ أسرار ترتيب سورة «ص»

المبحث الرابع

٢٣١ _____ مكنونات سورة «الحجرات»

المبحث الخامس

٢٣٣ _____ لغة التنزيل في سورة «الحجرات»

المبحث السادس

٢٣٥ _____ المعاني اللغوية في سورة «الحجرات»

المبحث السابع

٢٣٧ _____ لكل سؤال جواب في سورة «الحجرات»

المبحث الثامن

٢٤٠ _____ المعاني المجازية في سورة «الحجرات»

سورة «ق»

المبحث الأول

٢٤٥ _____ أهداف سورة «ق»

٢٤٥ _____ سورة الخطبة

٢٤٥ _____ جاء في «ظلال القرآن»

٢٤٦ _____ فواتح السور

٢٤٧ _____ معاني سورة «ق»

٢٤٨ _____ رقابة الله جلّ وعلا

٢٤٨ _____ مشاهد القيامة

٢٥٠ _____ ختام السورة

أهداف السورة إجمالاً ٢٥٠

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «ق» ٢٥١

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٢٥١

الغرض منها وترتيبها ٢٥١

إثبات الإنذار بالعذاب ٢٥١

المبحث الثالث

مكتونات سورة «ق» ٢٥٣

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «ق» ٢٥٥

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «ق» ٢٥٧

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «ق» ٢٥٩

المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «ق» ٢٦٣

